جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلامية

قسم لغة القرآن و آدابها

آيات السنن الكونية في القرآن الكريم

دراسة حجاجية

رسالة قدَّمتها الطالبة

سها علي عواد عباس العباسي

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء

و هي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في لغة القرآن و آدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

مسلم مالك بعير الأسدي

1442هـ 2021م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

آل عمران (61)

ترشيح رسالة للطبع

نظرًا لإنجاز (الرسالة) و فصولها (**آيات السنن الكونية في القرآن الكريم دراسة حجاجية**) لطالبة الماجستير (**سها علي عواد عباس العباسي**) فإني ارشحها للطبع

التوقيع :

المشرف : سالم حالك [illegible]

مكان العمل : جامعة كربلاء - العلوم الإسلامية

التأريخ : 2 / 3 / 2021

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة المسومة ب (آيات السنن الكونية في القرآن الكريم دراسة حجاجية)

التي قدمتها الطالبة (سها علي عواد عباس العباسي) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية و هي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية / لغة القرآن و آدابها .

المشرف

التوقيع :

المرتبة العلمية : استاذ دكتور

الاسم : سالم مالك راشد

مكان العمل : جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

التاريخ : 2/ 3 / 20 21

بناء على توصية المشرفين و المقوم العلمي أرشح هذه الرسالة.

رئيس القسم :

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. صفاء حسين لطيف

التأريخ : 2 / 3 / 20 21

إقرار لجنة المناقشة

نشهد إننا أعضاء لجنة المناقشة قد اطلعنا على الرسالة المسومة (آيات السنن الكونية في القرآن الكريم دراسة حجاجية) المقدمة من قبل طالبة الماجستير (سها علي عواد) و ناقشنا الطالبة في محتوياتها و فيما له علاقة بها و نعتقد انها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جدا) لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية / لغة القرآن و آدابها.

التوقيع :

الاسم: أ .م. د. احمد عبيس عبيد

المنصب في اللجنة : عضواً

التاريخ: ٢٠٢١/٦/٧

التوقيع :

الاسم:ا.م.د.حنان عباس منصور

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ : ٢٠٢١/٦/٧

التوقيع:

الاسم:ا.د مسلم مالك الأسدي

المنصب في اللجنة:عضواً و مشرفاً

التاريخ:

التوقيع :

الاسم:ا.د. مكي محي الكلابي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ: ٢٠٢١/٦/٩

تمت مصادقة مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء على إقرار اللجنة

التوقيع :

العميد:ا.م.دضرغام كريم الموسوي

العميد وكالة

التاريخ: 2021/6/9

الإهداء

إلى ينابيع الحنان و الحنو : أمي و أبي

المُبجَّلين متَّعهما الله بالصحة و العافية .

إلى إخوتي و أخواتي سندي و عضدي و مشاطري افراحي

و أحزاني .

إلى صديقتيَّ أسمى رموز الإخلاص و الوفاء

غفران و سمر .

إلى معارفي الكرام جميعاً.

أهدي بحثـــــي هذا .....

شكر وعرفان :

بسم الله الرحمن الرحيم

- أول من يستحق الشكر و التقدير على ما منحني من الخير و القوة و الصبر و العون لإنجاز هذا العمل الأستاذ الدكتور مسلم مالك الأسدي على توفير الوقت للمضي قدمًا و الإشراف عليّ و على مساعدته المتميزة و جهوده الكبيرة في إكمال هذه الرسالة .
- أود أن أعبر عن شكري الجزيل إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية المتمثلة بعميدها و معاونيه الفضليين.
- وجزيل الشكر لأساتذتي في قسم اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية على مساعدتهم و تعاونهم لإكمال دراستي.
- أود أن أعرب عن خالص تقديري ل (م. م. أنسام عادل الخزعلي و م . م مروة خضير عباس الغزالي) ، و زميلتي (شمم صادق) لوقوفهم جنبي في مراحل الكتابة كافة.
- خالص امتناني لزملائي في الدراسة الذين ساعدوني في إمدادي باحتياجات و أفكار هذه الدراسة .
-

الخلاصة

تحاول هذه الدراسة سبر أغوار آيات السنن الكونية في القرآن الكريم وبيان أهم الآليات الحجاجية التي استعملت فيها، وتتبع كل ذلك في كتاب الله الكريم الذي كان ومايزال منهلاً للباحثين لما احتواه من ألفاظ وتراكيب تسر الأسماع وتشفي القلوب والأرواح .

لقد استعملت هذه السنن في الظواهر الطبيعية لبيان قدرة الله تعالى على الانشاء والتكوين بما يخدم البشرية والكائنات الحية جميعها، فهذا الكون العظيم الذي أُنشأ في ستة أيام كان مداراً حجاجياًاستعمل من قبل الباحثين والفقهاء سابقاً في بيان عظمة الله وجميل خلقه.

اتبعت هذه الرسالة المنهج الحجاجي (لديكرو) مع تغير يسير يتوافق مع المنظومة العربية . وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد قسمت الدراسة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، جاء التمهيد على مطلبين مفهوم السنن لغة واصطلاح ومفهوم الحجاج. اختص الفصل الاول بدراسة الحجاج الايقاعي وشَرعَ الثاني بدراسة الحجاج اللغوي ، أما الثالث فقد اهتم بدراسة الحجاج البياني في آيات السنن الكونية . وجاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**1 – 4**
التمهيد	**5 – 19**
المطلب الأول: مفهوم السنن الكونية لغة و اصطلاحاً	6– 11
المطلب الثاني : مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً	11– 19
الفصل الأول: الحجاج الإيقاعي في آيات السنن الكونية	20 – 68
التوطئة	21– 22
المبحث الأول : الفاصلة القرآنية	23– 34
المبحث الثاني : التكرار الحجاجي	35– 39
المبحث الثالث : الجناس الحجاجي	**40– 51**
المبحث الرابع : المقابلة الحجاجية	52– 57
المبحث الخامس : التوازي الحجاجي	58– 68
الفصل الثاني : الحجاج اللغوي في آيات السنن الكونية	**69– 121**
التوطئة	70– 71
المبحث الأول: العوامل الحجاجية	**72– 87**
المبحث الثاني : الروابط الحجاجية	88– 112
المبحث الثالث : السلالم الحجاجية	**113– 121**
الفصل الثالث : الحجاج البياني في آيات السنن الكونية	**122– 153**
التوطئة	123– 124
المبحث الأول : التشبيه الحجاجي	125– 132
المبحث الثاني : المجاز الحجاجي	133– 139
المبحث الثالث : الإستعارة الحجاجية	140– 147
المبحث الرابع : الكناية الحجاجية	148– 153

مسرد النتائج	**159 –154**
مسرد المصادر والمراجع	184 –160
الخلاصة باللغة الإنجليزية	**A - B**

الــمقدّمة

المقدمة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ {الأنعام :1}

والصلاة والسلام على أفصح العرب لساناً و اكملهم بياناً ، محمد بن عبد الله (ﷺ) و على آله المتنجبين الفصحاء الأطهار و صحبه المنتخبين البلغاء الأخيار .

أما بعد :

فقد كان كتاب الله الكريم و ما يزال منهلاً للباحثين ساروا معه ونهلوا من إعجازه و بيانه وجماله الباهر ، لما احتواه من ألفاظ وتراكيب وإيقاع تسر الأسماع وتُشفي القلوب والأرواح، ومع هذه المسحة الجمالية تتظافر فيه أيضاً مسحةٌ حجاجية إقناعية أخّاذة تبرز بنحو واضح عبر المعاني وما بعدها ، فضلاً على احتوائه لجملةٍ من السنن الكونية التي أظهرت المحيط الكوني بالشكل الأمثل والمتناسق الذي جعله أداة حية لإقناع المخالفين للدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد (ﷺ) بتسديد ووحي منه تبارك وتعالى .

لقد استعملت هذه السنن و الظواهر الطبيعية لبيان قدرة الله على الإنشاء والتكوين بما يخدم البشرية و الكائنات الحية جميعها، فهذا الكون العظيم الذي أُنشئ في ستة أيام كان مداراً حجاجياً اورد في القرآن كثيراً ،و بيَّن بعض أسراره و مكامن الجمال فيه فضلاً عن بيانه لبعض الأسباب التي دعت إلى تكوينه ، و خلق المخلوقات فيه ؛ من جمادات بالأشكال كافة و الكائنات الحية التي سارت ضمن مداراته و افانينه و هذا ما أدى بالباحثة إلى أن تتجه إلى دراسة هذه السنن الكونية عن طريق تتبع مواضع الحِجاج فيها ، وبيان ما فيها من قوة إقناعية حجاجية بالبحث الموسوم ((آيات السنن الكونية في القرآن الكريم دراسة حِجاجية)) و بيان العناصر اللغوية التي وُظِّفت في هذه الآيات لتحقيق الاقناع لدى المتلقي عن طريق بيان قدرة الله تعالى في الخلق و الابداع ،بوساطة تتبع ما جادت انامل المفسرين به في هذا الميدان اثناء سبرهم لاغوار النص القرآني و بيانهم ما شع منه من وسائل اقناعية حجاجية .

وقد اتبعت الدراسة المنهج الحجاجي لديكرو ، مع تغيير يسير يتوافق مع المنظومة العربية

وتبعا لمقتضيات الموضوع فقد قسمت الدراسة على تمهيد وثلاثة فصول ، وخاتمة

جاء التمهيد فيها على مطلبين هما :

مفهوم السنن لغةً و اصطلاحاً ، ومواقع ذكرها في القرآن الكريم ، بمعانيها المختلفة .

وفي المطلب الثاني تتبعت الباحثة مفهوم الحِجاج لغةً واصطلاحاً بشكل موجز، لكثرة ما كتب فيه .

واهتم الفصل الأول بدراسة ((الحِجاج الإيقاعي)) الذي يوضح تأثير النغم الصوتي الموجود في آيات السنن الكونية و منها ((الفاصلة القرآنية ، و التكرار ، و الجناس ، و المقابلة ، و التوازي)) ودوره في تحقيق الاقناع .

و اختص الفصل الثاني بدراسة ((الحجاج اللغوي في آيات السنن الكونية)) الذي يتكون من ثلاثة مباحث ، اختص الأول بالحديث عن العوامل الحجاجية التي تضمنتها آيات السنن الكونية في القرآن الكريم ، ومن ثم مبحث الروابط الحجاجية الذي بين تأثيرها في النصوص و ما أدته من وظيفةٍ حجاجيةٍ ،تظهر جلية عندما نكتشف العلاقة المتوفرة بين الجملتين وخُتِم هذا الفصل بالسلالم الحجاجية التي تقوم على تدرج في الحجج للوصول إلى أقواها اقناعًا .

واهتم الفصل الثالث بسبر أغوار ((الحجاج البياني في آيات السنن الكونية)) وبيان الناحية الجمالية و الإقناعية التي ولدتها الأساليب البيانية في آيات السنن الكونية و منها ((التشبيه الحجاجي ، المجاز الحجاجي ، الاستعارة الحجاجية ، و الكناية الحجاجية)) و ختمت الباحثة هذه المدونة بأهم النتائج التي توصلت إليها ثم قائمة المصادر و المراجع التي استقت الباحثة نتاجها منها .

و ختامًا بعد شكر الله سبحانه وتعالى ، أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذي المشرف ، ا .د مسلم مالك الأسدي لما قدّمه لي من خالص النصح وقيم التوجيه والارشاد والتوجيهات المستمرة ، فقد سخر لي مكتبته و ذلل لي الصعوبات ومهما بلغت مني عبارات الشكر والثناء فلن أوفيه حقا أو فضلا ، أثابه الله عني خير الثواب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية المتمثلة بعميدها الاستاذ المساعد الدكتور ضرغام كريم الموسوي ومعاونيه الفضليين، وشكري وامتناني إلى رئيس القسم اللغة العربية الأستاذ المساعد الدكتور صفاء لطيف المسعودي، ولا يفوتني أن اشكر أساتذتي في قسم اللغة العربية جميعهم الذين تزودت من بحور علومهم في مرحلة البكلوريوس والماجستير ولهم مني خالص الثناء والشكر .

و في الختام لا أدعي الكمال لعملي هذا و لكن حسبي ما بذلت من جهد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

1 مفهوم السنن الكونية لغةً و واصطلاحاً

2 مفهوم الحجاج لغةً و اصطلاحاً

ا- السنَّة لغةً :

السُّنَّة في اللغة هي ((الصورة وما أقبل عليك من الوجه ،وقد سننته إذا صوَّرته، وسُنَّة الله : أحكامه وأَمره ونهيه ،وسنها الله بيَنَّها،وسنَّ اللهُ سُنَّة أي طريقاً قويماً، والسُّنَّة السيرةُ حَسَنةً كانتْ اوقبيحةً)) ([1]) ، ويذكرها ابن فارس أن ((السنة السين والنون والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الزمانِ فالسَّنَة معروفة ، قد سقطت منها هاء)) ([2])، وجاء في تهذيب اللغة السُّنَّة هي((الطريقةُ المستقيمةُ المحمودة ، لذلك قيل فلانٌ من أهل السنّة))([3])أو هي ((الشرع فإنّما يُرادُ بِها حُكْمُه وأَمْرُه ونَهْيه)) ([4]).

ب السُّنَة والسنن في القرآن الكريم

وردت لفظة (السنة) في القرآن الكريم ست عشرة مرة مع مشتقاتها ، وصيغة (السنن) وردت في احدى عشرة آية في سياقات مختلفة ، مرة ينسبها الله سبحانه وتعالى للإنسان ومرة أخرى ينسبها الله عز وجل لنفسه مثل قوله تعالى **{ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا }** ([5])، وأيضاً ينسبها لرسله كما في قوله تعالى**{ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً }**([6]).

وقد تأتي كذلك بمعنى ما نشاهده في حياتنا اليومية في التكوين الخلقي ،وبمعنى التربية والمجتمع الانساني ؛لأنها تعبر عن إرادة الله في شؤون خلقه([7]) وسبل عيشهم ([8]) .

([1]) لسان العرب : مادة سنن :13 / 224 -225 .

([2]) معجم مقايس اللغة : 3/ 103 .

([3]) تهذيب اللغة : 12 /298 .

([4]) تاج العروس من جواهر القاموس : 35 / 231 .

([5]) الأحزاب : 38.

([6]) الأسراء : 77.

([7]) ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) ﴾ ، البقرة : 29 .

([8]) ينظر : فلسفة التاريخ : 271 _ 273 .

وتنقسم السنن في القرآن الكريم إلى أقسام عدة منها([1]) : السنن الكونية([2]) التي تتعلق بأمور الكون وما يجري فيه ، والقسم الثاني هي السنن النفسية([3]) وتكون مرتبطة بنفس الانسان ، والسنن الاجتماعية([4]) وتكون متعلقة بالمجتمع ، والقسم الاخير هي السنن التاريخية وتكون مرتبطة بالزمن[5].

يحدها بعضهم عند حديثهم عنها عندما ترد في القرآن الكريم أنها ((الطريقة المتبعة في معاملة الله للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم ، وموقفهم من شرع الله ، وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة))([6]) ، ويعرفها بعضهم بأنها ((الأساليب التي يستخدمها الله تعالى في إدارة وتدبير العلم ، والانسان))([7])

وترد السنَّة أيضاً بمعنى البعد النظامي ، فهي قانون رباني في الوجود ، متاحُ للبشر لا ترتبط به العقيدة أو الدين ، أي هي قوة ضاربة ونعمة وضعها الله سبحانه وتعالى بيد البشر لكي ينسجم معها ؛ من أجل استخلاف الحضارة والعمران والفوز بسعادتي الدنيا والأخرة ([8]) .

وجاءت في القرآن الكريم أيضاً بمعنى العادة والمثال المتبع وهي العادة المعلومة في معاملة الله للأمم السابقة ، أي ثقافة الأمم في تراثهم ، وأحوالهم وأفعالهم ، لهذا دعا القرآن

([1]) ينظر : حركة التاريخ في القرآن الكريم : 226_ 228.

([2]) ﴿ الَّذِي هُوَ يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) ﴾، ال عمران: 6.

([3]) ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾، الفجر : 20 .

([4]) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾ ، الحجرات : 13.

([5]) ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، آل عمران : 140.

([6]) السنن الالهية في الامم والجماعات والافراد والشريعة : 13.

([7]) النظرة القرآنية للمجتمع : 413.

([8]) ينظر: ملاحظات حول السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية : 24 .

الكريم إلى السير في الأرض ([1]) ليقنعوا بشكل تام بقدرة الله ووحدانيته وعمله وتسيير شؤون خلقه جميعاً بما يخدم توجهاتهم وافكارهم المتوافقة مع أسباب خلقهم المكتمل و نقصد بها العبادة لله و الاعتراف و الاقرار بوحدانيته.

إن نظرة القرآن الكريم للسنن تجعل منها الدليل على الاعجاز الكوني والاستخلافي والعمراني ، والحضاري .([2]) لأنها تعكس القدرة التي استعملت لفتق الكون و القوانين الحاكمة التي وضعت لمنع استعلاء احد مخلوقاته على الآخر فالانشاء مصدره واحدٌ،

والزوال سببه واحدٌ أيضاً و هو الله الذي أنشأ الكون وسوف يُزيل عندما تقوم الساعة .

ج السنَّة في الاصطلاح

السنة في الاصطلاح هي ((سنَّة الله في الخلق ، لأنها تمثل حكم الله في مشيئته في خليقته))([3])، أو هي ((الدليل على قدرة الله في تدبيره شؤون الكون ، والحياة والخلق))([4]). والخلق))([4]). **والسنَّة عند المحدّثين** : ((ما أُثِر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل ، أو تقرير أو صفة أو خَلقية أو خُلقية أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها)) ([5]) أو تكون السنة على إمام معصوم تكون بفعل، أو تقرير ، وهذا تعريف عند علماء الحديث الإمامية لمفهوم السنة عندهم ([6])

وهي عند المتكلمين: ((سنن الله وقوانينه و نواميسه التي يدبر على مقتضاها الكون والحياة))([7])، وكذلك أطلقت على أفكار أهل السنة والجماعة ، وهم الذين يكونون مقابلين لطائفة الشيعة ([1]) .

([1]) ينظر: م. ن : 28.

([2]) ينظر : ملاحظات حول السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية : 31 .

([3]) حركة التاريخ في القرآن الكريم : 226.

([4]) ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء مقاربة الحضارية : 22.

([5]) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي : 65.

([6]) ينظر : الموافقات في أصول الشريعة : 4/ 272.

([7]) السنن الالهية في السيرة النبوية : 46.

السنَّة عند المفسرين : هي العادة أو المثال التي فعلها الله بالماضين([2]) أو ما جرى من عادة ما من أحد يستطيع تغييرها وتكون أمراً غير ثابت لذاته ([3]) ، أما في تفسير الميزان فهي ((الطريقة المسلوكة في المجتمع))([4]) ، و تناولها بعضهم بالمعنى هذا بقوله إن مشيئة الله في خلقه تسير وفق نظام ومن سار عليه فقد وُفِّقَ ومن خالفه فقد خسر([5]) و ذكرت أيضاً بمعنى ما جرى على الرسل وقد اضافها إليه سبحانه وتعالى، وإلى الرسل وإلى الناس ([6]) ، وفي الأمثل ((السنن هي القوانين الحاكمة على عالم الوجود بأسره، بأمر الله تعالى ، والتي تقود الكون في مسيره المرسوم له))([7]) ، وكذلك جاءت بمعنى السنن والأمثال التي جرت على الذين سبقوكم ،وكذلك تجري عليكم([8])

د_ السنن الكونية :

تُعَرَّفُ السنن الكونية ((بأنها النظم التي فطر الله عليها الخلق، فكل ما اشتملت عليه هذه النظم، وكل ما اتصل بطبائع الاشياء وخصائصها، وعلاقات بعضها ببعض ، داخل في علم سنن الله الكونية))([9]) وهذا العلم يقابل اليوم العلوم الطبيعية ، ويقصد بها ما طبعت عليه الاشياء، أو علم الفطرة ، وينماز علم السنن الكونية عن العلوم الطبيعية بأنه توضيح لعلاقة الخالق بالمخلوقات ، وأما ما يتشارك معها فهو توضيح طبائع المخلوقات بنفسها

([1]) ينظر: منهج الأشاعرة في العقيدة في تعقيب على مقالات علي الصابوني : 1 / 15 ، حقيقة البدعة و أحكامها : 1 / 268 ، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية على الانترنت https://www.dorar.net/ : 2 / 132.

([2]) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن: 20 / 22.

([3]) ينظر: التفسير الكبير: 21 / 25 .

([4]) الميزان في تفسير القرآن :4 / 21.

([5]) ينظر: تفسير المراغي : 4 / 76 .

([6]) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : 4/ 344.

([7]) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 5/ 75 .

([8]) ينظر: تفسير نور الثقلين: 3 / 199 .

([9]) في سنن الله الكونية : 1.

ولقد درس السابقون طبائع الاشياء للتعرف على حقيقتها من جانب الانتفاع منها في الحياة([1]). فعلم السنن الكونية هو علوم الطبيعية كلها ، أي من الطب والكيمياء، والحيوان والنبات ، والإنسان ...الخ ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ليشمل المستقبل من العلوم التي لا يعرفها الإنسان اليوم([2]) فإذا استطاع الإنسان الجمع بين العلم والدين وهذا ما يسمى بعلم السنن الكونية ، وإن تمكن الانسان أن يدرس الدين بروح العلم من غير أن يضحي بشيء من عبادة الدين من غير أن ينقص شيء من دقة العلم ، و بهذه الدراسة يتم اتحاد القلب والعقل ، وبين العلم والدين وهذا يتم في الإسلام ([3]).((إن الغاية من السنن الكونية هي العبادة ومنها خلق الإنس والجن كما في قوله تعالى ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾([4]) ([5]) فالسنن الكونية كل ما يجري في الكون ومنها نظام الزوجية فكل شيء في هذا الكون له زوج سواء أكان انساناً أم حيواناً، أم نباتاً ويراد به الادارة والحكمة في الخلق([6]). ومن السنن الكونية أيضاً الموت الذي يتحكم في الحياة من دون استثناء فكل شيء له نهاية كما ان له بداية([7]).

و يراد بسنن الله (عز وجل) في الكون هي القوانين تتحكم في الكون وحياة الناس ، فلا تتغير ولا تتبدل و تأتي مجتمعة ([8]) . فمن خواصها الثبات و فقد وجعل لها قوانينَ صارمة شبيهة بالمعادلات الرياضية ؛ لأنها تنظم حركة الكون كله ، فالحياة لا تجري عبثاً دون أن تحكمها ضوابط أو معايير، أمّا الخاصية الثانية فهي العموم و تكون للجميع دون تمييز بين

([1]) ينظر : في سنن الله الكونية : 1 .

([2]) ينظر :م. ن: 1.

([3]) ينظر : م. ن : 2 .

([4]) الذاريات : 56.

([5]) السنن الإلهية في الحياة الانسانية أثر الإيمان بها في العقيدة و السلوك : 2/ 599.

([6]) ينظر : حركة التاريخ في القرآن الكريم : 226.

([7]) ينظر: م . ن : 227.

([8]) ينظر: سنن الله في الكون : https://mawdoo3.com/ .

البشر وسائر الخلائق ، والخاصية الثالثة هي خاصية الاطراد ويقصد بها تكرار هذه السنن([1]).

مما تقدم يظهر إن ،السنن قوانين حياتية صارمة وجدت لتنظيم شؤون الكون العظيم، وتسيير ما عليه من مخلوقاته وتحقيق التجانس والانسجام بينها بما يخدم اصل خلقها، و المخلوق الذي رسم هذا الخلق له (الإنسان) آدم و ذريته من بعده .

2 _ مفهوم الحجاج :

1الحجاج في اللغة

يعد الحجاج من المفاهيم الحديثة التي لها جذور في التراث العربي خصوصاً في المعجمات العربية القديمة ، فالحجاج من ((التَّحاجُّ : التَّخاصُم ، و جمع الحُجَّة : حُجَجٌ و حِجاجٌ . و حاجَّه مُحاجَّةً و حِجاجاً : نازعه الحُجَّةَ . و حَجَّه يَحُجُّه حَجّاً : غلبه على حُجَّتِه والحُجَّةُ : الدليل و البرهان)) ([2]) .

ونجده عند العسكري(ت 395 هـ) ، فهو يجعل بين الاحتجاج و الاستدلال تعالقاً ، و يلتمس بينهما فروقاً لغوية ، فيقول : إن الفرق بينهما هو أن الاستدلال معناه طلب الشيء من جهة غيره ، أما الاحتجاج فهو الاستقامة في النظر، كما يرى للحجة تأثيراً في النفس يماثل تأثير البرهان فيها ، إلا أنها تختلف عنه في كونها مشتقة من معنى الاستقامة في القصد ، فهي مأخوذة من المحجّة ، وهي الطريق المستقيم ، وهذا فعل المستدل ، أمّا البرهان فلا يعرف له اشتقاق ([3]) . ووردت لفظة الحجاج في القرآن الكريم في عشرين موضعاً بمعان مختلفة وتصاريف مختلفة أيضا حسب الموضع الذي ترد فيه إذ جاءت بمعنى خاصم و بمعنى البرهان ، وبمعنى الدليل كما جاءت بمعنى العذر، ومعنى الجدل أيضا وجاءت جميعها بمعنى الاحتجاج مما يدل على أن معنى الحجاج في القرآن الكريم لا يخرج عن معناه المعجمي، فقد جاء في قوله تعالى﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا

([1]) ينظر : م . ن .

([2]) لسان العرب : مادة حجج 2/ 228 .

([3]) ينظر: الفروق اللغوية : 70.

﴿ أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾([1]) فهو في هذه الآية بمعنى الجدل ، و يرد بالمعنى نفسه أيضاً في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾([2]) و ورد معنى التخاصم في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾([3]) .

الذي تناوله المفسرون بمعنى المجادل ووزنه مفاعل و لا يعرف المادة التي اشتق منها ولم يرد استعمال حاجّ فعل بمعنى الخصومة([4]) ومن الغريب استعمال لفظة الحجة بمعنى البرهان على صدق الدعوى ولا تستعمل العرب حاج إلا في التخاصم الذي يكون في الباطل ([5]) فالحجاج عنده قائم على الباطل معتمد في هذا على القرآن الكريم .

بمعنى العذر والتعليل في قوله تعالى ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾([6]) وجاء بمعنى البرهان والدليل في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾([7]) ([8]).

وورد الحجاج بمعناه المعجمي في الحديث النبوي الشريف بمعان مختلفة وهذه طائفة من أحاديث الرسول(ﷺ) ((احتجت النار والجنة)) ([1]) ، قوله (ﷺ) ((تحاجه النار

([1]) : آل عمران : 65 .

([2]) آل عمران : 61 .

([3]) البقرة : 258 .

([4]) ينظر : التحرير و التنوير : 3 / 32

([5]) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : 11.

([6]) النساء : 165 .

([7]) الأنعام : 83 .

([8]) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : مادة حجج / 192 – 194 .

والجنة))([2])، ((حاج موسى آدم))([3])

الحجاج في الاصطلاح

-الحجاج عند الغرب

1 _ الحجاج عند السفسطائيين :

السفسطائية هي جماعة فلسفية وظاهرة اجتماعية ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد وقد إمتاز مكتنفيها باللغة والخبرة الجدلية مما أدى الى تطور البلاغة والحياة الفكرية بصورة عامة لديهم ([4]) .

كانوا يعقدون الاجتماعات ذات الطابع اللغوي الجدلي فيعمدون عبره إلى تعليم من يطلب فن المناظرات والجدل؛ اعتنوا بالطرائق الحجاجية من أجل اقناع أو تغيير مواقف المواجه لهم واستعانوا بأهل الخبرة في مقامات الناس وآليات اللغة بحسب المقاصد و الظروف التواصلية ([5]) ، والحجاج عندهم يكون غير مفيد ولا يكسب الإنسان المعرفة ويكون للعامة: والحجاج عند السفسطائيين يقوم على عمليتين الأولى: تقوم على ثلاث وحدات لغوية هي: المعنى المعجمي ، والمعنى الصرفي و المعنى الصوتي ، أما الثانية فتقوم على التركيب وهو إحداث انزلاق في الحكم ([6]) .

2_ الحجاج عند **افلاطون** .

الحجاج عنده بدأ بمخاصمته للسفسطائيين وكانت الخصومة حول الخطابة ووظيفتها بوصفها مقابلة للعلم /الظن، فالاقناع عنده يقوم على العلم والظن ، العلم القائم على مبادئ

([1]) صحيح مسلم : 2 / 1304 .

([2]) م .ن : 2 / 1304 .

([3]) البداية و النهاية : 3 / 15.

([4]) ينظر : الحجاج في النص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجاً": 29 ، نقلا عن تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر : 85.

([5]) ينظر: البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام "دراسة تداولية " : 37 .

([6]) ينظر :م. ن: 38 .

صادقة وثابتة ، وهذا النوع من الإقناع مفيد ، يكسب الإنسان المعرفة ، أما الإقناع الثاني القائم على الممكن والمحتمل فهو يولد الاعتقاد ([1]) ، وله رأي في الخطابة السفسطائية ، فهو يراها تقوم على الخداع واللذة ، التي تقوم على الظاهر لا الحقيقة ، أي أنها تقوم على الخداع بجعلها عنوانا للتملق بسبب الممارسات التي تخدع الانسان ([2]) إذ جعل لقول الحجاج وزناً هو معيار العلم ، ومعيار الخير ([3]) .

3 _ الحجاج عند ارسطو

يعد ارسطو من أوائل الفلاسفة الذين نظروا للبلاغة نظرة حجاجية وذلك عبر كتابيه (الريطوريقا والبلاغة)و (الحجج المشتركة) ، فالحجاج عنده يوجد في الأفعال الانسانية التي فيها التعقيد والغموض والتي لا يوجد لها نظامُ ولا قاعدة ([4]) ، والحجاج عنده يبنى على أركان متعددة منها : ((اعتماد المنهج الجدلي في بناء القول الخطابي ، فالجدل صناعة ملوكية وبها نبلغ الحقيقة)))([5]) وايضاً اعتماده على ((معرفة أنواع النفوس وما يوافقها من أنواع الأقاويل و مدار هذا الركن مبدأ التناسب بين القول والسامع ، ومع مراعاة المقامات)))([6]) ، فهو يدعو إلى ضرورة الانسجام بين المقال والمقام وكان مهتماً أيضاً بنظام الحجج و استدعائها ، و بنيتها العقلية و هو ما يسمى بالتقنيات العقلية أو سماها بالحجج الصناعية وغير الصناعية ([7]) .

([1]) ينظر : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : 63.

([2]) ينظر : م . ن : 64.

([3]) ينظر: الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي : 11.

([4]) ينظر : نظريات الحجاج : 22 .

([5]) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية : 80 _ 83 .

([6]) م. ن: 81

([7]) ينظر : الدفاع عن الافكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري : 55 .

_ الحجاج عند الغرب حديثاً :

عرَّف بيرمان و تيتكاه الحجاج بأنه ((هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من اطروحات ،أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))([1])، وقد خلصًا الحجاج بما علق به من الخطابة والجدل معاً ، وكذلك عملا على تخليصه من الاستدلال الذي جعل المخاطب به في وضع الضرورة والخضوع ، والاستلاب فللحجاج عندهما معقولية وحرية ؛ من أجل الوصول إلى الارتضاء بين الأطراف المتحاورة ([2])، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل وضعوا له شرطاً يتمثل في الموضوعية في الحوار إذ يقف الطرف الآخر موقف الشريك لا بموقف الخصم العنيد ، والحجاج عندهما يتجاوز الحقيقة المثبتة بل يتعداه إلى قضايا متعددة و متدرجة ([3]) ، كما ذكرا الغاية من الحجاج بقولهما ((غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن بما يطرح عليها من آراء أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان . فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب ، أو هو ما وفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة)) ([4])، و ذكرا أيضاً وظائف الحجاج وحَدُّوها في قولهما ((الأقناع الفكري الخالص ، الاعداد لقبول أطروحة ما ؛ والدفع إلى الفعل))([5]) ، والحجاج عندهما إقناعي يكون إلى الفئة الخاصة ، و اقتناعي الذي يؤمن به كل ذي عقل ويكون هذا للجمهور العام ([6])،والحجاج عند انسكومبر و ديكرو ديكرو فهو ((لكثير من الأفعال القولية وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل. وتحمل الجمل مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية ، باستقلال عن المحتوى

([1]) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : 27 .

([2]) ينظر : أهم نظريات الحجاج في تقاليد الغربية : 298.

([3]) ينظر : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم : 107.

([4]) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : 27.

([5]) الحجاج في البلاغة المعاصرة : 107.

([6]) ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية : 301.

الإخباري))([1]) ، أي يكون للخطاب وظيفة حجاجية ، فالحجاج عندهما يتكون من فعل صريح بالحجة وفعل النتيجة من جهة أخرى تكون أما صريحة أو ضمنية لدى الطرف الاخر ([2]) ، و هو عندهما موجود في اللغة إذ عرَّفا الحجاج اللغوي على أنه خطاب صادر من الشخص المتكلم ، مبني على مجموعة حجج متعلقة بمجموعة من النتائج المسلم بها لدى الشخص المقابل([3]). ووظيفة الحجاج لديهما توجيهية ف ((إن كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم ؛ و الدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنها تُعد فعلا قصديا متميزاً و يظهر تميز قصدية الحجة الموجهة في أمرين هما : عدم انفكاك القصدية عن اللغة وتراتب القصدية))([4]) ، وهذا ما يؤكد أن الحجاج لا لا ينفصل عن اللغة ، واللغة هي ميدان المظهر ذي يظهر فيه القصدية .

-الحجاج عند العرب قديماً:

ورد الحجاج عند العرب قديماً ومنهم محمد بن الحنفية (ت81هـ) إذ يقول فيه ((البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأسهل العبارة)) ([5]) ، أي ربط العقل بالبلاغة ، والعقل يكون مصدر الإقناع ، كما تحدث عنه الجاحظ (ت255هـ) في كتابه البيان والتبين عبر تعريفه للبيان فقال ((البيان اسمٌ جامعٌ لكل شيء كشف لك القناع المعنى، وهتك الحِجَاب دون الضمير، حتى يُفضِيَ السامع إلى الحقيقته ... ومن أي الجنس، كان الدليل ؛ لأن مدار الأمرِ والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنَّما هو الفهم والإفهام ؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع))([6]) ويهتم الجاحظ بثلاث بثلاث وظائف هي ((وظيفة إفهامية، و وظيفة إمتاعية جمالية ، ووظيفة إقناعية حجاجية))

([1]) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية : 106.

([2]) ينظر : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم: 111.

([3]) ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه : 55_ 56.

([4]) اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي : 259.

([5]) كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر :12.

([6]) البيان والتبين : 1/ 76 .

([1]) ، وعنده البلاغة مرادفة للحجاج وهذا خطأ ؛ لأن البلاغة أعم من الحجاج ولكنه جزءٌ من البلاغة ([2])، أما ابن وهب (ت337هـ) فكان الحجاج عنده مرادفاً للجدل حيث عرف الجدل والمجادلة تعريفاً دقيقاً ((فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلفت فيه اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب و الديانات ، وفي الحقوق والخصومات ،وفي التسؤل والاعتذارات))([3]) وقد قسم الجدل إلى قسمين: جدل محمود وهو الذي يقصد به الحق ويستعمل فيه الصدق ، أما المذموم الذي يكون في الرياء و السمعة و المهارة والغلبة ([4]) وجعل للجدل شروط وهي ((لا يقبل قولا إلا بحجة ، ولايرده إلا لعلة ويتجنب الضجر وقلة الصبر ، وألا يستصغر خصمه ولايتهاون ،وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله))([5]) ، أمّا أمّا عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) فقد كان أول من حاول وضع المصطلحات الفلسفية للجهاز الحجاجي الذي يعرفه بأنه((جهاز مفهومي متأصل في المجال التداولي العربي الإسلامي ،... و جعل من مفهوم (الادعاء). بمقتضياته التداولية الثلاثة : (التقرير ، و التحقيق ، و التدليل). أداته الإجرائية الأساسية في وصف آليات الاستعارة . كما استفاد من مفهوم التعارض من غير أن يعرضه عرضاً إجرائياً صريحاً))([6]) أما أبو وليد الباجي (ت474هـ) فنجده يتحدث عنه في كتابه (المنهاج في ترتيب الحجاج)يتكلم فيه عن الجدل الذي يستمد حجته من القرآن ، جاعلاً منه مرادفاً للحجاج كسابقيه وجعله ، وسيلة للاستدلال من خلال المناظرة ([7]) والجدل يكون عنده بالعلم ذاكرا ذلك بمقدمة كتابه مستدلاً مستدلاً بقوله تعالى **{ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ**

([1]) نشأة الحجاج : 14.

([2]) ينظر: نشأة الحجاج :14.

([3]) البيان في وجوه البرهان : 176

([4]) م . ن : 177

([5]) م . ن : 190- 193

([6]) نشأة الحجاج : 15 – 16، نقلاً عن اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي : 313 .

([7]) ينظر : كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج :8.

بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}([1]) ، نستخلص من هذا أنّ أبا وليد الباجي يرى أنه يجب على المناظر أو المحاجج أن يتبع الطرق الصحيحة للجدل لاسيما أنه استمد منارته واسسه من كتاب الله العزيز الذي جعله فلاسفة المسلمين المرتكز الرئيس في تحقيق الإقناع، فيذهب السيد الشريف الجرجاني(ت 816هـ) إلى عد الحجة والدليل واحدا أي دليلا على صحة ما دعا به ([2])،أما الجدل فهو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله : بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه و هو الخصومة في الحقيقة([3]).

_ الحجاج عند العرب حديثاً :

يعرفه طه عبدالرحمن بأنه ((كل منطوق به موجه إلى الغير... لافهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها))([4]) ويقسم الحجاج على قسمين : حجاج توجيهي، وحجاج تقويمي ، والحجة عنده تكون من دون دليل ، كما الحجة عنده مشتقة من (حج) ومن معانيها الرجوع وبهذا تكون الحجة أمراً لا نرجع إليه أو نقصد إليه إلاّلحاجتنا وأيضاً من معانيها افادة الغلبة و تكون عن طريق الزام الخصم بالحجة وبذلك يصير مغلوباً . نستنتج للحجة بأنها بالذات الدليل الذي يقصد للعمل به و لتحصيل الغلبة على الخصم مع نصرة الحق أو نصرة الشبهة ([5]) ، ويحدَّه محمد العميري بأنه ((علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الاقناع أو هما معاً)) ([6])، ويرى بعضهم أنه من الضرورة الاهتمام به عندما أصبح التسلح به أمراً ضرورياً في مواجهة مزاعم المشبهين و المتناولين للتشابه بالقرآن الكريم، كما برزت أهمية الحجاج في الفرضيات الكلامية المتعلقة بالقران الكريم([7]) وحدَّه العزاوي على أنه انجاز المتكلم ويعتمد على وسائل التقديم والترتيب وتسلسل الأحداث

([1]) آل عمران : 66 .

([2]) ينظر : معجم التعريفات : 67

([3]) ينظر : م. ن : 73.

([4]) اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي : 226_227 .

([5]) ينظر : م.ن : 137 .

([6]) البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول : 60.

([7]) ينظر: البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى(ع) دراسة تداولية : 36 .

واستنتاج النتائج حتى يؤثر ويقنع المقابل ([1]) ، فجعل الحجاج وصفاً للغة ، وركز اهتمامه بما يعطي المرسل من سلطة القياس بعد وظيفة الحجاج و هي وظيفة اللغة ([2]) .

مما تقدم في هذا التمهيد نرى أن السنن الكونية و ما ذكر منها في آيات القرآن الكريم كانت ذات مداليل على الطبيعة الكونية التي سخرها تبارك و تعالى لخدمة مخلوقاته عامة و الإنسان بصورة خاصة ، طابعها العام هو خدمته و المساعدة في تسيير اموره ، أما الخاص فهي آيات باهرات ، تجتلب الحاجة منه إلى الفهم لطبيعة الأشياء ، و منها الاقتناع بوجود مسير لما كان أول الخلق و لما سوف يكون في النهاية و العودة إلى المنشىء والمقدر والمصور، أما الحجاج فهو الميدان الرحب الذي سار في فلكه اغلب المفكرين و بمختلف الثقافات فكل فكر اساس عمله هو الاقناع أيّاً كان نوعه أو طريقة بلوغه ، وفي ثقافة العرب والكلام هو مداره والحوار هو المحقق لهذا المدار .

([1]) ينظر: اللغة والحجاج : 8 .

([2]) ينظر : سلطة الكلام وقوة الكلمات : 133 .

الفصل الاول :

الحجاج الايقاعي في آيات السنن الكونية

توطئة :

المبحث الاول : الفاصلة الحجاجية .

المبحث الثاني : التكرار الحجاجي .

المبحث الثالث :الجناس الحجاجي .

المبحث الرابع : المقابلة الحجاجية .

المبحث الخامس : التوازي الحجاجي

توطئة:

الايقاع قانون جوهري متحكم في مختلف مخلوقات الطبيعة فلكل شيء إيقاع منتظم يسيّر عن طريقه الحياة ، ضمن جزئيات تحقق باجتماعها الإيقاع الأكبر للمنظومة الربانية المتحققة ببديع خلق الله تبارك وتعالى .

ويعرف الإيقاع بأنه ((تنظيم متوال لعناصر متغيرة كيفياً في خط واحد بصرف النظر عن اختلافها الصوتي))([1]) أو هو ((انسجام الصورة مع الصوت الذي يُحدث في النفس اهتزازا وشعوراً بالمتعة، وهذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت والصورة فالجذب من قبل النظرة للصورة يقابله الوقع في السمع من قبل الكلمة ، ونقطة التقاطع بينهما إحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع ، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصوت والسمع ويصيران كلاً واحداً))([2]) ، ولهذا يعد الإيقاع عنصراً حيوياً يضيف إلى النص قيمة دلالية جمالية ذلك بالرجوع إلى المفردات والتراكيب الخاصة ووظيفتها في البناء اللغوي وتماسكه بشكل عام ، وللإيقاع تأثير فعال في القرآن الكريم فهو يعد مظهراً من مظاهر اعجازه ، عن طريق ألفاظه وجرسه ، التي تجعل النفس البشرية تميل باتجاهه و بالتالي تحقق الغرض التي تنشده النصوص القرآنية ([3]) .

ومن خصائص الإيقاع القرآني استمرار التجدد فيه ؛ لأنه كتاب لا يشعر قارؤه بملل أو نفور فكلما قرأته أو أنصتَ إليه وجدته غضا جديداً كأنك تقرأهُ لأول مرة ([4]) فهو ((يُوقع في النفس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلب هيبة ، والنفوس خشية ، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين للطباع سواء أكانت فاهمة لمعانيه أم غير فاهمة ، عالمة بما

([1]) الاسس الجمالية في النقد العربي :120.

([2]) البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر : 94 .

([3]) ينظر : الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالاً : 16 .

([4]) ينظر : أساليب التعبير الإيقاعي في القرآن المكي دراسة تحليلية أدبية : 14 .

يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة))([1]) ، وتؤكد الدراسات على العلاقة بين الإيقاع والتأثير ف((إنك إذا قرأت القرآن قراءة سليمة ، وتلوته تلاوة صحيحة . أدركت أنَّه يمتاز بأسلوب إيقاعي. ينبعث منه نغم جميل ساحر يبهر الألباب ، ويسرق الأسماع ويسيل الدموع من العيون ويستولي على الأحاسيس والمشاعر))([2]) ، ولا يتطلب من المقابل في الإيقاع القرآني أن يكون عالماً بالمقامات وضروب الألحان ، بل تكون أهميته في تحقيق الانفعال الذي يحققه القارئ عند قراءته حتى يتمكن من إيصاله للصانتين([3]) ولهذا يجد العرب أنفسهم أمام ((اتساق القرآن وائتلاف حركاته وسكناته ، ومداته ، وغناته و اتصالاته، و سكتاته ، ذلك ما يسترعي الأسماع ، ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام من منظوم أو منثور))([4]) ، فالقرآن الكريم ((جمع بين موسيقى الشعر حيث نغمة الوزن والاهتزاز النفسي ، والوجداني وبين موسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي تحدثه دقة التوزيع وحسنه بين الحروف ذاتها والكلمة والعبارة))([5]) .

وفي هذا الفصل سنحاول تتبع أهم العناصر الإيقاعية القرآنية التي حققت مدلولات إقناعية حجاجية احتوتها آيات السنن الكونية. فجمعت في مضانها بين جمالية الصوت و تراتيله الربانية، وانسابت من بين اصابع تلك التراتيل نفحات اقناعية قرآنية حجاجية ، مرَّت كالنسيم على صفحات الموحدين وغيرهم فجلبت الأسماع و دخلت القلوب من دون استئذان و أهم هذه العناصر نوردها في المباحث الآتية :

([1]) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : 7 .

([2]) الإعجاز في نظم القرآن : 112 .

([3]) ينظر : أساليب التعبير الإيقاعي في القرآن المكي دراسة تحليلية أدبية : 50 .

([4]) م. ن : 13 .

([5]) الظواهر الصوتية وأثرها في قوانين النحو (السجع والفواصل القرآنية) : 3.

المبحث الأول

الفاصلة القرآنية:

تعد الفاصلة عنصراً من عناصر التنوع الصوتي في النص القرآني، وهي ذات قيمة صوتية و لها وظيفة دلالية ؛ لما لها من بعد وعمق ، فهي أحد الأساليب القرآنية الموظفة للصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود([1]) و تعرف الفاصلة القرآنية بأنها((تلك النهاية التي تذيل الآيات القرآنية))([2]) ، ويعرفها بعضهم بأنها ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، ويقصد أن الفواصل تابعة للمعاني و هو قلب ما توجبه الكلمة في الدلالة))([3]) ، فهي ((لم تأتِ لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض ، وهو ما يعبرون عنه بمراعاة الفاصلة، إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله تعالى لغرض معنوي يحتمه السياق ، و تقتضيه الحكمة))([4]) و يقول عنها الرافعي ((ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى ، هي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب))([5])، و تكون قيمتها ((في بلاغة النظم القرآني ، و حلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، و ما كان للقرآن أن يحافظ عليها ، ويختارها بعناية متمكنة في موضعها ، مستقرة في نسقها لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته ، وتحقيق أهدافه))([6]) وتعد الفاصلة ((في القرآن الكريم ركناً أساسياً في تكوين تكوين بنيته الإيقاعية و لها دورها الإيقاعي في نهاية الآي هذا الإيقاع المتعدد الأبعاد ، و

([1]) ينظر : الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية : 68 .

([2]) مباحث في علوم القرآن : 209.

([3]) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : النُّكت في الإعجاز القرآن : 97.

([4]) إعجاز القرآن الكريم : 202.

([5]) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : 245 .

([6]) التناسب البياني في القرآن(دراسة في النظم المعنوي و الصوتي) : 352 .

الذي يبدأ من تشاكل الأصوات وتجانسها تماثلاً أو تقارباً يهدف إلى أحداث تأثير في السامع))([1]) ، وتعد أيضاً ((إيقاعاً متشابهاً تنسجم به الآيات دون تحديد لها فيما إذا كانت حرفاً أو مقطعاً صوتياً أو جملة))([2]) ، وللفاصلة القرآنية وظائف عديدة : منها أنها تعمل على تحسين الكلام وتذوقه وأدراك كمال المعنى أو قارب على الانتهاء حيث يحسن السكوت عليها ، و فضلاً عن الراحة النفسية التي يشعر بها القارئ، وهي تدل على انتهاء الآية ، وتميز بينها وبين التي تليها ، كما تفعله قافية الشعر حيث تميز بيتاً من بيت ، فضلاً عن اختصاصها بدقة النظم وجمال التلاوة ، وتحمل الفاصلة القرآنية أنغاماً ذات إيقاع جميل ، وهذا الجمال الإيقاعي لا يخفى على أحد([3])، وكذلك تعمل على تمكين القارئ من الوقوف عليها دون خلل في القراءة و لا نفور لأسماع الجمهور، وعن طريقها يكون الانسجام والاتساق في السور القرآنية ؛ بسبب ما تحمله من شحنتين في آن واحد شحنة مستمدة من معنى متمم للآية القرآنية ، والأخرى من واقع الموسيقي لها ([4])، و للفاصلة القرآنية دورٌ كبيرٌ في النص القرآني عن طريق أثرها في الإعجاز القرآني ؛ وهذا بسبب تنوع وظائفها إذ لو حذفت من النص القرآني لأختل معنى الآية ([5])، كما أنها تضيف على النص أجواءً موسيقية ، وتجذب السامع إليها ، وبهذا جعل لها قدرة على إقناع المقابل بالنص القرآني و بلاغته وصدق ما جاء به ، ودليل على ما تعمله عند تسلح الكثير من المشركين ضدها ؛ فاستطاعت التغلب عليهم بواسطة اشتراكها مع عناصر موسيقية أخرى موجودة في النص القرآني، تكون متجهزة بصورة تامة الأجزاء([6])، ويتحدث عنها سيد قطب قائلاً : ((هذه

([1]) الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية : 20 _ 21.

([2]) في ظلال القرآن : 1/ 547 .

([3]) ينظر : الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم وإعجازه) : 70 .

([4]) ينظر : التعبير الفني في القرآن : 209 .

([5]) ينظر : الفاصلة في السياق القرآني سورة مريم نموذجاً : 5.

([6]) ينظر : الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم و إعجازه) : 140.

الفواصل متساوية في الوزن تقريبا –على نظام غير نظام الشعر العربي _ متحدة في حروف التقفية تماماً ذات إيقاع موسيقى متحد تبعاً لهذا و ذلك ، وتبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية ؛ لأنه ينبعث من تآلف حروف في الكلمات ، وتناسق الكلمات في الجمل ؛ ومرده إلى الحس الداخلي والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع ، ولو اتحدت الفواصل والأوزان .

والإيقاع الموسيقى هنا متوسط الزمن تبعا لتوسط الجملة الموسيقية في الطول ، متحد تبعاً لتوحد الأسلوب الموسيقي ، مسترسل الرويّ كجو الحديث الذي يشبه تسلسل القصصي. هذا كله ملحوظ .وفي بعض الفواصل يبدو جلياً مثل :﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (20)** ﴾([1]) فلو أنك قلت : أفريتم اللات والعزى ومناة الثلاثة لاختلت القافية ، ولتأثير الإيقاع وكذلك في قوله تعالى ﴿ **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (21)** ﴾([2]) ؟ تلك إذن _ ﴿ **تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)** ﴾ ([3]) ، فلو قلت : ألكم الذكر وله الانثى ؟ تلك قسمة ضيزى لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة (إذن) ولا يعني هذا أن الكلمة (الأخرى) وكلمة (إذن) زائدتان لمجرد القافية أو الوزن فهما ضروريتان في السياق لنكت معنوية خاصة .وتلك ميزة فنية أخرى : أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق، وتؤدي تناسباً في الإيقاع ، دون أن يغطي هذا على ذاك ،أو يخضع النظم للضرورات . وملاحظة اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل تبدو واضحة في كل موضع على نحو ما ذكرنا أو قريباً من هذه الدقة الكبرى .ودليل ذلك أن يعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة ، أو أن يبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو أخرت فيه ، أو عدلت في النظم أي تعديل)) ([4]) ، وقد توافر

([1]) النجم : 19 _ 20.

([2]) النجم : 21 .

([3]) النجم 22 .

([4]) التصوير الفني في القرآن الكريم : 103 – 105 .

توافر الكثير من الفواصل القرآنية في آيات السنن الكونية لإقناع المتلقي بما تطرحه من موضوعات متعددة

فترد الفاصلة القرآنية الحجاجية في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4) ﴾([1]) جاءت الفاصلتان بصوت النون و هو من الأصوات اللثوية ،وعند النطق به يحدث ذبذبة في الوترين الصوتين ويولد صفة الجهر([2])، فالفاصلتان في ((يَتَفَكَّرُونَ)) و((يَعْقِلُونَ)) ، ولدتا إيقاعاً صوتياً جعل مكونات النص مترابطة ، وقد أدى هذا الترابط إلى معرفة المعنى المطلوب في الآية ، وهو التفكر والتعقل في بينات الله والإيمان بقدرته وأن جو الآية هو اللين و الهدوء ففي الفاصلة القرآنية الأولى ((يَتَفَكَّرُونَ)) دعوة إلى تفكر بقدرة الله المبدعة ، ولكثرة مشاهد الظواهر الكونية الحسية في هذه الآية المباركة ؛ نراها خُتمت بما يدعو إلى التفكر وهو أمر يتناسب مع الحالة الحسية ، أما في الفاصلة الأخرى ((يَعْقِلُونَ)) قد عملت على ما يثير العقول وينبه الأفهام وختمت بما يناسب ذلك([3])،وأن النص القرآني هذا يتحدث عن ظاهرة إبداعية حتى يعقب بعد ذلك بعرض الظواهر الكونية التي تكون مرتبطة بالفكرة الرئيسة التي يحوم حولها النص القرآني؛ وهي تشكيك الناس بالحق الذي أنزله الله تعالى وقد استعمل في هذا النص أدوات فنية في صياغته ، ووظف عناصر لفظية وإيقاعية وصورية متنوعة في هذا الصعيد، لكي يوضح للشاك و يقنعه بما طرح ، والوصول إلى المعنى المراد([4]) وتتألف

([1]) الرعد : 3 _ 4.

([2]) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 325.

([3]) ينظر : الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم و إعجازه) : 156.

([4]) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : 2 / 383 –384 .

هاتان الفاصلتان من إيقاع واحد ، وتأخذا نفساً واحداً ، وجواً واحداً وتفعم النفس، وتزحم الحس بالصور والظلال والمشاهدة والخوالج التي تأخذ النفس من أقطارها جميعاً، فاذا هي مهرجان من المشاعر ، والصور ، والإيقاعات و الاشراقات ؛ التي تجعل القلب يرتاد آفاقاً واكواناً وعوالم وأزماناً ، وهو مستيقظ ، مبصر ، شاعر بما يموج حوله من المشاهدات والموحيات ، أنها ليست ألفاظاً وعبارات ؛ إنما هي مطارق وإيقاعات صورت مشاهدها وظلالها وموسيقاها ولمساتها الوجدانية التي تكمن فيها وأن موضوعها الرئيس هو العقيدة وقضياها ومنها التوحيد و الألوهية والربوبية ، وتوحيد الدنيوية لله وحده لا شريك له في الدنيا والآخرة جميعاً ، وقضية البعث هي تناول عرض موضوعها بعرض مؤثرات وموحيات ذات إيقاع جديد وإيحاء جديد وهذا عرضٌ لم يكن جدلياً بارداً ؛إنما هو عرض حول عجائب هذا الكون كله و ما فيه من براهين ، هذه القضايا وآياتها في الإدراك البشري البصري المفتوح ومنها الأرض الممدودة وما فيها من رواسي وأنهار جارية ، وجنات وزرع ونخيل مختلف الأشكال والطعم والألوان ، وينبت فيها قطع متجاورات وتسقى بماء واحد([1]) و ((بسطها وسعها ((رَوَاسِيَ)) جبالاً ثوابت ((يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ)) يلبس ظلمة الليل وضياء النهار ((قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ)) أي متقاربات ومنها السهل ومنها سبخة ومنها صلب مع اشتراكها في الأرضية ((وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ)) جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد))([2]) .

وأن الله سبحانه وتعالى قد حاججهم بأنه عرض عليهم نصاً قرآنيا ذا ظواهر كونية لكي يقنعهم بقدرته على البعث من جديد بأسلوب هادئ وليّن ، وبوساطة فاصلة قرآنية ذات إيقاع موحد؛ وهذا الإيقاع يعمل على أخذ نفس واحد ، وبجعل النفس ذات حس عند مشاهدة صور وظلال هذه الظواهر ، وتكون هذه الفواصل بمثابة مطارق وإيقاعات تجعل القلب مبصراً وشاعراً بما حوله من مشاهدات وإيحاءات ، وجرسها الموسيقي يلمس الوجدان ، وفي

([1]) ينظر : في ظلال القرآن : 4 /2039 _2040 .

([2]) تفسير المعين للواعظين والمتعظين : 249 .

النهاية فهي تثبت سيطرتها بالكامل على النفس البشرية وجدانياً ونفسياً وعقلياً بإقناعه بما تريد منه وهو الإيمان بقدرة الله في البعث من جديد.

وترد الفاصلة الحجاجية أيضاً في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) ﴾([1]) إذ كلمة ((مُبِينٌ)) و ((رَمِيمٌ)) ففاصلتين في هاتين الآيتين و قد اتفقتا في الإيقاع الصوتي ، فصوت النون في ((مُبِينٌ)) هو من الأصوات اللثوية المجهورة التي يكون لها وقع في السمع ، أما صوت الميم في ((رَمِيمٌ)) فهو من الأصوات الشفوية المجهورة ، وأن الجو العام للنص القرآني ينتابه الهدوء ؛ بسبب الفاصلة التي تعطي الدعم الصوتي الذي يعد وسيلة قوية لإقناع السامع، وعملت على الاستقرار السمعي لديه ، وساعدت على سرعة إدراك الأخبار ونلاحظ في هذا الخطاب القرآني ((قِصَر الفواصل مع سرعة الإيقاع يطبع النص بطبع خاص فتتلاحق إيقاعاتها ، وتدق على الحس دقات متوالية ، يعمل على مضاعفة أثر ما تحمله معها من الصور والظلال التي تخلعها المشاهدة والمتابعة للنص القرآني . وهي موحية ومتنوعة وعميقة الآثار))([2]) فعملت هذه الفاصلة على استمالة مشاعر المتلقي لإقناعه بقضية البعث والنشور من جديد إذ تكون مصحوبة بمؤثرات مناسبة لجوها ومتناسقة مع إيقاعها وصورها ومن هذه المؤثرات أو المشاهدات الكونية مشهداً النطفة ثم مشهد الإنسان وهو خصيم مبين([3])، ويستعرض في هذا النص مشاهد مفصلة ذات مؤثرات قوية في إيقاعاتها العميقة وتكون متجهة إلى إظهار القدرة التي تفعل كل شيء في هذا الكون وتمسك بمقاليد الأمور كلها، ومن هذه القدرة خلق الإنسان من نطفة وإحياء رميم العظام بعد موتها كما أنشأها أول مرة([4])، ويقول فيه إن الأنسان الذي ينكر يوم النشور نسي إنا خلقناه

([1]) يس : 77 _ 78.

([2]) في ظلال القرآن : 5 / 2956 .

([3]) ينظر : م. ن : 5 / 2956 _ 2957 .

([4]) ينظر : في ظلال القرآن : 5 / 2974 .

من نطفة حقيرة مهينة ضعيفة على الرغم من ذلك يكون بيّن الخصومة ، وهو لم يستدل على هذا و أنكر البعث مع أنه قد خلق من هذه النطفة أفليس الله بقادر على إعادته بعد موته ؟ وضرب مثلاً هذا الانسان الناكر ليوم البعث الذي نفى عظمة الله وقدرته على أن يعيده مرةً أخرى من جديد ، فهل نسي خلقه من منيء فهو أغرب من إحياء العظم والرميم اسم لما يلي من العظام أي أنه استبعد إعادة الله له وهو ذو القدرة التي خلق بها السموات والأرض ، والاجساد والعظام الرميمة ، ونسي نفسه ، وأنه تبارك وتعالى قد خلقه من العدم إلى الوجود و يقول سبحانه وتعالى ((قل يحييها الذي أنشأها)) أي الذي خلقها أول مرة وهو عليم لا يخفى عليه شيء ومنها أجزاء الحي بعد موته وإن تفرق البر والبحر قادر على أن يجمعها ويعيدها، فهو تبارك وتعالى يعلم بسائر العظام في أرجاء الأرض وأين ذهبت وتفرقت وتمزقت([1]) و ((هذا النص كله إيقاظ للوجدان والأحاسيس وتحريك للمشاعر ، وفتح نفاذ القلوب لكي يتبادر بالإقرار بالخالق وتوحيده والإيمان بالبعث والجزاء))([2]) ، و ((ألم يعلم كل أنسان أننّا بدأنا خلقه من نطفة (مني) من ماء مهين وهي أضعف الأشياء ثم جعلناه بشراً سوياً ، وثم يفاجئنا بأنه ناطق مجادل جريء في جداله فقوله ((خَصِيمٌ)) ناطق و((مُبِينٌ)) إشارة إلى قوة عقله والمراد من أنكر البعث ألم يستدل بالبدء على الإعادة فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شيء ضعيف حقير فشأن هذا المخلوق أن يشكر الله على هذه النعمة ،لا أن يطغى ويتجبر وينكر البعث والإعادة ((ضَرَبَ)) أي ذاكراً أمراً عجيباً كالمثل في الغرابة على استبعاد إعادة الله ذي القدرة العظيمة للأجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه ، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود ، فأنكر أن الله يحيي العظام البالية قائساً قدرة الله على قدرة العبد حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر))([3]). قد وظف سبحانه وتعالى الفاصلة لإقناع المتلقي بقضية البعث والنشور وابراز

([1]) ينظر : الأساس في تفسير القرآن : 8 / 504 _505 .

([2]) تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 11 / 631 .

([3]) تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 12 / 62 .

قدرة الله التي تعمل كل شيء في هذا الكون ، وتمسك بمقاليد الأمور ؛ ومنها خلق الإنسان من نطفة وإحياء العظام بعد موتها كما أحياها أول مرة ، وهذا كله أتى بأسلوب هادئ وإيقاع سريع ،وفواصل قصيرة وهذه الأمور كلها أثرت في وجدان المتلقي وعقلية ومشاعره من أجل الإيمان بالله وبقدرته ، والانتقال بالمتلقي من مكان إلى مكان آخر عن طريق الصور وظلالها ، وما تحمله من مشاهدة تكون موحية.

وترد الفاصلة القرآنية في قوله تعالى ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِي الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) ﴾([1]) .

يقسم الله سبحانه وتعالى بعناصر كونية لإقناع المتلقي بحقيقة الوحي و الرسالة عن طريق هذه العناصر، التي يشاهدها الناس مثل النجوم ، التي تظهر في الليل ، وتمحى في النهار وأما الليل إذا أقبل في ظلامه وتمدد في الآفاق و يأتي بعده الصباح كما أعتاد عليه الناس وقد اختار التعبير القرآني هذه السنن؛ لأن لها فواصل تنتهي بصوت السين وهو صوت رخو مهموس مرقق ، يكون مناسباً لسكون الليل وهدوئه وأيضاً تسكن فيه الحياة ، وتختفي الأصوات والضجيج، وبذلك تتحول الحياة إلى همس خفي ، وهذا كله من أجل التناسب مع الصوت المهموس الرقيق ، وكما أن محو النجوم بالنهار ، وبروزها بهدوء في الليل يناسب أيضاً صوت السين ، وانفلات الصبح من عتمة الليل يكون بهدوء ورفق ، يتلاءم أيضاً مع صوت السين ، فكأن الليل يخنق الدنيا بظلامه فلا يسري عنها إلا بتنفس الصبح وهكذا تسير الحياة مع سريان النَفَس في السين فتجد الدنيا في استراحة مع الصبح وانبعاث من جديد، أي كانت في الليل كأنها ميتة([2]) ، وأن الخنس و هي الكواكب السبعة الشمس والقمر، وزحل والمريخ ، وعطارد ،الزهرة ، والمشتري، وهناك قول للإمام علي (ع) يقول عنها خمسة ماعدا الشمس والقمر حيث تجري الخمسة من الشمس والقمر حتى ترجع

([1]) التكوير : 15 _ 18 .

([2]) ينظر : طلائع البشر في توجيه القراءات العشر : 189 .

وتختفي بضوء الشمس وقيل النجوم كلها ؛لأنها تكنس في الليل وتخنس في النهار أي تختفي ، وقيل أيضاً تطلع في أماكنها كالوحوش في كنسها ، وقيل عنها بقر الوحوش ؛ لأنها تفعل هذه الأفعال في كنائسها، و((عَسْعَسَ)) أي أقبل بظلامه ويرجح مقابلة ((وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)) فهما حالتان أقسم بإقباله وإدباره وتنفس كونه يجيء معه روح ونسيم([1]) و ((فيها ثروة من المشاهدات الرائعة سواء في هذا الكون الرائع الذي نراه ، أو في ذلك اليوم الآخر الذي ينقلب فيه الكون بكل ما نعهده فيه من أوضاع وثروة وكذلك من التعبيرات الأنيقة : المنتقاة لتلوين المشاهد والإيقاعات وتلتقي هذه وتلك في حيز ضيق ، فتضغط على الحس وتنفذ إليه بقوة و إيحاء))([2]) وفي هذا النص القرآني تنتهي فواصله جميعها بصوت السين ، الذي يكون رقيقاً ينساب إلى الآذن بسلاسة وسهولة ويسبب لها صفيراً استعمل في الفاصلة لاستمالة المخاطب وذلك للتأثير العاطفي والنفسي وخلق جو من المؤثرات تلائم الصورة لإقناعه بالرسالة والوحي ، وأنهما من الله سبحانه وتعالى ومن آجل إقناعه بهذا أقسم له بمشاهدات طبيعية اعتاد على رؤيتها كل يوم ، وأن هذه المشاهدات كلها من الله وكذلك الرسالة والوحي منه أيضاً .إنها اشارة حجاجية واضحة لقدرة الله تبارك و تعالى تعمل في تسيير شؤون خلقه و جعلهم متنعمين في ملكوته و رحمته و هداياه الكثيرة التي لا تعد و لا تحصى إنه اقناع للمتلقي بالعظمة الربانية أن يعود إلى الصواب.

وترد الفاصلة القرآنية في قوله تعالى ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (18) وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (19) وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (21) لِلْطَّاغِينَ مَآباً (22) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (23) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً (24) إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً(25) جَزَاءً وِفَاقاً (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً (28) وَكُلَّ شَيْءٍ

([1]) ينظر : تفسير البحر المحيط : 8 / 425 .

([2]) الأساس في تفسير القرآن : 11 / 6389 _ 6390 .

أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (33) وَكَأْساً دِهَاقاً (34) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (36) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً (39) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (40) ﴾([1]) و جاءت في هذا النص القرآني فاصلة الباء وهي الأغلب لما يناسب مع ما تحمله السورة من موضوعات عن يوم القيامة ، وصوت الباء هو صوت شفوي مجهور شديد قوي ، وأن سبب الشدة أنه لا يوم أشد من يوم القيامة ، وقد عبر عنه التعبير القرآني بكل الأصوات كالصاخة والطامّة وغيرها ، وأما من ناحية الجهر فهو يوم مشهور لدى الخلائق ، وقد تحدث عنه الأنبياء وحذرت أقوامها منه ؛ لأن فيه دلالة الوضوح والاشتهار ، ويدل الجهر والشدة على ثقل وزن هذا اليوم إذ يساوي ثقل السموات والأرض ، وأن سبب اختيار فاصلة الباء لقربها من مخرج الفم وسهولة نطقها ، وهذا يشير لقرب يوم القيامة الذي يكون للناس بعيداً ، والسهولة فيه تشير إلى سهولة إعادة الناس وبعثهم وأن ذلك هين على خالقهم ([2]) و ((وتكون ذات طرقات عنيفة قوية عالية بإيقاع واحد ونذير واحد... ومن هذا الحشد من الحقائق والمشاهد والصور والإيقاعات يعود بهم إلى ذلك النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون والذي هددهم به يوم يعلمون ! ليقول لهم ما هو ؟ وكيف يكون ((إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً)) يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا . ((وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً)) و((وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً)) ثم مشهد العذاب بكل قوته وعنفه ((إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (21) لِلْطَّاغِينَ مَآباً (22) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (23))) ... ومشهد النعيم كذلك هو يتدفق تدفقاً ((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (33) وَكَأْساً دِهَاقاً (34) لا

([1]) النبأ : 17 – 40.

([2]) ينظر :الفاصلة في الجزء الأخير من القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية :77– 78.

يَسْمَعُونَ فِيهَا)) ويختم السورة بإيقاع جليل في حقيقته ، وفي المشهد الذي يعرض فيه بإنذار و تذكير قبل أن يجيء اليوم الذي يكون فيه هذا المشهد... ((إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا))))([1]) و بعد أن وضح تبارك وتعالى لهم الدلائل الباهرة ألزم عليهم أمر يوم البعث حتى لا يجدوا سبيلاً لكي يتهربوا منه، وبعد ذلك هددهم أشد تهديد بأن الساعة آتية لا محالة و فيها قضاء بين الحق والباطل والحساب والجزاء ((إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً)) هذا اليوم يكون مؤقتاً بأجل معلوم عند الله لبعث الأولين والآخرين ولا يزيد عليه يوم ولا ينقص عنه ، ((يَوْمَ يُنفَخُ)) و فيه توضيح كيف يكون يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال و قوله ((يَوْمَ يُنفَخُ)) بدلٌ من يوم الفصل أو عطف بيان مفيد لزيادة تهويله وتفخيمه بمعنى أن يوم الفصل هو يوم النفخ في الصور الذي يحدث فيه ما يحدث وهو يقصد بالنفخة الثانية لإسرافيل (ع) وعلينا أن نؤمن بهذا اليوم وليس علينا أن نعلم حقيقة هذا الصور ((فَتَأْتُونَ)) أي بعثكم من قبوركم فتأتون إلى الموقف وأيضاً ((وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً)) أي تكون بشكل شقوق اتخذتها الملائكة طرقاً ومسالك نزولهم وإذا تشققت حدث الاضطراب في نظامها وذهب تماسكها فهي تكون كالأَبواب ، إذ تكون الجبال بهذا اليوم متفتته بعد اقتلاعها من مقرها وسيرت في الجو على هيئاتها وبعد ذلك يأتي مصير المكذبين ، وبيان ما يلاقوه من عذاب جهنم التي تكون دار إقامتهم لا يخرجون منها أبداً ، وتكون موضعاً للترصد والترقب ، وترصد فيه خزنة النار الكافرين ليعذبهم وترصد للمؤمنين ليحرسوهم من قبحها في مجازهم عليها ، و ((لا يَذُوقُونَ)) لا يذوقون في جهنم شيئاً من برد و المقصود به النسيم ، الذي يريحهم و ينفّس عنهم نار جهنم ، ولا يذوقون شراباً يروي غليلهم ويسكن عطشهم ((إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً)) يتجرعون الماء الحار البالغ الحرارة وغساقاً هو ما يسيل عن جلود عرقا أو دموعاً وهذا جزاء ما صاروا إليه من العذاب وفقاً لإعمالهم السيئة في الدنيا وهذا استحقاقهم لأنهم كانوا لا يخافون أن يحاسبوا على أعمالهم التي اقترفوها وكل هذا أنهم كذبوا بآيات الله الدالة على يوم البعث ،

([1]) في ظلال القرآن : 6 / 3800 _3802 _3803 .

التي انزلها على رسله ، وأن كل أعمالهم بجملتها حفظناها و ضبطناها بإحصائنا لها إحصاءً تاما بجعلها ((كِتَاباً)) مصدراً مؤكداً لأحصينا وذلك بسبب الكتابة والاحصاء و يشاركان في معنى الضبط ويحدث بسبب كذبهم وكفرهم بالحساب والجزاء و تكذيبهم لآيات زيادة في عذابهم وحيث يكون هذا العذاب مزيداً يوماً فيوماً ([1]) ، وقوله تعالى ((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً)) أن جزاء المتقين نجاتهم من العذاب ودارهم الجنة التي يوجد فيها حدائق مثمرة وأعنابٌ طيبة وعذارى متماثلات في السن وأيضاً فيها كأسٌ ممتلئة صافية وكذلك لا يسمعون فيها كذباً ولا لغواً من القول ، وهذا كله جزاءٌ عظيمٌ من فضل الله واحسانٌ كافيٌ ، وحيث لا يمكن لأي أحد مخاطبة الله سبحانه وتعالى رب السموات والأرض وما بينهما ، يكون يوم القيامة أن كل من الملائكة وجبريل لا يتكلمون إلا بأذن من الله سبحانه وتعالى ويكون الكلام بالصواب ، وذلك اليوم لا شك فيه ، فمن شاء اتخذ إلى الله مرجعاً عن طريق الإيمان والعمل الصالح ، و من يفكر أن يعمل عكس هذا قد حذرناه من عذاب قريب وقوعه ، وعندما ينظر المرء إلى نفسه و ما قدمت يداه من عمل يقول الكافر يا ليتني بقيت تراباً فلم أبعث ولم أحاسب متمنياً ذلك([2]) .

أننا امام صورة و مشهد سينمائي متعدد الانماط فكل شيء قد رسم المحاكمة قد اعدت وجلبة حكم سوف يصدر أمام الملأ كلٌ يأخذ ما جنى و كلٌ يستوفي ما عمل وجاءت الفاصلة مؤكدة على ما سيحدث و على العبد أن يرعوي و أن يساير الصواب فالقيامة آتية لا يأس فيها و لا جدال .

([1]) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم :10 / 1749 -1750- 1751- 1752- 1753- 1775.

([2]) ينظر : المنتخب في تفسير القرآن الكريم : 879 _ 880 .

المبحث الثاني

التكرار الحجاجي:

التكرار ((هو إعادة اللفظة في سياق واحد لمعنى واحد))([1]) ، أو هو ((شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً)) ([2]) ، ويمتاز التكرار في القرآن الكريم بقوة التنظيم و عذوبة الألحان و يكون إيقاعه مما تطرب له الأذان ، و يحرك القلوب، مع تحقيقه لوظيفة تأثيرية حجاجية ، لها أثر نفسي في اقناع المتلقي مع ما يعاد و يكرر، لهذا يكون التكرار في القرآن الكريم حكيماً و مقصوداً ، فعندما تكرر الكلمة تكون مقصودة لحكمة ما ، مهما كان المكرر: لفظةً أو فكرةً أو معلومةً أو معنى([3])

والهدف من التكرار هو ((توفير طاقةٍ تحدث أثراً جليلاً في المتلقي ، وتساعد على نحو فعال في إقناعه أو حمله على الإذعان ؛ ذلك أن التكرار يساعد أولاً على التبليغ و الإفهام و يعين المتكلم ثانياً على ترسيخ الرأي و الفكرة في الأذهان ، فإذا ردد المحاجج لفكرة ما أو حجة ما أدركت مراميها ، وبانت مقاصدها و رسخت في ذهن المتلقي))([4]) ، فالتكرار في النص يخدمه عن طريق معاودة النص المكرر الثاني ، فالنص المكرر الثاني يحيل إلى النص الذي قبله بصفةٍ جديدة ؛ من حيث أن الباث يكرره لغرض دلالي ، والهدف منه التأثير والإفهام كما وضحناه سابقاً أو ترسيخه ([5]) ف((التكرار لا يأتي إذن في الكلام إلا لغاية حجاجية لأن ذلك الترديد الذي يحدثه المرسل في خطابه ينتج زيادة في حضور الفكرة

([1]) القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته : 19.

([2]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : 24.

([3]) ينظر : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني : 311 .

([4]) الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه : 168.

([5]) ينظر : أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير و تطبيق على السور المكية) : 154.

في ذهن المتلقي، الأمر الذي يؤدي إلى قبول الفكرة والإقتناع بها))([1]) ؛ لأنه يمنح آليات حجاجية و تأثيرية جديدة إلى العلاقة السابقة ([2]) .فالتكرار القرآني ((ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة و الملل أو التكرار المولد للخلل و الهلهلة في البناء ، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة ، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدةً ، باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام ، و هو أيضاً التكرار الذي يضمن انسجام النص وتولده و تناميه))([3]) ، و يكون في القرآن الكريم ((آية في الحسن ، لا تمل منه النفس و لا تصد عنه الأذن ؛ لأنَّه اعتمد على أسباب جعلت كل مكرر جديد في موطنه))([4]) .

وعند تتبع آيات السنن الكونية نجدها تحفل بالتكرار و من المواضع التي ورد فيها التكرار قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) ﴾ ([5]) وقد توفر هذا التكرار في ظاهرة كونية تكون في الوقت نفسه علامة من علامات يوم القيامة لفظة (دكا) لإقناع المتلقي بهذه الحادثة و تبقى في تفكيره ، وهذا التكرار شكل نغماً إيقاعيًا موسيقياً دالًا على العنف و التخويف مؤثرًا على سمع المتلقي بوساطة التأثير في المتلقي فكريًا و وجدانيًا، و كرر الدك و جعل الدك مرةً بعد الأخرى حتى يجعلها هباءً منثورا ، و التكرار هذا الأقربُ أن يكون من التأكيد وما سيحدث في هذا اليوم ، وأن الأرض هي المكان الذي توجد فيه الحياة والتي يتوفر فيها المتاع و الزخرف ، و تشيد المباني ذات العماد ، والدك هو الهدم حتى تكون مستوية فيزول كل ما أرتفع عن الأرض كالجبال و

([1]) الحجاج في كتاب المثل السائر : 81 .

([2]) ينظر : الخطاب و الحجاج : 51.

([3]) م. ن : 48.

([4]) فنون البلاغة بين القرآن و كلام العرب : 36.

([5]) الفجر : 21 _ 22.

المباني ، وبما ينخفض أيضاً كالخور والوديان، و الدك هو دليل على أحداث الساعة وأهوال يوم الحشر و البعث ([1]) ومن خلال هذا النص يوضح الله سبحانه وتعالى ما يحدث بهذا اليوم من الأهوال العظيمة و تكون ردعاً وزجراً نتيجة أفعالهم القبيحة ، فتهدم الأرض بهذا اليوم عن طريق الدك و الزلزلة مرة بعد مرة حتى تتكسر و تفتت ويصبح كل ما على وجهها هباء منثورًا كالجبال و القصور و المباني العالية ، و يأتي هذا الدك بعد النفخة الثانية فتصبح الأرض شبيهة بالحجارة الملساء، وقوله تعالى ((وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)) والغاية من هذا التكرار هو التهويل ، باختياره سبحانه وتعالى جماعة يمثلون و يوضحون آياته و اقداره وسلطانه وطريقة مجيئهم من غير تكييف ، ((وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)) و المراد به جنس الملائكة في السموات والأرض جميعًا ، ومجيئهم من بين يدي الله سبحانه وتعالى و يكونوا مصطفين، أي ينزلون من السماء فيصطفون صفا بعد صف حسب مراتبهم و محدقين بالأنس و الجن ، و أن ملائكة السماء تكون صفًا حول الأرجاء ، وعدد صفوفهم سبعة ، وهذا التكرار وضح الهيئة و العظمة ، و ظهور السلطان الإلهي في ذلك اليوم ([2]) و ((والدك هو أحد الأنقلاب الكوني التي تقع يوم القيامة ، فأما مجيء ربك بالملائكة صفاً صفا فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته و نحن في هذه الأرض . لكنا نحس وراء التعبير بالجلال والهول .كذلك مجيء جهنم نأخذ منه قربها منهم و قرب المعذبين منها و كفى ، فأما الحقيقة ما يقع و كيفيته فهي من غيب الله المكنون ليوم المعلوم و أنما يرتسم من وراء هذه الآيات ،ومن خلال موسيقاها الحادة التقسيم ،

و الشديدة الأسر، مشهد ترتجف له قلوب ،وتخشع له الأبصار .والأرض تدك دكاً دكاً ! ، والجبار المتكبر يتجلى و يتولى الحكم و الفصل ، و يقف الملائكة صفًا صفًا .ثم يجاء بجهنم فتقف متهيأة هي الأخرى !))([3]) و قد عمل هذا التكرار جوا من الخوف و الذعر في

([1]) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : 2 / 154_ 155.

([2]) ينظر : التفسير الوسيط للقران الكريم :10 / 1905 .

([3]) في ظلال القرآن :6 / 3906.

نفس المتلقي؛ لأن لفظة الدك و تكرارها في النفس أدت إلى انطباعها في الفكر و التفكير بها و يكون هذا الدك أحد علامات يوم القيامة و اعطته التفخيم و التهويل لهذا اليوم و هو ظاهرة كونية بجعل الأرض هباء منثورا بعد ما كانت فيها المرتفعات و المنخفضات .

و يرد التكرار في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ **الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)** ﴾ ([1]) ، تكررت لفظة القارعة لما لها من دور حجاجي ، عن طريق تأثيرها على قرع القلوب ، و القرع هو الصوت العالي ؛ وذلك لإقناع المتلقي بها ، ضمن بنية الاستفهام ([2]) ، و أن ((التكرار يساعد على التبليغ والإفهام و يعين المتكلم ثانياً على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان))([3]) لذا ((فمن البديهي أن التكرار ضمن بنية الاستفهام ، جاء ليضيف قوة تأثيرية فقد غدت لفظة القارعة (المكررة) حجة تغذوها نفوذ محتواها ، وحضورها في الذهن ؛ لأن القارعة أصبحت لازمة نصية ، عمقت الحجاج في سياق الاستفهام التقريري))([4]) ، و ((لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة : ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ؟)) فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك ، و أن يلم بها التصور! ثم الإجابة بما يكون فيها ، لا بماهيتها .

فماهيتها فوق الإدراك و التصور))([5]) ، و يذهب بعضهم إلى ((تهويل شديد بثمانية طرق وهي : الابتداء باسم القارعة المؤذن بأمر عظيم، و الاستفهام المستعمل في التهويل ، و الإظهار في مقام الإظهار أول مرة ، والاستفهام عما ينبئ بكنه القارعة ، و توجيه الخطاب

([1]) القارعة : 1 – 3 .

([2]) ينظر : أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي (تنظير و تطبيق على السور المكية) : 159 .

([3]) الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه : 168 .

([4]) أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي : 159 .

([5]) في ظلال القرآن : 6 / 3961.

إلى غير معين و الإظهار في مقام الإضمار ثاني مرة ، والتوقيت بزمان مجهول حصوله ، وتعريف ذلك الوقت بأحوال مهولة))([1]) .

استغلت منظومة التكرر بشكل كامل ما يبن تكرار كلمة القارعة ، و عنفها المفرط المتلاحق وقرعها الشديد و مشهده الصاخب و بين الاستفهام ودوره في إعادة تشكيل مشهد يتوقف المتلقي متسائلاً متحلقاً في القول فكل إعادة كانت تشير إلى القوة ،تشير إلى حقيقة الحدث وحقيقة وقوعه وشدة هذا الوقوع ، حدثٌ حاصلٌ لا محالة ؛ لذا فما على الإنسان حتى يخفف عليه الفعل و القرع ، أن يؤمن بالقادر و المقتدر على كل شيء.

فالتكرار ولَّد عند وروده في مختلف النصوص القرآنية في السنن الكونية أثراً في اظهار قوة الله وشدة بأسه و قدرته غير المحدودة في الإنشاء والإعادة والإزالة لكل ما هو عظيم وشديد في عرف الإنسان و لكنه عنده تعالى هين حقير لا تكلف عليه عندما يزول و ينثر أمام الخلائق . إنها آيات واضحات لمن في قلبه ذرة شك في قدرته و مقدار جبروته .

([1]) التحرير و التنوير : 30 / 512 .

المبحث الثالث

الجناس الحجاجي :

في الجناس ((تتفق الكلمتان في اللفظ و تختلفان في المعنى))([1]) وهذا التعريف يستكشف طبيعة الجناس إذ يكون ذي طبيعة تكرارية أصلها معاودة الألفاظ مع الاختلاف في المعنى والجناس ((أحد الآليات البلاغية التي تزيد في جمالية الخطاب من ناحية ، و تفيد التأثير من ناحية أخرى ، حيث يختار المخاطب الموضع المناسب لاستعماله الجناس لاستمالة نفس المخاطب حتى يتغلغل المعنى في ذاته دون شعور منه ، ومنه يحصل الإقناع))([2]) وهو بذلك ((يمثل ثنائية صوتية تتوافق فيها الصورة بين الكلمتين))([3]) ، ويكون الجناس ذي جمالية معينة مع التكرار في جرس الألفاظ ، ويقوم الجناس على أساس الاشتراك اللفظي، و هو بذلك يكون ضرباً من ضروب التكرار ، الذي يؤدي إلى تقوية نغمة جرس الألفاظ([4]) كما يعمل على التجاوب الموسيقي ، الذي يكون خارجاً عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً كان أو ناقصاً بجعل القلوب تحبب إليه و تستسيغه الأسماع ؛ لأن الألفاظ المشتركة إذا حملت على المعنى ثم جاء ثانياً بعد ذلك ، كانت النفوس تتشوق إليه ، ويعد الجناس صميم البلاغة وداخل في جوهرها وذلك لكونه متعلقاً بما يقصده المتكلمون والبلغاء وما يهدفون إليه و تكون مقاصدهم عن طريق الأساليب و الصور المختلفة للجناس، وهذا اللون يكون له مدخلٌ في الإيقاع الصوتي ، ويمكن العثور عليه بكل سهولة في بلاغة الأساليب ، وهو لا يقصد منه الزينة والزخرفة فحسب ، بل إن التزيين به يعطي الخطاب جمالاً وحسناً دون حدوث خلل في بلاغته ، والدليل على هذا علو شأنه و رفعة مكانته بين

([1]) أساليب البديع في القرآن الكريم : 110 .

([2]) شرح عقود الجمان في المعاني و البيان : 325 .

([3]) أساليب البديع في نهج البلاغة ((دراسة في الوظائف الدلالية و الجمالية)) : 67 .

([4]) ينظر : جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب : 270 .

الفنون الأدبية ([1]) ، فضلا عن أثره الحجاجي ، والحجاج في الجناس يعمل على استمالة أذن المتلقي للخطاب ، والانصات إليه ؛ لأن النفس تحبذ المكرر من الخطاب مع وجود الاختلاف في المعنى . والجناس الحجاجي _ بغض النظر عن أنواعه في آيات السنن الكونية يعمل على استمالة السامع عن طريق اعتماده على الجمال النفسي الذي يحدث اهتزازاً في أوتار القلوب و يعمل أيضاً بخاصية التأثير في المتلقي بالاعتماد على التجاوب الموسيقي التي تؤديه الكلمات المتماثلة تماثلاً كاملاً أو ناقصاً([2]) .

ويرد الجناس الحجاجي في آيات السنن الكونية ، في مواطن عديدة ومنها قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) ﴾([3]) يرد الجناس في هذا النص القرآني في لفظتي ((السَّاعَةُ)) و ((سَاعَةٍ)) تكون الساعة الأولى معروفة : ويقصد بها يوم القيامة و هو يوم معروف وهذا الآخر دليل على دقة مجيئها وحسابها وانضباط وقتها وهذا لا يدوم طويلاً ؛ لأن النغمة نفسها ستتكرر في ((سَاعَةٍ)) التي يقصد بها معنى آخر وهو المدة الزمنية وذلك لكونهم لم يعيشوا في الدنيا غير ساعة من الزمن ولم يبقوا في قبورهم غير ساعة من الزمن ، وبسبب إحساسهم بقصر الوقت تعبيراً عن هول يوم القيامة المفاجئ ؛ إذ لا توجد لفظة أخرى تأخذ موضع هذه اللفظة وتكون قادرة على إعطاء هذا الاحساس أكثر من كلمة ((السَّاعَةُ)) ، ونوع هذا الجناس جناس تام وفاءً للمعنى ودقة في الأداء ، وتصويراً للمفاجأة ، ومدى وقعها على هؤلاء الكافرين([4]) فاعتمد هذا النص القرآني على التجنيس التام بين لفظتي ((مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)) و ((سَاعَةٍ)) وهذا الجناس لا تنحصر جماليته في توافق أصوات اللفظتين فقط بل يتجاوز إلى عنصر الاختلاف المعنى بين الكلمتين ، فالكلمة الأولى هي ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَاعَةٍ)) تدل على

([1]) ينظر : المنهاج الواضح للبلاغة : 1/ 179.

([2]) ينظر : السور القصار في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) : 118 .

([3]) الروم : 55 .

([4]) ينظر : اساليب البديع في القرآن الكريم : 120 _121 .

الأهوال الضخمة التي تكون مرافقة ليوم القيامة ، وبينما الكلمة الأخرى ((مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)) تكون الأولى وهي تهوين اللبث بحيث خيل للمجرمين بأنهم ما لبثوا غير ساعة .

وأن التجانس بين قيام يوم الآخرة و إحساس المجرمين بعدم لبثهم غير ساعة وبين فكرة السورة التي تقوم على قضايا يوم القيامة فالملاحظ من حيث وظائف البناء المعماري للنصوص الفنية إنّ النص لا يقتصر فقط على فخامته و إحكام بنائه في ترابط موضوعاته المختلفة فقط ، بل يتمثل في إحكام البناء في جناس عناصره الفنية : كالإيقاع والصورة مع الفكرة التي يقوم عليها النص ، في المقطع الذي تكلمنا عنه ، وأن الجناس عنصر الإيقاع (وهو التجنيس بين (السَّاعَةُ) _ وهي يوم القيامة) وبين ((مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)) وهو التقدير الخاطئ في تقدير الزمن ،فيما يظهر مثل هذا الجناس بين عنصر الإيقاع و بين فكرة النص التي تدور على قضايا يوم القيامة عن مدى إحكام البناء الفني للنص _ من حيث صلة أجزائه بعضها مع بعض بالنحو الذي وضحناه([1]) و يقسم المشركون ما لبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة ، وقيل اقسموا أنهم مامكثوا في الدنيا غير ساعة لاستقلالهم مرةً في الدنيا ، و قيل يحلفون ما لبثوا بعد عذاب القبر غير ساعة وهناك أقوال عديدة عند حلفهم الكذب مع معارضتهم في الآخرة ، ومن هذه الأقوال أنهم حلفوا باعتمادهم على الظن و لم يلبثوا في قبورهم أي تقدير قولهم : ما لبثنا غير ساعة في ظنوننا و القول الآخر أنهم استقلوا في الدنيا لما عاينوا من الآخرة و تقدير هذا القول ما الدنيا مقارنة في الآخرة غير ساعة فاستقلوا إذ اشتغلوا في مدة يسيرة بما أورد تلك الأهوال الكثيرة ، و القول الاخير أن يجوز يقع منهم قبل إكمال عقولهم ، و قوله تعالى ((كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)) أي أنهم كانوا في الدنيا يكذبون أو يصرفون صرف جهلهم عن الحق في الدارين ومن استدل في هذه الآية على نفي عذاب القبر فقد أبعد ، لما بيَّنا أنه يجوز أن يريدوا لم يلبثوا بعد عذاب الله إلا ساعة([2]).

([1]) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : 3/ 425 _ 426.

([2]) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : 8 / 56 .

وقد وظف الجناس التام الحجاجي في هذا النص لما له من أثر على سمع المتلقي لإقناع السامع بيوم القيامة ، ومدته ، وكذلك مدة إيام الدنيا التي عاشوها أو الأيام التي قضوها في قبورهم إذ كانوا يظنون مدتها مجرد ساعة زمنيةً واحدةً وهذا تقديرهم الخاطئ للزمن بسبب احساسهم بأهوال يوم القيامة وطول مدته .

ويرد الجناس الحجاجي التام في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ(43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ (44) ﴾([1])، والجناس التام في لفظتي ((بالأَبْصَارِ)) و ((الأَبْصَار)) إذ أنهما مختلفتان في المعنى، إذ فالأولى بمعنى العيون التي ترى ، وهي جمع بصيرة ، أمّا الثانية فهي للعقول أو القلوب أو للتفكير، و هي جمع بَصُر لذلك استعملت الأولى للتعبير عن رؤية السحب المجتمعة، و ما ينتج عنها من أمطار ، وصواعق ، تستحق المشاهدة و التأمل فيها والانبهار من قدرة الله سبحانه وتعالى ، وتقلب الليل يناسبه الإبصار بالفكر ، و هاتان اللفظتان متفقتان في الإيقاع ، إلا إنهما مختلفتان في المعنى ضمن إطار في السياق وذلك لإتمام المعنى المراد و فضلاً عن الجمال الموسيقي النابع من تردد نغمة الأبصار مرتين([2]) وأن الله سبحانه وتعالى يسوق الغيوم ويربط بين أجزائها فتصبح كأنها قطعةٌ واحدةٌ ثم يجعلها متراكمةً بعضها فوق بعض فتشاهد المطر يخرج من فتوق ، أي ينزل المطر من جبال في السماء وهي جبال من البرد ، وهذا البرد يصيب الله به من يشاء فيفسد زرعه وأمواله، ويدفع ضره عمَّن يشاء و يوجد فيه ضوء له القدرة في خطف الأبصار من شدة ضوئه، وبعد ذلك يذهب بالليل ويجيء بالنهار أو العكس ، أو ينقص أحدهما ، أو يزيد

([1]) النور : 43 _ 44 .

([2]) ينظر : أساليب البديع في القرآن الكريم : 121 _ 122 .

الآخر، وأن هذا التقلب يكون عبرةً لأصحاب الاعتبار([1]) و هذا النص يعرض صوراً من القدرة الإلهية و الحكمة والعلم و هي الموجبة لله تعالى أي لم ينته إلى علمك يا رسولنا أن الله يسوق الغيوم برفق وسهولة ثم يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً بعضه فوق بعض فترى المطر عن طريق شقوق حيث يوجد جبل هو فتوق بين السماء و هو مظهر من مظاهر قدرته، وينزل البرد من جبال متراكمة فيهلك ماشية وزرع من يشاء و يدفع ضره عمن يشاء وهذا مظهر من مظاهر لطف الله ، و يكون لمعان برقه شديد الضوء يخطف به الأبصار التي تشاهده ، وعندما يظهر الليل يخفى النهار ، وعندما يحدث العكس يخفى الليل ، وعند إنزال البرد و لمعان البرق وتقليب الليل و النهار و هذه الأبصار تهديهم إلى الإيمان بالله وجلالة([2]) ومن خلال هذا الجناس يتضح أن هناك ظواهر كونية تحتاج أن يعاد النظر إليها من خلال البصر مثل مشاهدة نزول المطر عن طريق السحاب و هنا الحكم الفصل هو العين ، أمَّا الظواهر الأخرى من السنن الكونية وهي تقليب الليل والنهار فتحتاج إلى التفكير فيها والتبصر بها من خلال العقل لا العين ويكون الحد الفاصل هو القلب ، وإن كل من النظر والتفكير يؤديان إلى الهداية و الإيمان بالله وحده أثناء استعمالهما .

ويرد الجناس الحجاجي الناقص أيضاً في قوله تعالى ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)** ﴾([3]) و الجناس في ((السَّاقُ)) و ((الْمَسَاقُ)) و زيدت الميم فأصبحت كلمة مكونة من أربعة أحرف ، فضلاً عن الجانب الموسيقي في الألفاظ وظاهرة التكرار لحرفي السين والقاف ، و السين من الأصوات الخفيفة على اللسان في عملية النطق و أن سبب اختيار المساق دون غيرها من العبارات ؛ لأن الساق آلة السير و اختير لها كلمة المساق لوجود التناسب في مضمونها و شكلها و حركة الالتفات ، وفيها دلالة على شدة

([1]) ينظر : فتح الرحمن في تفسير القرآن الكريم : 4 / 547 _ 548.

([2]) ينظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : 3 / 578 _ 579 .

([3]) القيامة : 29 – 30.

الخوف والهلع ، والهول التي تصاحب الإنسان في تلك اللحظات([1]) و ((ساقه بساقه أي التوت عليها عند الموت ، و هي شدَّة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ، أو السياق مثل ما في الشدَّة هما ساقاه حيث يلتفتان في أكفانه ، ((الْمَسَاقُ)) يساق إلى الله وإلى حكمه))([2]) ويذكر الطبري معنى هذا النص ((هو إلتفات ساق الدنيا بساق الآخرة ؛ وذلك لشدة رعب الموت ، و الشدة هو المطلع ، والعرب تقول : لكل أمرٍ شدة قد شَّمر عن ساقه ، وعني عز وجل – بقوله هذا التصقت إحدى الشدّتين بالأخرى ، والمساق يعني المسافة))([3]) و ((المراد بها ساق الميت عند تكفينه أو يراد بها عند شدَّة المرض ؛لأنه يقبض ، ويبسط ويركب أو سوق حاضريه من الإنس والملائكة بسبب تجهيزهم لروح الإنسان إلى السماء أو يحضرون جسمه إلى القبر ، ((إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)) أي إلى حكم ربك وعدله أمَّا بالجنة أو النار))([4]) ، وعمل هذا الجناس على توفير ثروةٍ موسيقية بسبب ما تحمله العبارات من أصوات لها موقع مميز في سمع المتلقي تجمع بين الخفة و القوة ، التي تجعل المتلقي يشعر برعب و ذعر بأهوال يوم القيامة أو الموت و لا توجد لفظة أخرى تؤدي هذا الغرض بسبب تناسب محتوها مع محتوى اللفظة الأخرى .

ويرد الجناس الحجاجي الاشتقاقي في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) ﴾([5]) ، والاشتقاقي في ((ثَمَرِهِ)) و ((أَثْمَرَ)) وهذا الجناس يولد إيقاعاً

([1]) ينظر : التلخيص في علوم البلاغة : 390.

([2]) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل : 1162 .

([3]) مختصر من تفسير الأمام الطبري : 2 / 424 .

([4]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 1926 .

([5]) الأنعام : 99 .

موسيقياً يؤثر على أذن المتلقي للنص القرآني ، و يجلب الانصات إليه ؛ لأن النفس تستحسن المتكرر من الخطاب لكن يوجب اختلاف في المعنى وهذا يؤدي به إلى إقناع المتلقي بما أراد منه الله سبحانه وتعالى وأن تكرار الجناس أدى إلى استطالة النص واستمراره دون شعور بالملل في نفس المتلقي و ((انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)) ، والجناس هنا اشتقاقي أيضاً ومعنى هذا أن الثمار من ابتداء خروجها وصولاً إلى نضجها وكيف يتحول حالها من حيث الشكل و اللون ، والرائحة ، وإذا أثمر هذه الثمار يكون بعضه مالحاً وبعضه مراً ومن بعد ذلك ينضج ويصبح حلواً طيب المذاق نافعاً ،ويجب أن ننظر إلى هذه الآية نظرة باصرةً؛ لأن هذه الثمار و اختلاف أنواع النبات من حيث الاشكال و الألوان كلها تكون دلائل باهرة على وحدانية الله لقوم يصدقون بوجود الله ، ويصدقون أن الذي أخرج هذه النباتات قادر على أن يحيي الموتى([1]) ، ((أي بقدر مباركاً ورزقاً للعباد وإحياءً و غياثاً للخلائق، ورحمة من الله بخلقه ((فَأَخْرَجْنَا بِهِ)) كقوله تعالى ((وجعلنا من الماء كل شيء حي)) ((فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً)) أي زرعاً وشجراً أخضراً ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر ولهذا قال ((نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً)) أي يركب بعضه بعضاً كالسنابل ((وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ)) أي جمع قنو وهي عذوق الرطب و((دَانِيَةٌ)) أي قريبة من المتناول ويقصد بها قصار النخل اللاحقة عذوقها بالأرض ، و قوله تعالى ((وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ)) وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز ربما كانا خيار الثمار في الدنيا ، وقوله ((وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ)) متشابهة في الشكل ومختلفة في الثمار شكلاً وطعماً و قوله ((انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)) أي نضجه أي فكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود ، بعد ماكان حطباً ، صار عنباً رطباً وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى ، من الألوان والأشكال ، والطعوم والروائح ...((إِنَّ فِي ذَلِكُمْ)) **أيها الناس** ((لَآيَاتٍ)) أي دلالات على كمال قدرة الخالق

([1]) ينظر : صفوة التفاسير : 1 / 408 _ 409 .

وحكمته ورحمته ((لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) أي يصدقون به ويتبعون رسله))([1]) واستعمل الحجاج الإيقاعي وهو الجناس الاشتقاقي ليكون دليلاً قاطعاً على قدرة الله ، و وحدانيته في الخلق ، إذ تكون الألفاظ متشابهة في اللفظ، و مختلفة في المعنى، تقع على الحس وتجعله يشعر بموسيقى الألفاظ التي تكون جرساً إيقاعاً على سمع المتلقي وتجعله يقنع ويتأكد من قدرة الله في إحياء الموتى ويكون هذا النص موجهاً إلى الذين أمنوا بالله و صدقوا رسله ليزيدهم إيماناً بالله.

واستعمل الجناس الاشتقاقي الحجاجي في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89) ﴾([2]) وظف الجناس الاشتقاقي في هذا النص القرآني في لفظتي (فَرَوْحٌ) و (رَيْحَانٌ)) مشتقة من الفعل (رَوَحَ) ، وعمل الجناس الاشتقاقي عن طريق صيغ المتعددة على جذب السامع وأحدث في نفسه التلذذ بالموسيقى ذات النغمة العذبة ، وقال الرازي ((في معنى الروح فيه وجوه الأول : هو الرحمة ، والثاني الراحة ، والثالث الفرح ، وأصل الروح السَّعة ، ومنهم من قال : المراد هنا ما هو المراد ثمة ، وإما الورق و إما الزهر وإما النبات المعروف))([3]) و الروح هي الرحمة التي تكون بمثابة الحياة بالنسبة للميت ، وقيل عنها هي روحه التي تخرج في ريحان ، وقيل روح البقاء ، وهذان لهما معنيان هما : الرزق مع الخلود ، وله معنى آخر هو النبات المتعارف عليه في الدنيا ، يلقي المقرب ريحاناً من الجنة ، وقيل هو ظرف كل بقلة طيبة فيها أوائل النور ، وهناك قول للرسول (ﷺ) عن الحسن والحسين (عليهما السلام) ((هما ريحانتاي من الدنيا)) ، والريحان بما تنبسط به النفوس ([4]) ، و الروح ((الرحمة من الله و سرور بنعمة الله و

([1]) تفسير العلي القدير : 2 / 144.

([2]) الواقعة : 88 _ 89 .

([3]) التفسير الكبير : 29 /202.

([4]) ينظر : تفسير البحر المحيط : 8 / 215.

الرحمة تناسب سعتها و علوها بقدر الراحم، فإذا كانت الرحمة من الله فهي رحمة لا حدود لها، والريحان نبات أخضر غض طري له رائحة طيبة وهو النبات المعروف لكن ريحان الجنة شيء آخر غير الذي نعرفه في الدنيا ، إن الحق سبحانه وتعالى لما أراد أن يعطينا وصفاً لنعيم الجنة لم يصف النعيم ذاته إنما وصف مثالاً له كأنه فوق أن يوصف بكلمات نحن نعرفها و المتأمل في نعيم الجنة يجد أنه يستوعب جميع حواس الإنسان ففيه متعة التذوق في الطعام والشراب ، والفاكهة و الماء والعسل واللبن ، وفيه متعة رؤية الحور كاللؤلؤ المكنون ، ورؤية الغلمان الحسان وغيرها))([1]) و تكون الروح و الريحان للمرحوم الذي يكون قربه الله في جناته والروح هي المغفرة وأصله قولهم وجدت روحاً إذا وجدت نسيماً يستروح من الحر، وأمّا الريحان فهو الريحان الذي يتلقى به عند الموت ، فلم يكن أحد من المقربين يفارق الحياة حتى تؤتي بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض على روحه ، وقوله ((وَجَنَّةُ نَعِيمٍ)) أي له بستان نعيم يتنعم فيه([2]).

عمل الجناس الاشتقاقي الحجاجي على جذب المتلقي ، عن طريق التلذذ في الموسيقى العذبة التي يولدها عبر صيغه من أجل إقناع المتلقي بالجنة المتلقي الذي لا يعترف بوجودها ووجود الحياة بعد الموت ؛ ولذلك وصف الله الجنة التي ينالها المقربون وصفاً يكون معروفا لديه ، وعن طريق إيقاع هذا الجناس الذي يؤثر على حواس الإنسان حتى يستطيع أن يحس ويقنع بالجنة باستعمال أمثلة يستطيعون رؤيتها من خلال حياتهم مثل استعمال حاستي الذوق والأبصار حتى تتقرب لديهم صورة الوصف للجنة .

ويرد الجناس الاشتقاقي الحجاجي في قوله تعالى ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) ﴾([3])، فإن الجناس في لفظتي ((وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ)) مما عمل على اتساق النص بتقديمه الدعم الموسيقي الذي يشعر المتلقي بجو ينتابه الهدوء والارتياح والسعادة

([1]) تفسير الشعراوي : 24 / 135 _ 136 .

([2]) ينظر : جامع البيان في تأويل أي القرآن : 7 / 214 _ 215 .

([3]) الرحمن : 54 .

بعد إقناعه بوجود الجنتين وهو لا يستطيع تخيلها إلا من بعد ما أعطاه الله سبحانه وتعالى اشارات صوتية ، إذ تردد صوت الجيم والنون أعطى نغمةً موسيقية ذهبت بذهن الشخص إلى هاتين الجنتين و ما فيهما من أشياء ، وجنتان مشتقتان من الفعل جَنى ، ((وتجتنيه قائماً أم قاعداً أم مضطجعاً ، ولا يرد يده بعد أو شوك ، وإن الجنتين أراد بهما حقيقة التثنية وأن لكل جنس من الجن و الإنس جنةً واحدةً))([1]) ، و تفسير هذا النص: أي ما تحتويه الجنتان من أشجار و ثمار ، إذ تكون في متناول الشخص سواء كان قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً، وفضلاً عن الفراش الموجود فيهما الذي يكون من ديباج ثخين وهذا هو بطانته فيكيف يكون ظاهره حيث يكون من سندس ، و قيل من نور، و المتكئين حال من الأحوال و نصب على المدح([2]) ، و ((الجنى ما يجتنى من الثمار ويريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد ، والنائم ، وتدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله سواء كان قائماً أو قاعداً ، ولا يوجد شوك يرد يده))([3]) و قد ذكر الجنتين و ما فيهما من مغريات لتحبيبها للمتلقي وسهولة الحياة فيهما ، إذ تكون حسب هيأة المتلقي و جاء هذا النص للترغيب وهذ كله بسبب جرس الألفاظ الذي اطلقه الجناس الاشتقاقي .

و يرد الجناس الحجاجي الاشتقاقي في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) ﴾([4]) و قد عمل الجناس الاشتقاقي جواً موسيقياً يلقي في نفس السامع الرعب والهلع و الذعر ؛ لإقناعه بشدة يوم القيامة وما فيه من أهوال عظام ، وإن الدعم الصوتي لصوت الجيم و هو من الأصوات القوية والانفجارية([5]) أعطى لهم تصويراً عن أحداث مرعبة في يوم القيامة

([1]) تفسير البحر المحيط : 8 / 196 .

([2]) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 8 / 185 .

([3]) تفسير البغوي (معالم التنزيل) : 1263 .

([4]) النازعات : 6 .

([5]) ينظر : الاضطربات النطقية في صوتي الشين و الجيم في العربية : 1044.

والراجفة مشتقة من الفعل رجف ، فالراجفة ((متعينة في الحركة و الارتجاف ؛ وأنه يقال : إن كل الحوادث فيها شيء من الارتجاف المادي أو المعنوي ، وهي من ارهاصات القيامة))([1])، و الراجفة هي الصاعقة التي تهز أركان الكون جميعا فلا يبقى شيء ثابت يعتمد عليه الانسان سوى الحق فضلاً عن اهتزاز الضمير ، ومن الناحية الأخرى يزداد المرء خوفاً و هلعاً حينما يعلم ما المطلوب منه ، و للراجفة معنيان هما الحركة و الصيحة ، فتسبب للقلوب الهلع و تبعث نحو التفكير الجدي فيما يفعل بنا غداً([2]) ، وهذا الجناس الذي دّل على علامات يوم القيامة و رسم لوحةً مرعبةً من هذه الأصوات تولدها الإيقاعات الموسيقية من تردد النغمة بتردد حروف الكلمات ، و بينت كيف يكون هذا اليوم عن طريقها و ما يصاحبه من أهوال تلقى الرعب في نفس المتلقي ، والجناس قد أوصل هذه الأمور إلى مخيلة السامع عند سماعه للنص القرآني و يرافقه شعور بالقلق ، والخوف في نفسه. يحاول استثمار ذلك الخوف لتحقيق الأقناع ، و تحقيق الايمان التام بوجود مدبر للأمور من البعث و من قبله التكوين و الولادة لكل ما هو على البسطة من مخلوقاته .

و يرد الجناس الاشتقاقي في قوله تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) ﴾([3]) ، و إن المعروف في الجناس الاشتقاقي يأتي عن طريق صيغه المتعددة على جذب السامع و إحداث التلذذ في نفسه بالموسيقى ذات النغمة العذبة لإقناع المتلقي من خلال الناحية النفسية ؛ لهذا اختار الألفاظ الدالة على موقف يوم القيامة ألفاظ بلغة الاشارة ، قوية الوقع بعنفها كالزلزلة ، و هي الحركة العنيفة و المضطربة الشديدة و تأتي في الحسيات مثل زلزل الأبل ساقها حتى يضطرب سيرها ، و تزلزلت الأرض ، أي اهتزت و ارتجفت ، و تأتي لوصف الشدائد و الأهوال ، و في هذا النص جاءت لوصف يوم القيامة ([4]) ، و عمل هذا

([1]) منة المنان في الدفاع عن القرآن الكريم : 5 / 266 .

([2]) من هدى القرآن : 12 / 14 .

([3]) الزلزلة : 1 .

([4]) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : 1 / 79 _ 82.

الجناس لإقناع المتلقي بهذا اليوم ، عن طريق ما يحدثه من إيقاع له أثر على سمعه و تكون ذات نغمة قوية على أذن المتلقي فضلاً عن تأثيره في نفسه و تفكيره بهذا اليوم ، ولفظة ((((زِلْزَالَهَا)) تعني أن الأرض بأجمعها تهتز في ذلك اليوم و هو يختلف عن الزلزال العادي في الموضعية عادة أو أنها إشارة الزلزلة المعهودة أي زلزلة يوم القيامة))([1]) ، وهي أيضاً ((أي إذا تحركت الأرض من أسفلها حركة شديدة و اضطربت اضطراباً هائلاً حتى يتكسر كل شيء عليها))([2]) .

وظف هذا الجناس الاشتقاقي في هذا النص لإضافة التهويل ليوم القيامة لإقناع المتلقي عن طريق هذه الظاهرة الكونية ، وأن هذا الزلزال يعرفونه لكن زلزال الأرض بهذا اليوم يختلف بشدته ووضعه ، و بين هذا الجناس كيف تكون الأرض في هذا اليوم و هذا توضيح؛ لمن يشك فيه . لقد استثمر الجناس الحجاجي بأنواعه كافة الاهتزازات الصوتية ، و النغم بأشكاله المختلفة في جذب الاسماع و من بعدها القلوب و العقول إلى الصورة الحية و المشهد المتحرك للكون و مخلوقاته ، وحوادثه جميعهاً والاستقلال ، كل ذلك لتحقيق الإقناع بالتوحيد بالربوبية وبالقدرة الربانية في تشكيل الاشياء و تحقيقها بما يخدم المخلوقات على هذه البسيطة و قدرته على استرجاعها أول العهد إلى اليوم الموعود إلى يوم القيامة .

([1]) الأمثل في تفسير الكتاب الله المنزل : 15 / 367.

([2]) تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 15 / 753.

المبحث الرابع

المقابلةالحجاجية :

من الفنون التي تجمع في مضامينها بين الجلبة الإيقاعية والمعنى البديعي البلاغي، لتحقق أكثر من غاية جمالية و معنوية تنتقل في بعض المواضع إلى أسلوب حجاجي إقناعي .

و تعد ((المقابلة إحدى طرق الحجاج في القرآن الكريم ، فهي إذن تقابل بين شيئين بغية معرفة إيهما أقدر على التأثير في الآخر إذ تعلق الأمر باحتياج أحدهما الأخر))([1]) ، و المقابلة هي ((أن يأتي المتكلم بلفظين أو بمعنيين متوافقين فأكثر ، ثم يأتي بضديهما بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب))([2]) ، ولها تسميات متعددة فهي ((مجاورة ، الأضداد ، و الطباق، والمطابقة ، والتكافوء ، والمطابق والمتضاد ، من معاني الألفاظ ، والتطبيق والبديع ، والتضاد ، والمقابلة))([3])

و تتداخل المقابلة مع الطباق في بعض جوانبها و التفريق بينهما يكون على أساس الكم فالطباق قائم على أساس الكم فوجوده يعتمد على التقابل أو التضاد بين لفظتين ، أمّا إذا زاد التقابل على لفظتين فهي مقابلة ([4]) ، و تعد المقابلة نسقاً جماليًا يتحلى بالتناغم الإيقاعي للألفاظ من ناحية المعنى و من ناحية الأصوات ، لتشكيل تماثلات متشاكلة أو متضادة على وفق مقتضى الحال ولها تناظر حسن و قبول في نفس المقابل([5]) ، وهي ((تقوم هذه التقابلات على أساس التناسب من أجل بلوغ غاية حجاجية))([6]) ، و تكون ((إن محسناً

([1]) الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً : 125.

([2]) اساليب البديع في القرآن الكريم : 296.

([3]) الطباق في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) : 2.

([4]) ينظر : بديع القرآن : 56.

([5]) ينظر : التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية أسلوبية) : 161 ، من بلاغة أسلوب المقابلة في القرآن الكريم : 21 _ 22.

([6]) أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي (تنظير و تطبيق على السور المكية) : 196.

لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر .يبدو معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة . وعلى عكس من ذلك ، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المُحَسَّنَ سيتم إدراكه باعتباره زخرفه ،أي باعتباره مُحسَّنَ أسلوب؛ و يعود ذلك إلى تقصيره على أداء دور الإقناع))([1]) ، و ((بإخفاء أبعاد حجاجية للمحتج به عن طريق التقابل يوسع الحيز بذكر مقابلة الضدي بغية إعطاء زخم إقناعي ، يستوفي الفكرة بإسناد تعارضي لها أسهمت في تجديد الرؤيا للتقابل على أسلوبه التأثيري الإقناعي ؛ لما يحتويه من علاقة اتجاهية نحو البروز عن طريق الضد))([2]) ، فالمقابلة تعتمد على المفارقات في أطروحاتها التي ((تنتزع لإثبات صحتها عن طريق الصراع مع أطروحات مختلفة عنها ، أنَّه نوع من التواصل و الحوار المفضي إلى الاتصال في شبكة من الأنساق الفكرية الحاملة لخطابات متنوعة))([3]) .

وعند تتبع مواضع ورود المقابلة في آيات السنن الكونية التي تدل على إبداع الخالق في هذا الكون و جذب المتلقي و التأثير فيه من خلالها قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) ﴾([4]) ، فالمقابلة بين لفظتي ((الليل والسكون)) وبين ((النهار و الحركة)) و جاءت بالترتيب ، إذ جعل هناك علاقة بين الليل والسمع؛ لأن في الليل يقوى السمع لكثرة السكون بسبب الظلمة ، بينما في النهار تكثر الحركة بسبب الأبصار ؛ لأنه جمع الليل والنهار في قوله ((لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ))

([1]) التداولية والحجاج مداخل و نصوص : 51.

([2]) أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي (تنظير و تطبيق على السور المكية) : 197.

([3]) الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية : 104 .

([4]) القصص : 71 _ 73.

، إذ جعل السكون مع الليل والحركة مع النهار لطلب الرزق ، وأن الغاية من المقابلة بين الليل والنهار هو طلب المنفعة ، و قال ((لِتَسْكُنُوا)) و ((وَلِتَبْتَغُوا)) بلام التعليل ليصبح الكلام متناسقًا بعضه مع بعض([1]) ، فالمقابلة هنا مؤثرةٌ في مشاعر الإنسان و نفسيته بجعل القلب موصولاً بالآيات الإلهية مؤمنًا بوجودها ملبياً نداء الفطرة([2]) و ((وفي هذه الآية جاء الليل والنهار في صدر الكلام و هما ضدان ، وجاء السكون والحركة في عجزه و هما ضدان و مقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب))([3]) ، وهذا الخطاب موجه للذين كفروا ، وجهه النبي محمد (ﷺ) إذ يخبرهم أن الله لم يجعل يومكم كله ظلاماً بل وإن الله إذ جعل وقتهم كله نهارًا إلى يوم القيامة دون أن يتبعه ليل ، فسوف تتعب الأجسام و تكل الأبدان من كثرة الحركة و الشغل ، فمن ذلك الإله غير الله يستطيع الإتيان بليل تستقرون وتستريحون فيه من عناء التعب ،أفلا تبصرون هذه الظاهرة الحقيقة الدالة على القدرة الإلهية التامة فتعلموا ان المستحق للعبادة هو الله المنعم بهذه النعم ([4]) .

فالتقابل بين الليل والنهار الذي هو عبارة عن ظاهرة كونية ، وسنة الكونية تكون في تعاقب ، و هي دوران الأرض حول نفسها فتكون اليوم ، أما دوران الأرض حول الشمس فتكون السنة ، إذن هذه المقابلة تظهر علاقة الإنسان بنصفي اليوم ، فالليل المظلم يكون فيه الراحة والسكون ، والنهار المضيء يكون فيه الشغل والحركة والتعب لطلب المعيشة فالرابط بينهما هو الوحدة الزمنية و هي (اليوم)، والتقابل هنا في حالة توازن ما بين التعب والراحة ، والغاية من هذه المقابلة هو تعظيم قدرة الله في الخلق ضمن سياق خطابي عن طريق الجمع بين الاضداد ، و ضرورة أحدهما إلى الآخر لهذا يتتابعان .

([1]) ينظر : أساليب البديع في القرآن الكريم : 304 _ 305.

([2]) ينظر : التقابل الدلالي في اللغة : 138.

([3]) إعراب القرآن الكريم وبيانه : 7 / 370.

([4]) ينظر : تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 10 / 521 _ 522.

ووظفت المقابلة الحجاجية أيضاً في قوله تعالى ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) ﴾([1]) ، بين تعاقب الاضاءة مع الظلام وهذه العملية المستمرة في أن يتعاقبين ولا يتوقفا وهذه المقابلة عملت على التأثير في نفس و تفكير المتلقي بهذه الظواهر الكونية لكي يصل عن طريقها إلى خالقها وهو الله سبحانه وتعالى لا إله غيره ، و هذا النص موجه إلى الذين يتفكرون في بينات الله ، وهذا الخطاب القرآني يستدل به على حكمه و قدرته عن طريق الدلالة الفلكية ؛ لأنها أكثر و قعًا في النفوس ، لكون الشمس والقمر يجريان بحساب و مقدار ،ومن خلالهما تعرف عدد الأيام والشهور ، والفصول ، والسنين ، ثم انتقل إلى مقابلة أخرى على الأرض وهي البرّ و البحر و عن طريقهما نبه إلى أعظم فوائدهما وهي الهداية إلى الطريق الصحيح المؤدي إلى الله ، وأضاف الظلمات إلى (البر ، والبحر) لملابستها لهما ،أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات ، ((قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) وقد بيناً وأقسمناً خص من يعلم بها لأنهم الذين ينتفعون بتفصيلها ، أما غيرهم فمعرضون عن الآيات و عن الاستدلال بها([2]) والشمس والقمر ((علامة حساب للناس الذين يحسبون بحركتهما أوقات الليل و النهار و جعل هذا النظام واحداً لا يختلف و هو من أعظم دلائل علم الله و قدرته و هذا بحسب ما يظهر للناس و منه لو اطلعوا على أسرار ذلك النظام البديع لكانت العبرة به أعظم ، وهذا النظام لا يصدر إلا من عالم عظيم العلم ،واضافة الظلمات إلى البر و البحر على معنى (في)؛ لأن الظلمات واقعة في هذين المكانين أي لتهتدوا بها في السير في الظلمات))([3]) .

([1]) الأنعام : 96 _ 97.

([2]) ينظر: تفسير البحر المحيط : 4/ 190 _ 191.

([3]) التحرير والتنوير :7 / 392 _ 393 _ 394.

كما ترد المقابلة في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ﴾([1]) في هذا النص القرآني وظفت المقابلة في تعاقب (هامدة) و (اهتزت) أي بين حالين من أحوال الأرض قبل نزول المطر وبعد نزوله و عملت على التأثير في المتلقي من خلال مقارنته للأرض قبل و بعد نزول المطر مما دفعت المتلقي إلى التفكير عمّن عمل هذه الظاهرة و هذا حقق الوصول إلى الله سبحانه و تعالى القادر على تغيير أحوال الأرض

وحده لا شريك له من ميتة إلى و جود الحياة فيها بعد نزول المطر على الأرض المجردة من الحياة و بذلك تتحول إلى أرض تنبض فيها الحياة و تخرج أشكالاً وألوانًا من النباتات و يطيب للآكلين و أن هذا لا يحدث إلا بأمر الله تعالى ؛ لأن كل شيء ينتهي إليه ، و إن المراد بالأرض الميتة النفس الجاهلية ، والماء العلم ، وبالزوج البهيج الكمال والجلال ([2]) و ((دراسة يابسة من : (همد الثوب : بلي) أي تحركت بالنبات و انتفخت ((مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)) بعض كل صنف ((بَهِيجٍ)) حسن نظر و هذا أيضاً من دلائل البعث))([3]) ، وهذا الخطاب القرآني يكون معنوناً للحياة والموت ؛ لأن الحياة كالحيوان الهامد الذي يسكن بعد الحركة بسبب اصابته بعلةٍ ما ، ثم أفاق من بعدها و صحا من سكرة فتحرك و استهب بعد الركود و هذا حال الأرض عندما أماتها الجدب و أهمدها المحل ثم أحياها بعد نضحها بالغيث بسجاله ، وبلها القطر ببلله ، واهتز نباتها ناظرة بعد الجفاف ، بتقدير العزيز العليم، وبنزول المطر أحيت واهتزت و هي حركة اهتزازية رابية نامية تشبه الحيوان العطشان الذي يشرب بعد جموده ثم يفز ((وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)) و تكون مختلفة الأزواج منها:

([1]) الحج : 5 .

([2]) ينظر : تفسير الكاشف : 5 / 311.

([3]) الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين : 4 / 173 _ 174.

الحيوانية والنباتية والإنسانية وفضلاً عن وجود المعادن النابتة في الأرض و هذا كله نتيجة نزول المطر و هي جينات الحياة النابتة عن الماء ([1]) .

ووظفت المقابلة لتوضيح حال الكرة الأرضية قبل وبعد نزول المطر ، إذ كيف تكون صحراء جرداء غير صالحةٍ للحياة ، وكيف يكون حالها بعد نزول المطر عليها فتصبح صالحة للحياة والعيش فيها و يتغير حالها من صحراء قاحلة إلى أرض طينية لزجة مهيأة للحياة و العيش عليها ، عن طريق هذه المقابلة التي عملت على التأثير في المتلقي من خلال ما انتجته من نغمات إيقاعية جعلته يفكر بتغير حال الأرض و لا يقدر على هذا التغيير سوى الله سبحانه وتعالى ، وعن طريق المقابلة توصل الملتقي إلى قدرة الله في تغيير الأمور وحده .

عملت المقابلة على لإقناع المقابل بقدرة الله وحكمتة والاستدلال بها للوصول إلى الإيمان بالله وحده و لا شريك له في هذا الكون ؛ لأنه هو خالق هذه السنن الكونية ولا يستطيع أحد غيره خلقها .

و باجتماع الأضداد و تقابلها ولدت تكثيفاً دلالياً أخاذاً ، و مناحي اقناعية جميلة اظهرت القدرة الربانية على خلق الأشياء و جعلها مُسَخَّرة لخدمة مخلوقاته أولاً و لخدمتهم في التذكير أيضاً بالقدرة الربانية إذا ما حاد بهم السبيل و ذهبوا إلى الشرك بمن نعم وخلق .

([1]) ينظر : الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن و السنة : 20 / 21 _ 22.

المبحث الخامس

التوازي الحجاجي:

يعد التوازي من أهم الوسائل المحققة للتناسب الإيقاعي في القرآن الكريم ، إذ تكون آياته متوازية من ناحية اللفظ و الزمن .

و يعرف التوازي بأنه ((عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها))([1]) فهو ((بمثابة متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية صوتية وصرفية أو معجمية دلالية))([2]) ، و للتوازي أهمية كبيرة هي إيضاح ما يتكلمه المتكلمون و ما يرمون إلى إيصاله إلى المقابل أو المستمع عن طريق المتوازيات اللغوية أو المنثورات المتوازية ، فإن التوازي له أهمية بالغة في بيان الرؤية نحو العلاقة بين المظاهر المختلفة للغة([3]) ، ومن خصائصه أنه ((عبارة عن تأليف ثنائي يقوم على أساس التماثل لا يعني التطابق))([4]) ، وهو ((مركب ثنائي التكوين أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر ، وهذا الآخر _ بدوره _ يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه ، تعني أنها ليست علاقة تطابق كامل ، ولا تباين مطلق ،ومن ثم فإن هذا الطرف الآخر يحظى من الملامح العامة بما يميزه الإدراك من الطرف الأول ، لأنهما في نهاية الأمر طرفا معادلة و ليسا متطابقين تمامًا فإننا نعود ونكافئ بينهما على نحو ما، بل و نحاكم أولها بمنطق وخصائص وسلوك ثانيهما))([5]) ، ولهذا يعد ((حجة جمالية

([1]) التكرارت الصوتية في لغة الشعر : 10.

([2]) التوازي في قصيدة محمود درويش (عاشق من فلسطين) : 362.

([3]) ينظر : التكرارات الصوتية في لغة الشعر : 17.

([4]) قضايا الشعرية : رومان جاكبسون : 103.

([5]) تحليل النص الشعري في بنية القصيدة الغربية : 129.

إقناعية))([1]) ، تخلق الفرصة لتنامي النص عن طريق زيادة آليات جديدة قادرة على خلق تيار دلالي متمركز في ذهن المقابل فيصبح قادرًا على ملء الفراغات التي ينشئها النص، و من ثم تتحقق المتعة الجمالية المستوحاة ، التي تجعل المقابل له القدرة على الاستمرارية في إنتاج الصياغة الدلالية([2]).

و عند تتبع هذا العنصر في السنن الكونية نجده يرد كثيراً فيها ، و من مواضع وروده قوله تعالى ﴿ **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)** ﴾([3]) ، فقد ورد التوازي الحجاجي في هذا الخطاب القرآني بهذه المتوالية:

((حرف جر + أسم مجرور + اسم استفهام + فعل ماض مبني للمجهول))([4])

إلى	+ الإبل	+ كيف	+ خلقت
=	+ السماء	+ =	+ رفعت
=	+ الجبال	+ =	+ نصبت
=	+ الأرض	+ =	+ سطحت

افاد هذا التكرار في البنية إيقاعًا صوتياً مؤثرًا في نفس المتلقي و ذهنه لاستمرار الفكرة و ثباتها في ذهنه ، وهي قدرة الله في الإنشاء وهذا هو المعنى الدلالي المراد من النص توصيله ، و((إن هذه المشاهد لتوحي إلى القلب شيئاً بمجرد النظر الواعي و التأمل الصاحي . وهذا القدر يكفي لاستجابة الوجدان و استيحاء القلب . و تحرك الروح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق و نقف و قفه قصيرة أمّام جمال التناسق التصويري لمجموعة المشهد الكوني لنرى كيف يخاطب القرآن الوجدان الديني بلغة الجمال الفني . و كيف

([1]) التلقي والتأويل (مقاربة نسقية) : 150.

([2]) ينظر : الأداء الأسلوبي في المستوى الصوتي في أغاني مهيار الدمشقي : 158.

([3]) الغاشية : 17 _ 19.

([4]) التوازي في القرآن الكريم دراسة في النظم الصوتي و التركيبي –الربع الأخير أنموذجاً–: 64.

يعتنقان في حس المؤمن الشاعر بجمال الوجود ... وإن المشهد الكلي يضم مشهد السماء مرفوعة والأرض المبسوطة . و في هذا المدى المتطاول تبرز الجمال ((منصوبة)) السنان لا راسية ولا ملقاة ، وتبرز الجمال منصوبة السنام {...} خطان أفقيان وخطان رأسيان في المشهد الهائل في الساحة الشاسعة . و لكنها لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات ! على طريقة القرآن في عرض المشاهد ، وفي التعبير بالتصوير على وجه الإجمال))([1]) ، و ((أفلا ينظر الكافرون المكذبون إلى الإبل كيف خُلقت هذا الخلق العجيب ؟ وإلى السماء كيف رفعت هذا الرفع البديع ؟ و إلى الجبال كيف نصبت ، فحصل بها ثبات الأرض و الاستقرار؟ و إلى الأرض كيف بسطت و مُهدت؟))([2]) .

و قد وظف تكرار المتوالية لما لها من تأثير في وجدان وتفكير المتلقي ، بسبب التناغم الصوتي للصيغ المكررة لإقناع المتلقي بما أراده الله من النص القرآني، وهي الإيمان بقدرة الله في الإنشاء عن طريق الأمثلة الكونية المتوفرة لديهم ، وكان للتوازي الفضل في استمرار الفكرة في هذه النصوص القرآنية و كانت غير منقطعةٍ.

ووظف التوازي الحجاجي في قوله تعالى ﴿ **قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ(71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ(72) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ(73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ(74) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ(77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)** ﴾([3]) ، للتأثير في السامع والمقابل من خلال تكرار البنية التركيبية و ما تنتجه من إيقاعات صوتية لها القدرة على استمالة عقل و وجدان المتلقي حتى تقنعه بما تريد ، والمتوالية هي :

([1]) في ظلال القرآن الكريم : 6 / 3899.

([2]) زاد المسير في علم التفسير : 592 .

([3]) الشعراء: 71_ 81.

((اسم الموصول + فعل + فعل))([1])
الذي + خلقني + يهدين
= + يطعمني + يسقين
= +يميتني + يحيين وقد حذفت الياء من الفعل الثاني للتخفيف

وقد تكررت هذه الصيغة ثلاث مرات مكونة توازياً حجاجياً مؤثرًا في السامع من أجل إقناعه بما يريد وهو استعمال العقل للوصول إلى الحق ؛ وذلك بأثير النغمات الموسيقية الصادرة من هذا التوازي ، موضحاً المعنى الدلالي لهذا الخطاب وهو ((لقد وهبني الله عقلاً أهتدي به إلى الحق وأنا اتبعه و أحسن استعماله ، ولا أقلد كما تزعمون ، و ((وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ)) بتيسير الأسباب لي وجميع خلقه ، فلقد خلق سبحانه هذه الأرض و أودعها ما يحتاجون، و((وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) بما خلق من دواء ، ((وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)) الموت والحياة بيد الله وحده ما في ذلك ريب))([2]) ، وهو الذي خلقني و خلق الكائنات الأخرى أي هو المبدع الموجد في خلقه ، فهو الذي يهدي إلى الخير في الدنيا و الأخرة دائماً، وهو الذي يرزق عن طريق توفير وسائل الأرزاق و منها نزول المطر، و أحيا به الأرض، وبعد ذلك تخرج الثمرات المختلفة للعباد ، وخلق الأنعام و غيرها فوفَّر للإنسان الغذاء والشراب وغيرهما و كل ما يتصل بالرزق و إذا أصابني المرض فهو سبحانه وتعالى يشفيني، ويلاحظ أنه قد نسب المرض إلى إبراهيم (ع) ولم ينسب إلى الله سبحانه وتعالى و لم يقل أمرضني و هذا تأدبًا مع الله ، على الرغم من أن المرض و الشفاء من عند الله و

([1]) أسلوبية التوازي في القرآن الكريم سورة هود _ الحجر _ الشعراء نموذجاً : 176.

([2]) تفسير الكاشف : 5 / 502.

كلاهما يحدث بقدر الله و قضائه ، وهو أيضاً له القدرة على الإحياء والإماتة و لا يقدر على ذلك أحد سواه ، والإعادة الحياة يقصد بها البعث في الآخرة بدليل حرف العطف (ثم)([1]) . واستعمل التوازي لإبقاء الغرض من النص القرآني وهو توضيح قدرة الله في الخلق و الشفاء و الإحياء و الإماتة عن طريق إعادة الصيغة التركيبية ثلاث مرات ، إذ أدى التوازي إلى التأثير في نفوس المتلقين عن طريق الصوت الذي شكل إيقاعًا موسيقياً عذبًا ترتاح له النفوس و الشعور بالطمأنينة و الهدوء.

و يرد التوازي الحجاجي في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ(22) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ(23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ(24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ(25) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) ﴾([2]) وبتكرار هذه المتوالية محققة توازياً حجاجياً يعطي معنًى دلالياً هو معرفة قدرة الله في الخلق ، وكما في الخطاطة التالية :

حرف عطف+ فعل مضارع+ فاعل +مفعول به +حرف جر + اسم مجرور

	+ تولج	+ أنت	+ الليل	+ في	+ النهار		
الواو	+ =	+ =	+ النهار	+ =	+ الليل		
الواو	+ تخرج	+ =	+ الحي	+ من	+ الميت		

([1]) ينظر : تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 15 / 183 _ 184.

([2]) آل عمران :21 – 27 .

الواو	+	=	+	الميت	+	=	+ الحي

عمل هذا التوازي لإبراز المعنى الدلالي واستمراره في ذهن المتلقي ، وعمل إيقاعات صوتية لإقناع المتلقي بالفكرة التي يطرحها النص ، و المعنى((ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما ، وحال الحي و الميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أنّ مَنْ قَدِرَ على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده))([1]) ، و أن الله سبحانه وتعالى ينقص من الليل و النهار ، أي ينقص من أحدهما و يزيد في الآخر أو اتيان أحدهما بدلاً من الآخر ويخرج الحي من النطفة الميتة ، والنطفة من الحي ، أو يخرج الكافر من المؤمن ، ويخرج المؤمن من الكافر([2]) ، والليل والنهار يدخل أحدهما بالآخر بجعل النهار خمس عشرة ساعة و الليل تسع ساعات ، و عندما يصير العكس أي يصبح الليل خمس عشرة ساعة و النهار تسع ساعات ، والمقصود من هذا عندما يزيد أحدهما ينقص الآخر، و يخرج الحيوان من النطفة الميتة و يخرج النطفة من الحيوان كما يخرج الفرخ من البيضة ، و البيضة من الطير ، أو يخرج الغصن الطري من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات النامي([3]) .

فقد وظف التوازي المكون من تكرار البنى النحوية و الصرفية والإيقاعية للاستدلال على المعنى عن طريق الصوت الناتج من تكرار هذه الصيغ ، وهو إفهام الخلق بقدرته عن طريق السنن الكونية المذكورة في النص القرآني .

ويرد التوازي في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (17) إِلاَّ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (18)**

([1]) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل : 167.

([2]) التبيان في تفسير القرآن : 2 / 432 .

([3]) ينظر : تفسير البغوي (معالم التنزيل) : 2 / 24.

وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) ﴾([1]) ، فقد تكررت هذه البنية مشكلةً توازياً، و البنية هي

حرف عطف+ فعل ماض + فاعل(نا) + حرف جر + اسم مجرور

الواو + جعل	+ نا	+ في	+ السماء
الواو + زيناها	+ نا	+ لام	+ الناظرين
الواو + حفظناها	+ نا	+ من	+ شيطان
الواو + ألقينا	+ نا	+ في	+ الضمير ها
الواو + أنبتنا	+ نا	+ في	+ =
الواو + جعل	+ نا	+ في	+ =
الواو + أرسلنا	+ نا	+ لام	+ واقح
+ أنزلنا	+ نا	+ من	+ السماء
الفاء + اسقيناكموه + نا		+ باء	+ خازنين

وفي هذا الخطاب القرآني تكررت البنية وهي الفعل الماضي و الاسم المجرور مكونة توازياً مما أدى إلى إظهار الفكرة وهي قدرة الله في دقة التنظيم بوضوح واستمرارها ، وأن إعادة هذه الصيغة قد شكلت ظاهرة صوتية ، لما لها من تأثير على أذن المتلقي في حفظ الفكرة و لكن يوجد هناك تغيير يسير في الخطاب القرآني وهو ((إلاَّ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ)) و المعنى الدلالي الذي أراده النص هو قدرة الله في دقة التنظيم والتقدير فضلاً عن وجود الجمال الكوني ، و ((الخط الأول في اللوحة العريضة ، لوحة الكون العجيبة التي

([1]) الحجر : 16 _ 22 .

تنطق بآيات القدرة المبدعة و تشهد بالإعجاز أكثر مما يشهد نزول الملائكة ، فتكشف عن دفة التنظيم والتقدير ، كما تكشف عن عظمة القدرة على هذا الخلق الكبير فجعله زينة للناظرين، لفتة إلى جمال الكون توحي بأن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون ، مع زينة الحفظ و الطهارة فلا ينالها ولا يدنسها ولا ينفث فيها الشيطان من شره ورجسه و غوايته، أمّا الخط الثاني في اللوحة العريضة الهائلة هو خط الأرض الممدودة أمام النظر، المبسوطة للخطو والسير وما فيها من رواس ، وما فيها أرزاق للناس و لغيرهم من الإحياء))([1])، و أن البروج السماوية هي منازل الشمس والقمر ، و فيها النظام دقيق الحركة وهذه أدلة على علم الله وقدرته ، والغاية منها معرفة الخالق الجليل ، ((وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ)) عندما تنظر لإحدى الليالي المظلمة ، إذ تكون فيها نجوم كثيرة متآلفة فيما بينها و توجد في كل زاوية من زوايا السماء ، وهي تشبه حلقات متنظمة تتجاذب في أطرافها ، ومنهم من يرى أنها لوحة عادية نتيجة تكرار المشاهدة ، و لكن في الحقيقة فيها جذبٌ خاصٌ و هي جديرة بالتأمل ((وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)) ((إِلاَّ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ)) أي المقصود من السماء الحق والحقيقة أن الشياطين يحاولون اختراقها و استراق السمع من أجل أن يوسوسوا و ليتمكنوا من إغواء الناس ، و لكن الشهب تمنعهم من ذلك، والمراد بالمد هو التوسعة والبسط و المراد به إخراج القسم اليابس من الأرض و من المعلوم أن الأرض كانت مغطاة بالماء بالكامل بسبب الأمطار الغزيرة و بعد انقطاع الأمطار ظهرت اليابسة بشكل تدريجي و هذا ما يسمى ب (دحو الأرض) ((وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ)) أي خلق الجبال التي كانت نتيجة برود قشرة الأرض أو المواد البركانية ب (ألقى) هو الايجاد؛ لأن الجبال ذو ارتفاعات شاخصة على سطح الأرض ، فهي تعمل على تنظيم حركة الهواء و تعيين الجهة و هي المكان الأنسب في تخزين المياه على صورة الثلوج و العيون، والمراد بالرواسي مفردتها ((راسية)) بمعنى الثابت و الراسخ ((وَأَنْبَتْنَا فِيهَا)) ويعد هذا العامل الفعال لوجود الحياة على سطح الأرض بالنسبة للإنسان و الحيوان و يكون

([1]) في ظلال القرآن : 4/ 2133 .

منظماً بحساب دقيق ، إذ لا يقبل الخلل من ساق ، وغصن ، وورقة ، ووردة ، وثمرة بشكل متناسق، و ذهب بعضهم إلى أن المقصود هو المعادن المختلفة في الجبال ((وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)) أي ليس لكم الحياة فقط بل لجميع الكائنات الحية و التي غير مسؤولين عنها ((مَعَايِشَ))أي ضروريات الحياة التي تحصلون عليها من خلال السعي، أو تأتي بنفسها لكم، و ((وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)) و يشير إلى دور الرياح في عملية تلقيح النباتات وهي دليل على إعجازه العلمي ، و كذلك لها دور في نزول المطر لوجود قرينة لنزوله ، ووجود فاء السببية بينهما (بين لواقح و نزول المطر) وفيها اشارة لخزن ماء المطر في السحب قبل نزوله أو فيها اشارة لخزن الأمطار بعد سقوطها، لا يمكن لكم تجميع الأمطار بكميات بعد نزوله و الله سبحانه وتعالى يحفظها في الجبال على هيئة ثلوج أو تترسب إلى أعماق الأرض لتشكل عيونًا و آبارًا([1]) .

إن توظيف الإعادة للصيغة في كل آية أدى إلى ظهور التوازي بشكل واضح على الرغم من وجود اختلاف في بنية نحوية واحده و هذا لا يمنع من وجود التوازي مؤديًا ظاهرةً صوتيةً لها تأثيرها على الأذن من أجل إفهام الفكرة المطروحة في هذا الخطاب القرآني و هي قدرة الله في التنظيم والتقدير للكون.

ويرد التوازي الحجاجي في قوله تعالى ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11)** ﴾([2])، بدأ الخطاب القرآني بأداة الشرط و ختم بجملة فعل الشرط إذ تكون هذه الصيغة بهذا الشكل

([1]) ينظر : تفسير الأمثل في الكتاب الله المنزل : 6 / 518 _ 519 _ 525 _ 526 _ 527 _ 528 _ 531 _ 532.

([2]) التكوير : 1_ 11 .

((حرف العطف +أداة الشرط + نائب الفاعل+ جملة فعل الشرط)) ([1])

+ إذا + الشمس + كورت

الواو + = + الجبال + سيرت

وهكذا تتابع الآيات الباقية بنفس المتوالية . فأن تكرار البنية خلق توازياً مصاحبًا نغماً موسيقياً له تأثير على وجدان المتلقي وعقله لإقناعه بالفكرة المطروحة في هذا الخطاب ؛ وهي علامات يوم القيامة ، ويعود الفضل في إفهام الفكرة إلى تكرار البنية نفسها واستقراها في ذهن المتلقي بصورة مستمرة فضلاً عن وجود الصيغة الجمالية لهذه البنية ، وإن التكرار ب (إذا) عمل على تردد الجمل الشرطية للحصول على استقلال مضمون الجمل على الرغم من تفاوت الزمن لحصول الشرط([2]) ، وفائدة إذا في الخطاب ((في التهويل و التشويق وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تقوية الحكم و تأكيده في جميع تلك الجمل رداً على إنكار منكريه ، ومستعملة في معنى الاستقبال تنبيها على تحقيق وقوع الشروط))([3]) ، وإن الافتتاح ب (إذا) ((مشوق ؛ لأن (إذا) ظرف يستدعي متعلقاً ، ولأنه أيضاً شرط يؤذن بذكر الجواب بعده ، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال التمكن ، خاصة بالإطناب بتكرير كلمة ((إذا)) فأن إعادة لفظة (إذا) بعد واو العطف في هذه الجمل المتعاطفة يعد إطناباً و هذا الإطناب اقتضاه قصد التهويل، والتهويل من مقتضيات الإطناب و التكرير))([4]) ومعنى هذا ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)) يعني إذا ذهب ضوؤها ((وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ)) تساقطت و ((وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ)) اقتلعت من جذورها و طارت في الهواء ، ((وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ)) النوق الحوامل و اشتغالها بنفسها فلا تعطل إلا يوم القيامة لاشتغال صاحبها بنفسه و ((وَإِذَا الْوُحُوشُ

([1]) التوازي في القرآن الكريم دراسة في النظم الصوتي و التركيبي–الربع الأخير أنموذجاً– : 55.

([2]) ينظر : التحرير والتنوير : 30 / 140.

([3]) التحرير و التنوير : 30 / 141 .

([4]) م. ن :30 / 140 .

حُشِرَتْ)) جمعت ((وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)) أي ضجرت بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً فملئت وكثر ماؤها، ((وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)) أي قرنت النفوس إذ يقترن المؤمن بحور العين و الكفار بالشياطين و ((وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ)) وهذه ظاهرة اجتماعية كانت في المجتمع العربي الجاهلي و كان العرب إذا وُلدت لأحدهم بنت دفنها و هي حيةٌ فتسأل لماذا قتلك أبوك و أنما يكون هذا سؤال على وجه التوبيخ لقاتلها يوم القيامة فيكون جوابها بدون ذنب ((وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ)) واقتلعت من أماكنها و بكشف الغطاء عن الشيء([1]) .

لقد استغلت العناصر الايقاعية جميعها في بناء منظومة حجاجية إقناعية اسهمت في بناء موسيقى النص فجذبت الاسماع و من ثم انسابت إلى القلوب فحدث التأثير الأول الانصات و الاصغاء لما يقال و ما ينساب على المشاعر و الاحاسيس من أنغام ربانية ، و من ثم جاء دور العقل فاستقبل ما تقدم فاقتنع أو تجبر و زاد كفراً على الرغم من معرفته الربانية التامة بحقيقة الأشياء و بوجود رب مقدر لكل شيء مما تقدم .

([1]) ينظر : بحر العلوم : 3/ 451 _ 452.

الفصل الثاني

الحجاج اللغوي في آيات السنن الكونية

توطئة

العوامل الحجاجية

الروابط الحجاجية

السلالم الحجاجية

توطئة :

تعددت مهام اللغة و قد بينها ابن جني بجعلها أهم وسيلة للتواصل بين البشر و لم يتوقف اللغويون عند هذا اِلحد ؛ بل اختلفوا في وظائفها و أنواعها ، ومن الوظائف التي أشاروا إليها هي الوظيفة الحجاجية ، و أول من اشار إليها هو العالم النمساوي كارل بوبر، لكنه لم يجعلها الوظيفة الأولى للغة ([1]) ، ويأتي بعده ديكرو يوضحها ((إنَّ الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتتابع و تترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبّت بعضها الآخر أي إن المتكلم إنما يجعل قولاً ما حجة لقول آخر هو بلغة الحجاج (نتيجة) يروم اقناع المتلقي بها ومعنى آخر إنّ المتكلم قد يصرح بالنتيجة و قد يخفيها و على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتماداً على بنيتها اللغوية فحسب))([2]) ، وكانت الغاية الأولى من النظرية الحجاجية اللغوية هي استبدال الاعتقاد السائد الذي يعد وظيفة اللغة وظيفة إخبارية ؛ لأن اللغة عندهم عبارة عن علامات تظف ، فهي لا تعمل على إيصال المعلومة و نقل الخبر فحسب بل أصبحت لها و ظيفة جديدة و هي الحجاجية ، أما الوظيفة الإخبارية فهي تعد فرعاً من الحجاجية ، والوظيفة الحجاجية فهي تمثل عملية التوجيه الحجاجي ([3]) ، أما الذي يعنيه ديكرو و أنسكومبر فهو ((ذلك الانزياح أو الانتقال أو الحركة من وضعٍ أولٍ معلوم إلى وضع ثانٍ قد يكون معلوما أي "صريحا" أو غير معلومٍ "ضمنيا" و هو النتيجة التي يروم الباث إذعان المبتَّل لها))([4])، و مفهوم الحجاج عندهما ((هو عبارة عن خطاب مبين من طرف المتكلم ، مشروط بطرح مجموعة من الحجج متعلقة بمجموعة من القضايا تؤدي في الأخير إلى تسليم بالنتائج المتوصل إليها))([5]).

([1]) ينظر : الوظيفة الحجاجية في القصص القرآني : 8 _ 10.

([2]) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : 23.

([3]) ينظر : الوظيفة الحجاجية في القصص القرآني : 10 _ 13.

([4]) العوامل الحجاجية في اللغة العربية : 28.

([5]) البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام " : 6.

وتنطلق نظرية الحجاج اللغوي من فكرة ((إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعة التي يتوفر عليها المتكلم ، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق الأهداف الحجاجية ، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤادها "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير " هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية ووظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها)) ([1]).

وفي هذا الفصل ستعمل الباحثة على تتبع أهم العناصر اللغوية الحجاجية في آيات السنن الكونية وهذه العناصر هي :

1 العوامل الحجاجية

2 الروابط الحجاجية

3 السلالم الحجاجية.

([1]) اللغة والحجاج : 14 .

المبحث الأول

العوامل الحجاجية :

تعد العوامل الحجاجية من أهم الأدوات الحجاجية التي تستعمل لتقوية خطاب المتكلم وتجعله مقبولاً في نفوس المخاطبين ، فهي مورفيمات تحقق في اللغة الوظيفة الحجاجية لأنها ((عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة . هي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل))([1])

فالعوامل تقتصر على قول ملفوظ واحد وتقيد الإمكانات الحجاجية للقول الواحد ([2])

ويعرف العامل الحجاجي بأنَّه ((وحدة لغوية إذا تم إعمالها في ملفوظ معين ، فإنَّ ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ . والتحويل الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه لا يكون مستمدًا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل ، وإنما يستمد من وظيفته التحويلية الحجاجية الخاصة ، فهو لا يضيف مضموناً خبرياً جديداً ، وإنما غاية ما يحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الاستراتيجية الحجاجية للمتلفظ))([3]) ، وللتمييز بين العوامل والروابط ، نجد جملة من العناصر تتمثل بـ ((العامل الحجاجي هو رابط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه على أساس أنَّه موصل قضوي . امَّا الرابط الحجاجي فهو يربط بين فعلين لغويين ، ولهذا يعد موصلاً تداولياً))([4]).

للعوامل الحجاجية وظائف عديدة ومنها :

1- القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج وبذلك توجيه المتقبل من التعدد والغموض إلى النتيجة المطلوبة من الملفوظ وذلك بتقليل الإمكانات الحجاجية للملفوظ

([1]) العوامل الحجاجية في اللغة العربية : 21.

([2]) ينظر : اللغة و الحجاج : 27.

([3]) العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي نموذجاً) : 423 .

([4]) العوامل الحجاجية في آيات الاحكام : 12 .

2- يكون موضع التعاقد بين الحجة والنتيجة وينشط المواضع بتسلسل أو تناسب عناصر الخطاب

3- ويقوم بتقوية الحجة من أجل الوصول نحو النتيجة([1]).

وللعوامل الحجاجية أثر بارز في الحجاج اللغوي فهي تعمل على ((تحديد التوجيه الحجاجي للجملة ، وذلك بانتقائها صيغاً محورية ملائمة للسلسة الحجاجية))([2]) وأيضاً تساعد هذه العوامل على توجيه الخطاب إلى الوجهة التي يريدها صاحب الخطاب وذلك لتقوية خطابه واثباته ، وهذا يجعله قادراً على استثمار محاولات عديدة من أجل إقناع المقابل بخطابه([3]) ، وتكمن أهمية العامل أيضاً في دوره على إبراز مقاصد القول والغاية منه فقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى إيضاح أثره في عملية إقناع المقابل وجذب انتباهه([4]) . وهنالك جملة من العوامل الحجاجية التي تبرز في آيات السنن الكونية وهي :

1 – عاملية النفي الحجاجية

هي عاملية ((يحقق بها المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة))([5]) وأدوات النفي هي (لا ، لم ، وما وليس ، وعاملية النفي والاستثناء ب(إلا))

ويقول عنها ديكرو إنَّها المورفيمات التي توجه الخطاب والمخاطب في آن واحد وإنَّ عملية النفي لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد أنَّ يبثها الباث ليوجه المتلقي إلى نتيجة محددة وعن طريق دمج عملية النفي تتحدد النتيجة بحيث لا يكون للمقابل حرج في إدراك المقصود منها([6]) ، وقد لا يكون النفي للكذب أو الاكذاب كما أورده الزركشي عندما ذهب

([1]) ينظر : العوامل الحجاجية في اللغة العربية : 35 .

([2]) الحجاج مفهومه و مجالاته : 1 / 309 .

([3]) ينظر : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : 519 _ 520.

([4]) ينظر : العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي نموذجاً) : 224 .

([5]) م. ن :425 .

([6]) ينظر : العوامل الحجاجية في اللغة العربية : 50 .

إلى أنَّ النفي نفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً و يريد به التأكيد والمبالغة وأنَّه من أساليب العرب كقولهم : فلان لا يرجى خيره وليس المراد أنَّ لا يرجى فيه خير ، غرضهم أنَّه لا خير فيه على وجه من الوجوه أو قد يكون النفي يراد به المخالفة في غير سياق الكذب والتكذيب أو صد الخصم وتبكيته ، وإنما يراد به ذلك الذي يؤدي بنية النفي من قبيل الأحكام المستفادة على وجه الاستلزام من الكلام المنفي المقيد بصفة أو ما في معناه فقط ([1]).

و من أدوات النفي الحجاجية التي وردت في آيات السنن الكونية

1- (لم)

أداة نفي وقلب وجزم تدخل على الفعل المضارع وتحول دلالته إلى الزمن الماضي([2]) ، ويكون للمنفي الذي بعدها حالات متعددة :

1 يكون مستمراً في النفي كقوله تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) ﴾ ([3])

2 إنَّ يكون منقطعاً في قوله تعالى ﴿ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) ﴾ ([4])

3 متصلاً بالحال ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ ﴾([5])

وترد هذه الأداة في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ(64) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى

([1]) ينظر : العوامل الحجاجية في اللغة العربية : 53 .

([2]) ينظر : معاني النحو : 4 / 8.

([3]) الاخلاص : 3 _ 4 .

([4]) الانسان : 1 .

([5]) التوبة : 4 .

الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾([1]) إذ جاء في هذه الآية عامل النفي هو (لم) وهذا ما يطلبه الخطاب من أجل إقناع المتلقي ، وجاء مستمراً في النفي بعدم رؤية الإنشاءعلى الرغم من ظواهره ، وقد عمل على تحويل دلالة الفعل المضارع للماضي ، وقدم الحجة التي تدل على قدرة الله في الإنشاء ، ومن دلائل قدرته : يرسل الريح فتكون سحابا ممطراً على الأرض اليابسة التي لا تكون فيها نباتات . سوداء قاحلة بعد نزول المطر تصبح خضراء ويتحول بذلك يابسها إلى اخضرار ومن لطفه أنَّه عليم لا تخفى عليه خافية فأنَّه ما أسقط من الماء وما ينبته في أرجاء الأرض وأقطارها معلوم لديه، فضلا عن فقر كل شيء إليه ؛ لأن الأشياء جميعها ملكه وهو غني عما سواه، ومن دلائل قدرته أنَّه سخر الأرض من حيواناتها ونباتاتها وجمادها ، وزروعها للإنسان، و من دلائله تسخير الفلك لكم و بتيسيره تجري الفلك بأصحابها بريح طيبة في البحر الذي تتلاطم أمواجه فيحملون فيها ما يشاءون من تجارة وبضائع من بلد إلى بلد آخر يحتاج إليها، ومن لطفه أنَّ يمسك السماء إنَّ لا تسقط على الأرض على الرغم من ظلمكم ونكرانكم قدرته في الخلق ؛ لأنَّه رؤوف بكم ([2]) .

أي ألم تعلم أنَّ الله ينزل من السماء ماء، من حيث يكون أصبح بمعنى الماضي وذلك بسبب بقاء أثر المطر زماناً بعد زمانٍ و قد عدل به عن صيغة الماضي وأنَّ خضرة الأرض حدثت بسبب نزول المطر، ويكون الله لطيفاً بإخراجه النباتات من الأرض حيث تكون رزقاً للعباد والحيوان ، ويكون خبيراً بإنشائه التدابير الظاهرة والباطنة ، وأيضاً خبيراً بحاجات العباد وفاقتهم ، و خبيراً بقلوب العباد عندما يتأخر عليهم المطر، وأنَّ كل هذا هو ملك لله لا يشاركه أحدٌ مما تعبدون إذ يكون الخلق ملكاً له ، وكذلك الانسان ، والحيوان وكل شيء في هذا الكون وأنَّه غني عن عبادتكم له وغير محتاج إليكم في شيء فهو الذي يكون محموداً على كل لسان وممجداً في كل حال ومكان ، هو الذي تحمده الملائكة وتنطق

([1]) الحج : 63 _65 .

([2]) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : 5 / 450 _ 451 .

بحمده المخلوقات ، هو مستحق لهذا الحمد ، وهو في هذه الآيات يخاطب الإنسان باستفهام بتسخير الفلك له، والأرض كذلك قد جعلها مذلولةً له ، وفيها جميع ما يحتاج إليه من الدواب والأنهار، وخلق السماء بصورة متداعية إلى التماسك وذلك بمشيئته ولكنها في يوم القيامة تتغير معالمها ، وهذه الآية تكون رداً لمن قال أن استمساكها بذاتها ، و لأنها كباقي الأجسام الجسمية؛ فهي عرضةٌ للسقوط ، و من رأفة الله بعباده أن هيأ لهم من أسباب الاستدلال ، وفتح عليهم أبواب المنافع ودفعه المضار، من رأفته ما يصعب حصرها وعددها وهي تكون معلومةً عند ذي الالباب([1]).

وإن الله سبحانه وتعالى قد قام بتوظيف عامل النفي (لم) لنفي وجود من يشاركه في الملك بسبب إدعاء المشركين بوجود إله آخر يشاركه في ملكه ، ونفى بأن تكون السماء هكذا مستمسكة بنفسها وعن طريق هذا العامل الذي دّل على قدرة الله في إنشاء هذا الكون وحده وفق قوانين فيزيائية .

ويرد عامل النفي الحجاجي (لم) في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ ﴾([2]) في هذه الآية يذكر الجنة و ما فيها من نعم ، وهذه النعم تكون على شكل أنهار و ما يهمنا من هذه الأنهار نهر اللبن الذي دخل عليه عامل النفي الحجاجي، ويكون هذا المقطع ذا مبنى هندسي خاصةً عندما تدخل جزيئاته بنحو يتجاوز التركيب العادي للغة للتركيب الزمني لها وهذه الآية تكون بمثابة حلقة وصل بين السلوك الدنيوي وبين الجنة التي رسمها النص كما ذكرنا سابقا ، تكون على أربعة أشكال من السوائل :

([1]) ينظر : تفسير القرآن الكريم وإعرابه و بيانه :6 / 199_ 200 _ 201 .

([2]) محمد : 15 .

وهذه السوائل هي الماء ، وللبن ، والخمر ، والعسل فضلاً عن الثمار ومغفرته أيضاً وتكون هي نتائج السلوك الدنيوي وهذا هو التعريف بالجنة وتنوع نعيمها أمّا العكس الذي زين الشيطان عمله فتكون نتائجه سقي ماء حميماً يقطع الأمعاء ، وهذه المقابلة مَنْ زين عمله الشيطان وبين مَنْ قطع امعاءه بالماء الحميم([1]) و إذاً تكون للجنة صفة عجيبة الشأن إذ تكون الأنهار مستقرة ، وهذه الأنهار منها أنهار الماء غير متغيرة الطعم ، والرائحة ، واللون، واذا قيل آسن يكون متغير اللون ، والطعم والرائحة ، أمَّا أنهار اللبن التي دخل عليها عامل النفي ،ونفى عنها التغير نهائياً عكس اللبن في الدنيا الذي يكون معرضاً للتغير في حموضته ولكن اللبن في الجنة يبقى على حاله ، وكذلك الخمر نفى عنه ذهاب رجاحة العقل والصداع لمن يشربه يكون فيه فقط التلذذ الخالص عكس الخمر الذي في الدنيا الذي يحدث هذا كله، والعسل الذي يكون خارج بطون النحل فيخالطه الشمع عكس ما موجود في الدنيا الذي يكون خارج من النحل ،أمَّا النار التي يكون فيها الماء حاراً يقطع أمعاءهم وهذا الكلام في صورة الاثبات ومعناه نفي التسوية بين الجنة والنار([2]). ووظيفة هذا العامل في هذه الآية هي نفي التسوية بين الجنة والنار، وفضلاً عن نفي حدوث تغيير في أنهار الجنة عكس ما موجود في الدنيا حيث يكون فيها تغيير ويثبت هذا العامل قدرة الله في خلق النعيم .

2 عامل النفي الحجاجي (لا)

هي إحدى أدوات النفي الحجاجي وهي على أقسام عدة

1 نافية للجنس عاملة عمل ((إنَّ))

2 عاملة عمل (ليس)

3 العاطفة

4 الجوابية

([1]) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم : 4 / 288_ 289 .

([2]) ينظر : مدارك التنزيل و حقائق التأويل : 4 / 1119.

5 المعترضة بين الجار والمجرور ، وزائدة ([1]) ، و((وتدخل على الأسماء والأفعال))([2]) وردت هذه الأداة في قوله تعالى ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾([3]) تكرر العامل الحجاجي (لا) لنفي رؤية الشمس والزمهرير في الجنة، وقد تكرر ؛ لأن الخطاب يتطلب ذلك لإقناع المتلقي بعدم رؤية الشمس والزمهرير وكذلك التأكيد على ما في الجنة من راحة وهي نتيجة أعمالهم ، وتحملهم الشدائد والتحديات ، التي عانوا منها من الكفر والطغيان ، فتحملوا ذلك بالصبر والوعي المنفتح بعين الله وجاءتهم بعد الصبر الجنة التي تكفل لهم جميع الألوان للنعيم ، وتطوف بهم كل ما يشتهون ، ويلبسون فيها اللبس الذي يكون منتهى الرقة والنعومة والجمال، وفراشهم الذي ينامون عليه الذي يكون كعنوان للحياة المترفة التي تقدمها لهم الجنة حيث تكون الأسرة أو الفراش الذي يكون فوق الأسِرَّة ،أو أي شيء يتكئون عليه ، وهذا هو التعبير عن السعادة الروحية والراحة النفسية ، أمَّا الناحية الجسدية في الجنة فلا تتأثر بالحر والبرد ؛ لأن الجو معتدل فيها الأمر الذي تكون فيه الراحة الجسدية فيها الانتعاش والطمأنينة([4]). وقد استعمل هذا العامل للتعبير عن راحة الحياة في الجنة و رفاهيتها ، ونفي كل ما يؤذي الإنسان من الناحية النفسية والجسدية ، الأمر الذي سيزيد المؤمنين شوقا إليها وتتبتل أرواحهم وتزيد حرارة الإيمان ومقداره في قلوبهم ، كما أنها سوف تزيل غشاوة الشك عند المشككين بصدق هذا الدين ودعوته ومن في نفوسهم بعض الريب من وجود الآخرة والعذاب ومقر من آمن ومن كفر بعد اكتمال حساب ذلك اليوم .

([1]) ينظر : مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبن هشام الأنصاري : 12_13.

([2]) معاني النحو : 4 / 196.

([3]) الأنسان : 12 _ 13 .

([4]) ينظر : تفسير من وحي القرآن :23 / 273 .

ويرد هذا العامل أيضاً في قوله تعالى ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ([1]) تكرر العامل الحجاجي (لا) لإيضاح قدرة الله في النظام الكوني ، وأثباتها لمن يجحدها أو يجادل فيها ، إذ قدم الأدلة والبراهين على وجودها، وأنَّه سبحانه وتعالى يوضح لهم بهذه الطريقة أنَّ أثبات الموجودات في هذا العالم لا تكون إلا بقدرته المهيمنة ، فالشمس يكون مجراها كل أثنتي عشرة مرة في العام ويكون المجرى في بروجها ، ولكن الحقيقة أنَّ الأرض هي تجري حول الشمس أو تدور حولها ، والقمر ينزل في منازله كل شهر مرة واحدةً بينما الأرض تدور حول الشمس كل سنة مرة ، ولهذا لا ينبغي للشمس أنْ تتسارع سرعة القمر ، ونتيجة هذا التسارع تظهر فصول السنة الأربعة وينتقل بدليل آخر هو نفي تداخل ساعات الليل والنهار ، ويكون هذا بتقدير ثابت منذ ملايين السنين ،وهكذا تكون حركة الشمس ثابتة من المشرق إلى المغرب فهو يدلَّهم على إثبات الدورة السنوية للشمس ، وثبات نظام الليل والنهار ، وإنَّ كلاً من الشمس والقمر ، والنجوم ، والكواكب كلها تسير في أفلاكها ، ولكن بنظام ثابت من دون أنْ تحيدَ عنه بشعرة وهذا دليل على قدرة الله في دقة صنعه وحسن تدابيره للسنن التي قدَّرها([2]) وقد نفى هذا العامل العبث والعشوائية في هذا الكون بل أنه أثبت دقة الله في صنع النظام الكوني الذي يسير على وفق قوانين تحكمه هي قوانين فيزيائية وكونية أي هذا الكون يكون منظماً كل حسب موقعه لا يخرج منه أو يحيد ، فكل شيء عمل بمقدار ولغاية هادفة اساسها خدمة البشرية وهذا التمايز الجميل الذي جبل عليه الكون بيان لقدرة الله وحكمته ومقدار الرحمة التي اشاعها لعباده.

([1]) يس : 40 .

([2]) ينظر : من هدى القرآن : 379/23 _380 .

3 عامل النفي الحجاجي (ما)

حرف نفي وهو نوعان : عامل عمل ليس ، والآخر غير عامل ، ويأتي لنفي الحال بدخوله على الفعل المضارع ([1]) ((و تدخل على الجمل الفعلية و الإسمية ، فهي تدل على الاستمرارية إذا جاءت لغير الحال))([2]) ، ويرد هذا العامل الحجاجي في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾([3]) وعمل هذا العامل الحجاجي (ما) على نفي أي خلل يصيب السماء، وكان هذا الخطاب تحدياً لمن يشك في قدرة الله في خلقه إذ تحداهم بنظرة حادة إلى السماء ،وإلى خلق الله كله ويكون النظر فاحصًا متأملًا متدبرًا ، النظر الذي يريده، القرآن عندما نتأمل الكون العجيب الرائع ، وأنَّ العين لا تشبع منه بسبب جماله وروعته وكذلك لا يشبع العقل من نظامه ، ودقته وأيضاً القلب لا يشبع من تلقي إيحاءاته وإنَّ من يعرف طبيعة النظام الكوني في الدراسات الحديثة يدرك منها الدهشة والذهول([4]) ، و خلق سبع سماوات واحدة فوق الأخرى لكن يوجد بينها فراغ وهواء مسيرة خمسمائة عام وتكون متساوية في الجرم لا بوضع السماء فوق الأخرى كالغطاء للقدر حيث لا يوجد اختلاف أو تضاد، أو تباين فيها فالسماء فوقك لا تجد فيها إلا النظام والاتساق ولا يوجد فيها صدع أو خدش وإذا لم تصدق ارجع البصر فيها وانظر من جديد هل يوجد فيها انفطار؟ واعْدالكرة مرة أخرى هل ترى من فطور ؟ ، ولو اعدت الدهر كله لا تجد في السماء خدشاً حتى يرجع إليك البصر ذليلاً([5]) إنها القدرة وجمال الخلق وتمامه إنها القوة السيطرة الكاملة التي لا يشابهه مثال

([1]) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : 322_323 .

([2]) معاني النحو : 4/ 184.

([3]) الملك : 3.

([4]) ينظر : في ظلال القرآن : 6 / 3632_ 3633.

([5]) ينظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : 5/ 394_ 395.

إنها كلمة الرب وقدرته الهائلة التي لا تنتهي في بناء هذا الكون المتناهي دون أي ثغرة أوعيب .

ويتكرر عامل النفي الحجاجي (ما) في قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾([1]) وقد تكرر العامل من أجل التأكيد على دقة قدرة الله في صنع الخلق وإنَّ خلقنا السقف والمهد من أجل الفائدة، ومن هذه الفائدة هو التفكير فيهما وما بينهما من عجائب ومنافع كثيرة ، لا تعد ولا تحصى ولم نكن في خلقهما نلهو ونلعب([2]) و خلقناهما لأمر هو دلالة على قدرة الله ووحدانيته وليتبحروا بخلقهما ، فليعلموا إنَّ العبادة لا تكون إلا لخالقهما([3]) أنه الرب العظيم القادر على كل أمر والجاعل لكل عنصر منه فائدة وأثر وعجائب لا تحصى ولا تقدر .

4 (ليس)

من حروف النفي الحجاجي ، ((تدخل على الجمل الأسمية فتنفيها وتكون لنفي الحال))([4]) واستعمل في آيات السنن الكونية بنفي وجود خالق غير الله في قوله تعالى ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾([5]) هو الذي خلق السماوات السماوات والأرض وأكد على أنَّ الله وحده هو الخالق فقط لا يشاركه أحد غيره في هذا الخلق كما يدعي المشركون ، وكانت هذه الآية عبارة عن استفهام انكاري موجه لمن يدعي وجود خالق غير الله ، وكذلك لمن ينكر إعادة البشر من جديد حيث يقول :إنَّ من قدر على خلق هذا الكون وما فيه من سبع سماوات وكذلك الأرض وما بينهما من أجزاء له القدرة على إعادة خلق البشر وغيره من جديد بعد الموت هو قادر أيضاً على أنَّ يخلق خلقاً بعد

([1]) الأنبياء : 16.

([2]) ينظر : لباب التأويل في معالم التنزيل : 3/ 222.

([3]) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد : 232/3 .

([4]) معاني النحو : 4/ 183 .

([5]) يس : 81 .

كل خلق أي يجمع ما يخلق([1]). وهذا العامل قام بإثبات يوم البعث ،وإحياء الموتى من جديد إذ كانت فائدة هذا العامل وهي نفي وجود إله غير الله في هذا الوجود .

ويرد العامل الحجاجي ليس أيضاً في قوله تعالى ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾([2]) جاء العامل الحجاجي لينفي عنه تبارك وتعالى ما يشاكله في الشكل والذات والصفات ،و في أحكامه أيضاً بتقديم الحجج ، ومن هذه الحجج حجة خلق حواء من آدم وبعد ذلك خلقكم أشكالاً من أجل بقاء التناسل وبعد ذلك يكثركم عن طريق التزويج ،((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) وهنا حدث النفي ؛ لأنه فاطر السماوات والأرض ولا أحد قادر أنَّ يفعل هذا الفعل ، و هو نفى عنه ما قد وصفوه بأنه نهاية الكون في المكان ، وكذلك وصفوه بأقبح الأوصاف ، جعلوه شبيه الآلات والجوارح ، وأنَّهم لم يقفوا عند هذا الحد بل حكموا عليه بحكمهم على خلقه ،ما كان قبيحاً من خلقه قالوا عليه قبيحاً ، و ما كان حسناً في الخلق قالوا على الله أنَّه حسن أيضاً، والحق أنَّه منزه عن كل تشبيه([3]). و وفي قوله تعالى ((جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً)) أي زوجكم من أنفسكم أزواجاً ؛ لأنه خلق حواء من ضلع آدم (ع) فهو من الرجال وقوله تعالى ((وَمِنْ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً)) خلق لكم الأنعام أزواجاً من الضآن اثنين ، ومن الإبل اثنين وأيضاً من الأبقار اثنين ذكوراً وإناثا أي خلق لكم من كل جنس اثنين، وفي قوله تعالى ((يَذْرَؤُكُمْ)) أي يخلقكم ، ويعيشكم من الأنعام ، وقوله تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) فيه وجهان :

الأول ليس هو كشيء وأدخل المثل في الكلام توكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف وهما بمعنى واحد ، و الآخر أن يكون ليس مثله شيء وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام أمّا قوله تعالى ((وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) وهو بهذا القول يصف نفسه بما هو به أي سميع لما ينطق به خلقه من قول ، وبصير بأعمالهم لا يخفى عليه شيء ولا يعزبُ عنه علم شيء

([1]) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : 8/ 222 .

([2]) الشورى : 11.

([3]) ينظر : لطائف الإشارات : 3 / 160_ 161.

وهو محيط بخلقه بصغيره وكبيره([1]) نفى هذا العامل عنه تبارك وتعالى كل ما لا يليق به من صفات وصفوها به ، ونفى بأن تكون نهاية الكون بمكان هم حددوه.

القصر بالنفي و الاستثناء ب(إلا)

يعد النفي والاستثناء ب(إلا) عاملاً هو الذي قام بالحصر و الربط بين الحجة والنتيجة أما الموضع الذي هو الفكرة المشتركة بين الباث و المتلقي فيمثل الاتجاه الذي يتبعه المتلقي للوصول إلى نتيجة ما([2]) وهي أيضاً ((عامل يوجه القول إلى وجه واحده نحو الانخفاض))([3]) ، و يتوظف هذا العامل ((لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه بالنفي والاثبات))([4]).

ذكر هذا العامل في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ([5]) جاء هذا العامل ليوضح قدرة الله في خلقه و خاصةً في قدرة الطيور على الطيران ، وعدم سقوطها على الأرض إذ استعمل العامل (إلا) في تقييد قدرة المسك بالله فقط وذلك عن طريق خلق الطير وأيضاً خلق الجو الذي يطير فيه، إذ أعطى للطيور جناحين يبسطنها مرة و يكسرنها مرة أخرى كما يفعل السباح في الماء ، كما خلق الهواء لطيفا وسهلا ورقيقا ليسهل الخرق والنفاذ فيه ولولا هذا الخلق لكان الطائر لا يستطيع الطيران . وفي قوله تعالى ((مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ)) كان القصر بالأثبات ؛ لأنّ عملية القصر حصرت قدرة الامساك لله فقط ، ولأن جسم الطير ثقيل لا يستطيع البقاء في الجو معلقاً بدون دعامة تحته و لا علاقة لما فوقه به فوجب الامساك به في الجو من قبل الله سبحانه وتعالى ، ثم من الظاهر أن بقاءه في الجو معلق فعله و

([1]) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : 6 /483 _484 .

([2]) ينظر: الحجاج في كتاب "المثل السائر" لآبن الأثير : 44.

([3]) استراتيجيات الخطاب : 520 .

([4]) دلائل الإعجاز: 332 .

([5]) النحل : 79.

حاصل باختياره ، فثبت أن خالق العبد هو الله تعالى وهذا من الدلائل العقلية التي دلت على أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وقد خصت هذه الآية الكريمة الذين أمنوا من أجل الانتفاع وتكون للعقلاء أيضاً ([1]) وأنَّ من قدرة الله جعل الطيور تتمكن من القوة الجاذبية ؛ ولأن من طبيعة الأجسام تنجذب إلى الأرض وجعل الله سبحانه وتعالى لأجنحة الطيور قوة تمكنها من الطيران في الجو وعدم تأثرها بالجاذبية وهناك عوامل مجتمعة في الطيور تساعدها في الطيران مثل خاصية طبيعة الأجنحة ، وقوة عضلات الطير، فضلاً عن هيكل الطير ،وخواص الهواء الملائمة ، وأنَّ منبع هذه العوامل هو الله الذي يعلم بالخواص الفيزيائية لها وهذه الآيات للذين يبصرون هذه الأمور بعين باصرة ، وأذن سمعية ، ويتفكرون فيما ينظرون، ويسمعون وهذا يقوي إيمانهم ويرسخه أكثر فأكثر([2]). وقد حصر هذا العامل قدرة إمساك الطيور في السماء وعدم سقوطها على الأرض بالله فقط ؛لإن الله يكون عالمٌ بالقوانين الفيزيائية للأرض والسماء ،لهذا خلق الطيور بهذه الهيأة لكي تخترق جاذبية الأرض.

وجاء القصر مكرراً لمرتين في قوله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(11)** ﴾([3]) ؛لأن الباث يريد إقناع المقابل ويغلبه بما يجحد عليه في قدرته وإنكار يوم البعث عن طريق هذا العامل ، إذ وضح الله أنَّ العلم قد حُصر بالله فقط ولا يعلم أحد بما تضع الأنثى سواه ،وكذلك لا يعلم أحد طول العمر أو قصره ، سوى الله أيضاً، ونفى قدرة العلم عن الجميع وحصرها فيه فقط ، وهذه أدلة واضحة في قدرته على الخلق، وتعد هذه الآية من الدلائل على وحدانية الله عن طريق تذكيرهم بأصلهم الأول وهو التراب ومقرر علمه لدى البشر جميعاً ، إذ أنَّ أصلهم الأول من طين ثم بعد ذلك استدرجهم إلى التكوين

([1]) ينظر : التفسير الكبير : 20 / 93 .

([2]) ينظر : الأمثل في تفسير الكتاب الله المنزل : 7/ 114.

([3]) فاطر : 11 .

الثاني خلقهم من نطفة وهو علم مستقر في النفوس بمشاهدة الحاضر وقياس الغائب على المشاهدة، ثم يشير إلى السنَّة الثالثة وهي سنَّة الزواج و هو احتياج الفرد الذكر إلى أنثاه أو العكس ، وكما ذكرنا حصر العلم بالله فقط ، ذلك عن طريق تلقيح النطفتين و ينشأ عن ذلك أطوار وهي أطوار الحمل من أول الوضع إلى آخره وهذا دليل على إحاطة الله بالكائنات الخفية والظاهرة ؛ لأن الخفيات أعلى علم فذكر أول الحمل إلى ذكر الوضع ، فعطف الوضع بدافع دفع التوهم ووقوف العلم عند الخفيات وهي من الغيب دون الظواهر الأخرى ، وانتقل إلى العمر وقد حصره أيضاً فيه وذلك نحو الموت من المكتوبات على البشرية فجاء بذكر علمه بالآجال والأعمار للتنبيه على سعة علمه الإلهي و التعمر : هو جعل الإنسان باقياً في الحياة ، فإنَّ العمر هو مدة الحياة ومنهم من يقصر عمره ومنهم من يطول وكل ذلك علمه عند الله الذي لا يغيب عنه معلوم([1]). وضح هذا العامل أين يكون العلم ، فيكون محصوراً عند الله فقط ،إن الله اعطى دليلاً على هذا العلم وهو علم الغيب إذ أنه سبحانه وتعالى يعلم ما تضع الانثى من ذكر أو أنثى ، ونهاية العمر ولا يقدر أحد أن يعلم هذا وقد أثبت هذا العامل وحدانية الله .

- ((كاد))

من العوامل الحجاجية ومعناها ((مقاربة حصول الفعل ،أي قارب الحصول ولم يحصل))([2]) ، ووظيفته الحجاجية يقوم بربط مكونات الخطاب بين الملفوظ داخل المقطع الواحد([3]) وقد ورد في قوله تعالى﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(90) ﴾([4]) جاء بمعنى كانت السماوات مقاربة من الانفطار بسبب ما يقولون عن الملائكة كقولهم أنَّهن بنات الله وأيضاً مقاربة الأرض أطرافها أنْ تنشق ، وكذلك الجبال

([1]) ينظر : التحرير والتنوير : 22/ 276 _277 .

([2]) معاني النحو : 1/ 273 .

([3]) ينظر : الخطاب والحجاج : 56 .

([4]) مريم : 90 .

قاربت أنَّ تنخر والسبب ذكر الجبال والسماوات والأرض لعظمتهن وشدتهن يعود هذا كله بسبب ما قالوا بهتاناً([1]). و ((يعني مما قالوه ، وممّا رموه به))([2]) ، و ((وإنْ دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الإنسان تجرأ على ما لا يتجرأ عليه كائن في الأرض و لا في السماء ، فلقد تجرأ على خالقه ، وهو يعيش في كنفه ، ونسب إليه ما تنشق منه السماء وتخسف الأرض وتسقط الجبال لمجرد سماعه ، وإن سبب هذه الانتفاضة الكونية ؛ أن هذه الانتفاضة أو الغضبة الإلهية ليست على فرد أو جماعة معدودين إنما على هذا الشرك الذي أصبح ديناً وعقيدة تدين بها مئات الملايين جيلاً بعد جيل على هذه التماثيل للإله الطفل والإلاهة الأم))([3]) وقد عمل هذا العامل بتصوير يوم شبيه بيوم القيامة لما يقولون على الله من قول بأن يكون له ولد أو بجعل الملائكة بناتاً له وغيرها من الاقاويل التي ما أنزل بها من سلطان

ويرد أيضا في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ(43) ﴾([4]) استعمل كاد بعدم حصول ذهاب الأبصار ولكن كان حصوله قريبا جداً لكن لم يذهب ونتيجة هذا الخطاب القرآني هي قدرة الله في الإنشاء و الخلق واعطائهم أدلة ومن هذه الأدلة عدم ذهاب البصر عندما يحدث البرق ومن هذه الحجج أسباب كونية متماثلة بنزول المطر بأرض دون أرض وبعضه عبارة عن ماء متجمد وذلك تبعاً لسنن كونية؛ ولأن الله خلق الكون وما فيه من عناصر ووظف العامل (كاد) بقصر الضوء الذي مقدوره إنَّ يذهب النظر ولكن هذا لم يحدث بقدرته ([5]). و ((((يَكَادُ)) يقرب ((سَنَا بَرْقِهِ))

([1]) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : 2/ 640 .

([2]) الأصفى في تفسير القرآن : 2 /48 .

([3]) تفسير الكاشف : 5 /200 _201 .

([4]) النور : 43 .

([5]) ينظر : التفسير المبين : 465 .

ضوء البرق الذي في السحاب والبرق جمع برقة . ((يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ)) أي بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة ، وذلك أقوى دليل على كمال القدرة من حيث توليد الضد من الضد ؛أي النار من البارد))([1]) ، و ((ضمير برقه يعود إلى السحاب ويذهب بالأبصار ويخطفها الذين لا يقفون عند الأسباب الظاهرة ويدركون مبدعها وموجدها))([2]) . بين هذا العامل قرابة ذهاب الأبصار عند وقوع البرق لكنه لم يحدث ذهابه . ودليل على هذا هو عمل هذا العامل ، وأيضاً عمله على تقريب صورة آثار البرق و ما يفعله في الأبصار بسبب قوة ضوئه و شدتها بما تعمله في العين و هذا كله دليل على قدرة الله .

([1]) تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 9 / 602.

([2]) تفسير الكاشف : 5/ 430 .

المبحث الثاني

الروابط الحجاجية :

تحتوي اللغة العربية على كثير من أدوات الربط ،كغيرها من اللغات الطبيعية ، وهذه الروابط بدورها أدوات معانٍ ، وأطلق عليها النحاة بـ (حروف المعاني) ؛ وذلك بسبب وضعها على أن تفضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء ([1]).

و الروابط هي ((كل لفظ يمكّن ربط قضيتين أو جملتين ، أو أكثر لتكوين قضايا مركبة وجمل مركبة)) ([2]) ، وهي ((تربط بين قولين أو حجتين أو أكثر و تسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة))([3]) لروابط الحجاج وظيفتان هما :

1((الربط بين وحدتين لغويتين.

2 تخدم دورًا حجاجياً للوحدات الدلالية التي تربط بينهما))([4]) .

تعدد مفهوم الرابط عند علماء اللغة ، فمنهم من أطلق عليه الواصلة ، ومنهم من يسميه المورفيمات ، وهذه التسمية عبارة عن تعريب مصطلح غربي ([5]) وهو قد يربط بين عناصر لا يوجد بينها تجانس ، مثلاً بين قول وسلوك غير كلامي ، أو بين قول وقولية ([6]) وهو أيضاً يصل بين الحجة والنتيجة وتكون النتيجة أمَّا صريحة أو ضمنية ([7]) ، الأمر الذي يجعل وظيفته تفكيك مكونات الملفوظ (الفعل) اللغوي وتحقيق التفاعل بين الجملة ضمن

([1]) ينظر : في صنعة الأعراب :379 .

([2]) التداولية اليوم علم جديد في التواصل : 265.

([3]) الحجاج اللغوي عند ديكرو و أنسكومبير : 26 .

([4]) نظرية الحجاج اللغوي عند " أوزفالد ديكرو و أنسكومبري" :199 .

([5]) ينظر : التداولية والحجاج مداخل ونصوص : 46.

([6]) ينظر: اللغة والحجاج : 29.

([7]) ينظر : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : 36 .

سياق لغوي محدد([1]). ومن أهم الروابط الحجاجية التي وردت في آيات السنن الكونية لتؤدي وظيفة حجاجية :

1- روابط الوصل :

و تعد من أكثر الروابط في اللغة العربية إذ هي تربط بين الجمل ، و يوجد لكل رابط من هذه الروابط وظيفة خاصةٌ به ، وأنَّ هذه الروابط تخرج عن معناها الحقيقي (الأصلي) إلى معنى مجازي آخر على وفق النمط الذي ترد فيه . إذ يقول عنها الجرجاني (ت 471هـ) ((فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع ، والفاء للتعقيب بغير تراخ ، ثم بشرط التراخي ... ، ولكن لأن تأتي لك إذا نظمت شعرًا ، وألفت رسالة أن تحسن التخيّر ، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه))([2])

هي ((علاقة منطقية تتمثل في تكوين قضية مركبة انطلاقاً من قضيتين بسيطتين بواسطة الربط))([3]) ، ويسميها (فان دايك) ((روابط الوصل التشريكي))([4]) ، أما وظيفتها فـ((تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة ، وعلى ذلك فعمل هذه الروابط هو حصول الإجراء الثنائي))([5]) وهذه الأدوات هي ((الواو ، الفاء ، ثم ، إنّ))

الرابط الحجاجي (إنَّ)

وهي من روابط الوصل الحجاجي فائدتها التأكيد والتحقيق ؛ ويعمل على تأكيد ما بعدها وكذلك تعمل على تحقيقه ([6]) و تسهم أيضاً ((في تقديم الحجج))([7]) و المواضع التي وجد وجد فيها هذا الرابط في آيات السنن الكونية ما تلمسناه في سورة التوبة في قوله تعالى

([1]) ينظر : الحجاجيات اللسانية عند إنسكوبر و ديكرو: 234.

([2]) دلائل الإعجاز : 250 .

([3]) استراتيجيات الخطاب : 477.

([4]) روابط الحجاجية في شعر المتنبي مقاربة تداولية : 110 .

([5]) النص والسياق و استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : 83 .

([6]) ينظر : في النحو العربي نقده وتوجيه :317 .

([7]) دور الأساليب والروابط اللغوية في العملية الحجاجية من خلال (البيان والتبين) الجاحظ : 193.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(36) ﴾([1]) الشهور القمرية المتعارف عليها لدى المسلمين هي محرم ،وصفر ، وربيع الأول ...إلى ذو الحجة وهذه الشهور مبنية على سير القمر في المنازل وهي أيضاً شهور العرب التي يعتمد عليها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم و أعيادهم وعدد أيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً ،أمّا الشهور الشمسية هي تكون نتيجة دوران الشمس حول الفلك دورة كاملة وعدد أيامها تكون ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع اليوم ، فالسنة الشمسية أكبر من السنة القمرية بعشرة أيام وذلك بسبب السيرة الهلالية فيقع الحج والصيام تارة في الشتاء وتارة في الصيف ، ويقول المفسرون أنَّ سبب النزول لهذه الآية الكريمة من أجل بيان الموقع الرباني من النسيء الذي كانت تعمله العرب في الجاهلية حيث كان يقع حجهم في وقته في محرم ، وتارة في صفر وتارة في الشهور الأخرى ، فأعلم الله المسلمين أنَّ الشهور التي يعتمدون عليها أثنا عشر شهراً على منازل القمر وسيره فيها هذا كله في اللوح المحفوظ الذي كتب الله منه أحوال الخلق جميعاً ، ويعني بهذا الحكم يوم خلق السموات والأرض وأنَّ السنة أثنا عشر شهراً ومنها أربعة أشهر حرم لا يجوز القتال فيها في أيام الجاهلية إذ حرموا فيها قتل الجاني ، وإنْ كان هذا الجاني قاتل الأب ، أو الابن ، أو الاخ وهذه الأشهر رجب ، ذو الحجة ، ومحرم ثلاثة متوالية وعندما جاء الاسلام لم يزدها إلا تعظيماً وحرمة وذلك بسبب الحسنات والطاعات تزداد فيها وكذلك السيئات تكون أشد وهذا هو الحساب المستقيم والعدد الصحيح ، والقيِّم هنا الدائم الذي لا يزول فلا تظلموا أنفسكم في جميع الأشهر بفعل المعاصي وترك الطاعات ([2]) ، مما تقدم إن ذهابه تبارك وتعالى إلى التحديد الدقيق لهذه الأشهر محتجا فيها بالفلك الأمثل وبالمقياس المثالي

([1]) التوبة : 36 .

([2]) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل : 2/ 357_358 .

الفيزيائي لكي يفيد حجة أصحاب الزعامات والمتنفذين في الحكم من زعامات القبائل وشيوخها الذين كانوا يستغلون الحسابات الفلكية لخدمة أغراضهم الدنيوية لتحقيق غايات الثأر وغيرها من المآرب فوضع النظام الكوني العام الذي يتبعوه ولا يحيدون عنه فالرابط الحجاجي (إنّ) الوارد في بداية الآية ونهايتها أسهم في ربط الحجج بعضها مع البعض الآخر فالحجة والتوكيد الذي أتى الأول به كان الغاية منه تأكيد أمر الشهور والنسيء وتحديدها بالشكل الأمثل ، الذي لا خرم فيه ولا جدال مع تقسيم بين لكل ذلك ، ثم يربط الثاني بين من ذهب متجبرا لاستعمال ما تقدم من أثر لهذه الدائرة الكونية لمصالحه الخاصة وبين العقاب المنتظر له إذا ما خالف منحى الشريعة السمحاء ، التي وضعت نظاما لا يمكن النفاذ منه متسلحة بالقول الإلهي والسنة الكونية التي رسمت المنظور المتطلب منها.

2 الرابط الحجاجي (ثمّ)

هو ((حرف عطف يفيد التشريك في الحكم والترتيب والمهلة))([1]) ،والتراخي بين المعطوف والمعطوف عليه ووظيفته في الحجاج هي كشف مقصدية المتكلم في الخطاب وتبين نواياه من خلال سياق المقام([2]) ،وهو يوجد بين وحدتين أو أكثر في اطار استراتيجية واحدة و يكون في اقامة الحجة وتأييدها([3]) ومن المواضع التي استعمل الرابط الحجاجي (ثمّ) فيها ما ورد في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾([4]) إذ استعمل حرف العطف (ثمّ) في تقوية الحجة وتأييدها بقدرته على خلق كل شيء ، فابتدأ في خلق الأرض وما فيها ثم انتقل إلى خلق السماوات وهذا إنْ دل على شيء يدل على أنه لا يوجد أحد يقابله في هذه القدرة وتكون هذه النتيجة ضمنية وهي الشك والكفر بقدرة الله في الخلق ، فيقنعهم بذكر الحجج التي تكون دليلاً على

([1]) مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبن هشام الأنصاري :1/ 40.

([2]) ينظر :أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي(و تنظير وتطبيق على السور المكية) : 90_ 91.

([3]) ينظر : الحجاج واللغة : 24 .

([4]) البقرة : 29 .

قدرته، فوجود الإنسان على سطح الأرض وبما لديه من سيادة على الموجودات لم يستطع أن يغير شيئاً بسيطاً مما وصفه الله وكوَّنه ، وبعد ذلك يحاججهم بدليل آخر من أدلة التوحيد هو : الاستواء أي التسليط والإحاطة الكاملة والقدرة على التدبير ، وهنا لا يعني التأخير الزمني في خلق السماوات والأرض ، إنما يعني تأخر في بيان وتوالي في ذكر الحقائق وهي خلق سبع سماوات أي يوجد هناك ستة عوالم أخرى لا نعرف عنها شيئاً أن الكواكب والأجرام السماوية كلها جزء من عالمنا ([1]) . وقد وظف الرابط (ثم) لبيان قدرته في الخلق التي لا يقابله أحداً فيها ، وهذا البيان موجه إلى الذين يشكّون ويكفرون في هذه القدرة ومن أجل تغيير هذه النظرة إلى هذه القدرة وقد وضح سبحانه وتعالى أدلةً على هذه القدرة ومن هذه الأدلة وجود الإنسان وسيطرته على الموجودات ، والتسليط والاحاطة الكاملة والقدرة على تدبير.

ويرد الرابط نفسه في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾([2]) .

تكون النتيجة ضمنية وهي شك بعضهم بعدم وجود الله وقدرته فيوضح الله تبارك وتعالى ادعاءهم عن طريق ذكر الحجة وهي تكوين المطر، حيث ربط مراحل تكوينه بوساطة حرف العطف ثمّ ((أي يسوق السحاب بأمره إلى حيث يشاء من أرضه وبلاده ثم ((يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ)) أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض ثم ((يَجْعَلُهُ رُكَاماً)) أي يجعلها متراكمة بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) فيخرج المطر (الودق)((يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ)) أي من وسط السحاب وهو مخارج القطر ((وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ)) وينزل من الجبال في السماء من برد قال ابن عباس أخبر الله أن في السماء جبالاً

([1]) ينظر: الأمثل في تفسير الكتاب الله المنزل : 1 / 105 _106_ 107 .

([2]) النور : 43 .

من برد وقيل معناه نزل من السماء مقدار الجبال في الكثرة من برد .وبعد ذلك يصيبه البرد ((يَشَاءُ)) فيهلكه وأمواله ويكون يضر البعض ولا يضر البعض الآخر ثم بروز البرق في السماء فتذهب به الأبصار بسبب شدة ضوئه وبريقه))([1]) .

في حين قوله تعالى (يؤلف بينه) هي حقيقة من أمهات الحقائق الكونية ؛ لأنها تدل على الحقيقة الكهربائية التي تقوم عليها الظواهر الجوية ، وهي وصف دقيق عما يحدث للسحاب المختلفة الشحنة الكهربائية إذ يحدث تجاذباً بينها ، وهذا الشيء يتفق مع ما أراد به الله من خلق بين السحاب والمطر ، والبرد والصواعق ، والبرق ، عندما يكون متجاذباً يحدث السحاب الركام ، وبعد هذا يحدث تفريغ كهربائي داخل السحاب بين بعض تلك الطبقات وبعض ، ثم ينزل المطر من خلال هذه الطبقات الدنيا ، وتكبر قطراته أثناء النزول، أمّا الودق فيحدث نتيجة اضطراب القوة الكهربائية في السحاب ، أمّا الركام والبرد فهما عبارة عن ظاهرة تردد بلورات الماء بين منطقتين ثلجية علوية ومطرية سفلية وتكون البرد حتى يصبح أثقل من أن يبقى في أسر تلك القوى فيسقط على الأرض ، وقد أشارت الآية الكريمة إلى الاضطراب الذي يصيب الطبيعة الجوية وتكون عبارة عن إشارتين هما :

الأولى حين شبهت السحاب الركام بالجبال ، والثانية إلى القوى الكهربائية وما تكونه في نصها من عظم برقه وحرارته التي تصل إلى شدة البياض ([2]). جاء الرابط ثم يوضح حقيقة من أمهات الحقائق الكونية، وهذه الحقيقة تدل على قدرة الله في تكوين المطر وعمل الرابط على بيان مراحل تكوين المطر على وفق الظواهر الفيزيائية المعروفة في يومنا هذا ، وهذا دليل على من يقول : إن الطبيعة الكونية نشأت من تلقاء نفسها بدون منشئ ، وهذا الرابط عمل في هذا الخطاب القرآني على توضيح هذه الظاهرة الجوية ؛ من أجل ابراز قدرة الله في هذا الكون للذين عندهم شك في حكمته و قدرته البالغة.

([1]) لباب التأويل في معاني التنزيل : 3 /300_ 301 .

([2]) ينظر : في سنن الله الكونية : 169.

3 الرابط الحجاجي (الفاء)

من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية ،((إذ أنها تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاج التداولي ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين متباعدتين في الدلالة وعلى التقارب بين الأحداث ،فضلاً عن الدلالة على الترتيب والاتصال)) ([1]) ومن المواضع التي ورد فيها هذا الرابط قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾([2]) واستعمل في هذه الآية أكثر من رابط وذلك لإقناعهم وإزالة شكهم في يوم البعث، اذ استعمل الرابط الفاء في تقريب الأحداث المتباعدة ، إذ قرب بين نزول المطر وعيون الماء ، وبين اخضرار الزرع واصفراره .

وهذه الآية توضح أصل السنن الكونية في نزول المطر ونفوذه إلى الأرض ثم بعد ذلك خروجه إلى سطحها، ويكون على شكل عيون كبار وصغار ،ثم يسقي الزرع الذي يكون مختلفا في ألوانه وطعمه ثم يتحول هذا الزرع إلى أصفر أي يصبح شيئاً تذروه الرياح وهذا لا يحدث إلا بوجود صانع قدير وحكيم ، ومدبر([3]) .

وقد ذكر صاحب تفسير (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)بعد الخضرة يكون دقائق متكسرة ومتفتتاً وتكون هذه الآية للذين يتفكرون وذوي أصحاب العقول ويستعملونها دليلاً على قدرة الله وتوحيده([4]). عمل هذا الرابط على اثبات حقيقة يوم البعث للذين عندهم شك فيه وعن طريق نزول المطر من السماء إلى باطن الأرض وخروجه على شكل عيون ، واسقائه

([1]) الروابط الحجاجية في توقيع أبي الحسن العسكري (ع) إلى أسحق بن إسماعيل النيسابوري :11.

([2]) الزمر : 21.

([3]) ينظر : التفسير المبين :609 .

([4]) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد : 3/ 576 .

للنبات ،وصولاً إلى أن تذروه الرياح وهذه الأدلة كلها مربوطة على التوالي بواسطة الرابط الفاء.

ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾([1])

الرابط الحجاجي (الفاء) تكرر ثلاث مرات في هذه الآية وذلك لإقناعهم بما جادلوا به وهو يوم البعث فيدل عليهم بالحجج موصلاً بينها بواسطة الفاء ((أي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجيء به فنسوقه أي مثل إحياء الموتى ونشور الأموات))([2]) و يقول صاحب جامع البيان في تفسير القرآن هو ((ينزل من تحت العرش مطر فيعم الأرض جميعاً وينبت الأجساد من قبورها كما ينبت الحب في الأرض))([3]) .

ويذهب بعضهم إلى أنه يوجد ملك يقوم بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه ولا يوجد على الأرض والسماء من خلق الله إلا وجاء ثم بعد ذلك ينزل الله مني كمني الرجال من أسفل العرش فتنبت أجسامهم و لحمانهم من الأرض كما تنبت الأرض من الثرى ([4]) وإن تكرار هذا الرابط بسبب القضية التي يعالجها وهي خروج أجسام الموتى من قبورهم وهذا لإقناعهم بها بعد ما كان عندهم شك فيها ، وهذا من أجل إزالة هذا الشك والإيمان بقضية البعث والنشور.

أدوات الشرط :

([1]) فاطر : 9 .

([2]) لباب التأويل في معاني التنزيل : 3 /453 .

([3]) جامع البيان في تفسير القرآن : 3 / 401 .

([4]) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، الإمام الحافظ أبي حاتم : 10 / 3173 .

-إذا :

هو من الروابط ذات البعد التأييدي أو الإبطالي ، وأنّ سبب عدّها من الروابط التأييدية([1]) ((ارتباطها بالحالة التي يكون عليها المحاجج وهي تأييده لهذه القضية ، و محاولة دعمها بمختلف الحجج والبراهين))([2]) ، وهي أيضاً من أدوات الشرط التي ((تربط بين الوحدات الدلالية التي تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية ، فما هو واقع بعدها ينتمي إلى السياق الذي تشغله الوحدات التي قبلها ، كما أنّها تدل على إنشاء الارتباط بالشرط بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها))([3]) .

ويرد هذا الرابط في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13)** ﴾([4]) إذ أنَّه ربط بين حجج تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة وهي أحوال يوم القيامة وكيف يكون هذا الكون بهذا اليوم عندما يذهب ضوء النجوم ، وتكون الكواكب قد انفطرت وتصبح الجبال هباءً تتطاير مع الرياح ، وهذا الوقت يكون عند الملائكة معلوماً لتشهد فيه على العباد ، وإنَّ كل هذا قد أجل إلى يوم الفصل ، الذي يفصل بين الناس بالحق ([5]) يوم تصبح النجوم فيه قد مُحِيَ نورها والسماء قد فتحت، والجبال قد اقتلعت من أماكنها ((لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ)) أي أخرت وضرب الأجل لجميعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم إذ تقوم الرسل بتعذيب منْ كذبهم وتعظيم من آمن بهم ([6]) .وتكرر الرابط (إذا) ((في أوائل الجمل المعطوفة على هذه الجملة بعد حروف العطف مع إغناء حرف

([1]) ينظر : الحجاج في النص القرآني "سور الحواميم أنموذجاً " : 152.

([2]) مقومات الحجاج في الخطاب الأصلاحي الجزائري الشيخ محمد بشير الإبراهيمي مقاربة توصيفيه لآليات الإقناع : 51.

([3]) م . ن : 59.

([4]) المرسلات : 7 _ 13 .

([5]) ينظر : تفسير الكاشف : 7 / 490.

([6]) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : 4 / 383.

العطف عن إعادة (إذا) لإفادة الاهتمام بمضمون كل جملة من هذه الجمل ليكون مضمونها مستقلاً في جعلهِ علامةً وقوع ما يوعدون ....، فيلزم أن يكون مضمونها مستقبل الحصول ،وفي نظم هذه الجملة غموض و دقة))([1]) وظف (إذا) لإخبار الرسل بالمستقبل و ما يحدث فيه من تغيرات للظواهر الكونية وهي تكون علامات لوقوع يوم القيامة ، حيث بدأ بذهاب ضوء الشمس وما يصاحبه من تغيرات في الكون من النجوم إلى وقت الرسل ، وهذه كلها علامات مؤجلة ويجب الإيمان بهذا اليوم .

ويرد أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141) ﴾([2]) عمل هذا الرابط في هذه الآية الكريمة على ربط بين الحجة والنتيجة، والنتيجة تكون هي ابتداع الخلق ومثال على هذا الخلق ؛ هو خلق الجنات والحجة فيها ذكر ما فيها من نباتات أي أنَّ الابتداع فيها يكون خلق الكروم وأنَّ حاله أمّا يكون مرفوعاً بدعائم أو ملقياً على الأرض ، وبعض منها يكون معتمداً على السيقان مثل سائر الأشجار الأخرى كأن يكون النخيل ، وتكون هذه النباتات مختلفة في المذاق وإنَّ معنى هذا أكله أي عندما يكون صالحاً ثمره للأكل ، وكذلك تكون مختلفة الألوان والرائحة والطعم وبعضها يكون متشابهاً وبعضها الآخر غير متشابه فكلوا من ثمر كل واحدة منها في وقت نضجه وآتوا حق الله يوم الحصاد عن طريق دفع الصدقة ولا تتجاوز الحد في هذا التصديق به بدون اسراف ([3]) . وجاءت هذه الآية ردًا على أقوال الكافرين فيما حللوا وحرموا حسب أهوائهم إذ وضح الله هو خالق كل شيء و هو وحده له الحق في تحديد الحل والحرم ، إذ هو سبحانه وتعالى خالق البساتين و تكون مختلفة فبعضها مرفوعا على عرائش كالكروم و الآخر بدون عرائش و قوله تعالى ((وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ)) إذ خلق الزرع والنخل

([1]) التحرير والتنوير : 29 / 424 _425.

([2]) الأنعام : 141 .

([3]) ينظر : الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين : 2 / 266 _ 267.

مختلفين في الثمر والحب، والطعم والشكل ، أما ((وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ)) يكون متشابهاً في الشكل أو الحجم ومختلفاً في الثمر والطعم وقوله تعالى ((كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)) أي أباح تناول الثمر قبل تمام نضجه ، ولكن بشرط عدم الضرر بعده أو قبل البيع بدون كثرة في أكله و ((وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)) وهنا الأمر للوجوب وهو خلاف قوله ((كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)) فهو للإباحة كما ذكرنا سابقاً ، و هذا لا فيه ضرر من جمع المباح والواجب و المقصود حقه يوم حصاده هو الزكاة المفروضة و لا تتجاوزوا الحد فتبسطوا أيديكم في العطاء ([1]) جاء هذا الرابط بجعل النص القرآني موبخاً الذين كفروا بجعل هذه الثمار للأصنام التي يعبدونها ومحرمةً على أنفسهم ،إذ ذكرهم الله أنه هو خلق كل شيء وهذه الثمار من حقه لا من حق غيره وهو الذي حلل لهم أكلها بدون قيد لكن فرض عليهم وقت حصادها إخراج حقه والمتمثل في الزكاة المفروضة لا لأصنامهم فضلاً عن ذكر أنواع هذه النباتات وثمارها واختلافها من حيث الهيئة والطعم ، واللون والحجم أيضاً وتكون كلها أدلةٌ على وجوده ، ودليل على قدرته وتمكنه من الخلق وتسيير اموره ورفده بالنعم .

-الرابط الحجاجي (إذ)

وهي من الروابط التي تسهم في توضيح الوجهة التي يرغب فيها المحاجج عن طريق أسلوب الشرط الذي يقوم على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه ([2]) و عند تتبع وروده في آيات السنن الكونية يرد في قوله تعالى ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76)** ﴾([3]) إذ عمل الرابط بتسلسل

([1]) ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم : 1 / 1340 _ 1342 .

([2]) ينظر : الحجاج ومفهومه و مجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة : 4/ 329 .

([3]) ص : 71 _ 76 .

الحجج ، وتكون النتيجة ضمنية وهي السجود تعظيماً، وتكريماً وتتحدث هذه الآية عن خلق آدم (ع) وكيف أنَّ الله سبحانه وتعالى أخبر أهل السموات بهذا إذ اعلم الملائكة قبل خلق آدم وكيف يكون، أخبرهم أنَّه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، وكما أخبرهم متى أكمل مِن خلقه فقعوا له ساجدين وذلك إكراماً و تعظيماً . أطاع الملائكة أمر ربهم كلهم إلا ابليس وأنَّ لم يكن من جنسهم أنَّه كان من الجن فخانه طبعه إذ استنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل ، وادعى أنّه أخير من آدم ، خلقه فهو مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين ، والنار أفضل من الطين في نظره وبذلك خالف أمر ربه ([1]) ، ان القدرة الربانية المتوشحة في الخلق و التي توضحت بمشهد الاستواء في خلق آدم و من ثم بعث الروح في الصلصال لينتقض هذا المخلوق حياً أمام جَمْعِ الملائكة ، مخلوق قد اصطفاه الله بنعمتين شهوانية و عقلانية إذا ما توافقتا كان مؤيداً منه تبارك و تعالى أما اذا تجاوزت احداهما على الاخرى حدث الاختلاف ، واتت (إذ) في النص للاشارة إلى أن الروح لم تدخل في هذا الحيز إلاّبعد إكتماله و تكونه المثالي ليكون الرسول و الشاهد على ما سوف يقع على البسيطة من افعال مختلفة التوجهات و الصورة . كما أنها ابانت القدرة الربانية ، انها بؤرة النص ما بين الحديث عن خلق آدم و البشارة فيه و استواء خلقه وبث الروح فيه أمام الملأ .

وأيضا ورد الرابط نفسه في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ (26)** ﴾([2]) عمل هذا الرابط على ربط الحجة بالنتيجة وكانت النتيجة ظاهرة وهي الكفر بالله على الرغم من كثرة الحجج التي أمامهم ، ومن هذه الحجج السمع والإبصار وإلى آخره من النعم ومعنى هذه الحجج قد مكناها للذين قبلكم إذ كانوا يمتازون بقوة الأبدان ، وطول العمر وعلى الرغم من هذه الزيادة في القوة لم ينجوا من عذاب الله

([1]) ينظر : تفسير العلي القدير : 4 / 39 _ 40.

([2]) الأحقاف : 26.

كيف تنجون وأنتم أقل منهم قوة ؟ وكفروا بما فتحنا عليهم من النعم ، ومن هذه النعم جعلنا لهم السمع كلهم لم يستطيعوا استعمالها في سماع الدلائل ، وكذلك أعطيناهم البصر ولم يستعملوه في دلائل ملكوت السموات والأرض، كما أعطيناهم الأفئدة ولم يستعملوها في طلب معرفة الخالق بل صرفوا هذا كله إلى طلب الدنيا ، لهذا ما أغنى عنهم سمعهم و لا أبصارهم و لا أفتدهم من عذاب الله من شيء وهذه الآية تخويف لأهل مكة بسبب استهزائهم بعذاب الله ([1]) . إنهم قريبون جداً منكم و شواخصهم ما تزال ماثلة أمام أعينكم فلِمَ التجبر و الشرك في رب هداكم إلى السبيل و أنعم عليكم بجزيل العطاء و النماء و الخير، أعيدوا الفكر و التروي في محاربة الحق و إلا فالامر هين على من بدأ الخلق ، في ازالة آثاركم ، كما حدث قبل حين .

-الرابط الحجاجي (أينما)

هي من أدوات الشرط الحجاجية وتأتي للمكان ومن مواضع ورودها في آيات السنن الكونية قوله تعالى ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)** ﴾ ([2]) وهذا الرابط قد قدم النتيجة على الحجة حيث تكون النتيجة الموت ، والحجة البروج المشيدة . يعالج هذا الرابط من هرب عن القتال خوفاً من الموت ((فالموت موعد مقدر لا علاقة له بالحرب والسلم و لا له علاقة بحصانة المكان الذي يحتمي به الفرد أو قلة حصانته . ولا يؤخره عليه وأنّ يؤخر عنهم تكليف القتال إذن ؛ و لا هذا التكليف والتعرض للناس في الجهاد يعجله عن موعده.. هذا أمر و ذاك أمر ؛ لا علاقة بينهما ..إنما العلاقة هناك بين الموت والأجل . بين الموعد الذي قدره الله و حلول ذلك

([1]) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : 17 / 410 _ 411.

([2]) النساء : 78 .

الموعد ... وليست هناك علاقة أخرى . ولا معنى إذن لتمني تأجيل القتال و بهذا يعالج القرآن الكريم كل ما ينشئه التصور المضطرب من الخوف والذعر)) ([1]) .

الذي أصاب بعض المسلمين اثناء توجههم للقتال أو اثناء التعبئة لذلك فما دامت الروح قد اسكنت في الإنسان من قبل الله فخروجها مقترنٌ بقدرته و تقديره و في الزمان الذي صدر لذلك فلا حاجة للخوف من الموت ما دام تقدير وقته بيسر الله وحده دون سواه .

-الرابط الحجاجي (لو)

من أدوات الشرط غير الجازمة ومعناه ((غير امتناعية أي عقد بين السببية والمسببة))([2]) وجاء هذا الرابط في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65)** ﴾([3]) ربط هذا الرابط بين زرع النبات و بين حطامه وجاء بمعنى الامتناع ، والنتيجة قدرة الله في الخلق والله يوضح هذه القدرة عندما يريد الفلاح أنَّ يزرع يبدأ بحرث الأرض قبل كل شيء من أجل تهوية التربة ، وزيادة خصوبتها عن طرق تقليب التربة ليودع البذور فيها وتكون طريقة زرعها هو نثرها على التربة فإنَّ النباتات خلق من الأرض مثلما خلق آدم منها هو أول أنسان ،فأنَّ الله يوجه لهم السؤال ، وبهذا السؤال ترك الحرث و ذكر الزرع ؛ لأنه هو المراد و الهدف من عملية الحرث ، ويوضح الله قدرته لهم عن طريق خلقت النبات أنَّه يخرجها من الأرض لا يستطيع أحد أنَّ يفعل هذا وكذلك بعد خروجها من الأرض وتزهر لا أحد يستطيع حمايتها فإنَّه يقوم بحمايتها سبحانه و تعالى ولولا حمايته لأصبح فتاتاً هشيماً

([1]) في ظلال القرآن : 1 / 716 _ 717.

([2]) النحو الوافي : 4 / 428.

([3]) الواقعة : 63 _ 65.

تذروه الرياح ولا تستفادون منه شيئاً و بهذا آتى بحياة الانسان وما ينقصها سوى الموت وبعد ذلك آتى بحياة النبات و ذكر ما ينقصها من جفاف يجعله فتاتاً لا فائدة منه ([1]) .

وضح هذا الرابط قدرة الله في اخراج النبات من الأرض ولولا هذه القدرة لأصبح هشيماً تذروه الرياح وخلقها شبيه بخلق آدم و هو مماثل لحياة الانسان و ما ينقصه سوى الجفاف كما حياة الانسان ما ينقصها سوى الموت .

-الرابط الحجاجي (أما)

وهي من حروف الشرط الحجاجية وتكون على أقسام ثلاثة :

((حرف استفتاح ، تكون بمعنى حقاً ، تكون للعرض)) ([2]) حيث ذكر في قوله تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ (17) ﴾ ([3])

وجاء الرابط الحجاجي أما في آيات السنن الكونية ،وأيضاً ورود أكثر من رابط حجاجي في هذا الخطاب من أجل إقناع المتلقي بحجج المرسل، و وصوله إلى نتيجة هي الإيمان بقدرة الله في خلقه، فهذه الآية ذات صور فنية وذات إيحاءات متنوعة ومن هذه الإيحاءات المطر الذي يرمز إلى الخير، و الوديان ترمز إلى النفس البشرية وطبيعتها واستعدادها في تقبل الخير؛ أي لتقبل الإيمان ، وينتقل إلى سنّة أخرى وهي عندما ينهمر المطر في الوديان فإنّ سيوله قد امتصت تكون عادة مصحوبةً بالزبد ؛ وهو الرغوة الطافية على السيل ، لأن الزبد الذي يذهب جفاءً لا ينتفع منه ، أما الذي ينتفع منه فيمكث في الأرض ؛ لأن الزبد رغوة سريعة التلاشي من سطح الماء ،أما الذي ينزل إلى الأرض هو الذي ينفع البشرية لأنه مفيد للزرع والتي تبقى فوق سطح الماء فهي لا تنفع البشرية لأنها تذهب ،كما هو واضح وأنَّ دل

([1]) ينظر : تفسير الشعراوي : 24 / 14873 _ 14874.

([2]) الجنى الداني في حروف المعاني : 390 _ 392.

([3]) الرعد : 17.

على شيء يدل على أَنَّ الحق يبقى والباطل سيتلاشى تماماً مثيل الزبد الذي يبقى في الماء أو يتلاشى ، والسنَّة الثالثة هو مما يوقدون عليه، و يقصد به المعادن الثمينة التي تفيد الناس ك(الذهب) وذلك أنَّ الذهب يتشابه مع المياه في خاصية الزبد وذلك عندما ينصهر الذهب بدرجة حرارة عالية فأنَّ الشوائب العالقة به تذوب بالحرارة ويقصد بها المواد غير الأصلية وتبقى ذرات الذهب المواد الأصلية جانباً أي يحتفظ بما هو أصلي فقط ، وغير الأصلي يذهب زبداً أيضاً وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم يداخل بين الصور، بين صورة ما ينفع من المياه و ما ينفع من ذهب و مثلها أيضاً ما لا ينفع من الذهب و ما لا ينفع من المياه ، وأما دخول الرابط الحجاجي ((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ ....)) هو الحق الفكرة التي تقوم عليها سورة الرعد حيث أنَّه يمكث الحق ويتلاشى الباطل تماماً كما يتلاشى الزبد والمواد غير الأصلية في الذهب ومن طرفٍ آخر يبقى مرتبطاً بالجانب النفسي للإنسان من حيث استعداده للاستجابة للحق أو الباطل بقدر استجابته للخير والشر([1]) .عمل هذا الرابط على عرض النفس البشرية و شبهها الأرض بعد نزول المطر ، إذ تكون لها القابلية في استقبال الإيمان والخير مثل قابلية الأرض على امتصاص الماء ، وأيضاً تماثلها في التفاوت إذ تكون النفس متفاوتة في الاستجابة للإيمان فنهاك ماتستجيب بقدر كبير ، وهناك ما تستجيب بقدر صغير و هنالك ما لا يستجيب البتة ، فهي مثل وديان الأرض فاذا كان الوادي كبيراً امتص ماء المطر بقدر أكبر أما إذا كان العكس امتص بقدر أصغر ، وعرض عليهم حالة الزبد الذي يكون فوق سطح الماء هو الذي فيه فائدة ، والذي يذهب لا فائدةَ منه ، وكذلك يكون الحق والباطل ، أي الحق يبقى و الباطل يتلاشى وهكذا تكون النفس البشرية من ناحية الاستجابة للخير أو الشر .

-الرابط الحجاجي (بل)

((حرف إضراب وإبطال أو انتقال من غرض إلى غرض آخر)) ([2])

([1]) ينظر : تفسير البنائي للقرآن الكريم : 8 / 397 _ 398.

([2]) مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبن هشام الأنصاري : 38.

ويكون((الانتقال عدم ارادة إبطال الكلام الأول))([1]) وأيضاً هي من الأدوات التي تربط بين حجتين تؤديان إلى نتيجة مضادة حيث تكون الحجة بعد بل أقوى من الحجة التي قبلها ([2]) وذكرها الرماني إذ قال ((هي من الحروف الهوامل ومعناها الإضراب عن الاول والايجاب للثاني))([3]) ويرد هذا الرابط في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) ﴾ ([4]) الرابط حجاجي انتقالي إذ نقل الله سبحانه وتعالى حججاً إلى أنّ وصل في النقل للذين يعدلون عن الله ، وكذلك واصل في الانتقال في الحجج إلى الذين لا يعلمون، على الرغم من أن من نقلت لهم الحجج ما زالوا يشركون بالله وجعلوا معه إلهاً آخر وهم منغمسون في إنكار وحدانية الله وهذه النتائج تكون ضمنية إذ كانوا يعدلون ، عن الحق ويجعلون له من يماثله وهو لا مثيل له ، هو الذي خلق لكم بساتين ذات منظر حسن إذ أنتم لا تقدرون على انبات الشجر ولا ينبغي لكم هذا ، ثم بعد ذلك ينتقل إلى الأرض وجعلها موضعاً تستقرون عليها ، ويكون خلال هذه الأرض أنهارٌ وكذلك جعل فوقها جبالاً ثوابت . ومن خلقه أيضاً عدم خلط الماء المالح والعذب بجعل حاجزٍ بينهما على الرغم ، من هذه الأدلة تجعلون مع الله إلهاً منهم لا يعلمون ما عليهم وما لهم ([5]) أما في تفسير بحر العلوم في قوله تعالى(أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ) وهنا الاستفهام الانكاري ويراد به الزجر بسبب شركهم وعبادتهم للأصنام ثم قوله تعالى (أَمَّنْ جَعَلَ

([1]) معاني النحو : 3 / 258.

([2]) ينظر : التحرير و التنوير : 16 / 226.

([3]) معاني الحروف : 71.

([4]) النمل : 60 _ 61 .

([5]) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد : 3 / 382.

الأَرْضَ) أي لا تميد بأهلها وسكناً أيضاً وكذلك جعل ستراً مانعاً بقدرته لا يخلطان بعضهما ببعض في البحر المالح والعذب وعلى الرغم من هذا كله لا يعلمون بتوحيد الله عز وجل ([1]) .

وإنْ انغماس المشركين في كفرهم تعد الحجة الأقوى على الرغم من وجود الأدلة أو الحجج أمامهم ؛ لكنهم ما زالوا مستمرين في كفرهم وإشراك الأصنام بالعبادة دون الإيمان بالله ، وكان من المفروض بهم الإيمان بالله عندما طرح لهم هذه الأدلة لا العكس بالاستمرار في ظلالتهم وغوايتهم وعدم تركهم الشهوات و الكفر بمن أنعم عليهم بالخيرات والأمن والملك .

ويرد الرابط نفسه في قوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (116)** ﴾([2]) ، حيث أبطل الرابط الحجاجي (بل) ادعاء الذين يقولون أنّ لله ولداً كاليهود حينما أفتروا على أنّ عزيراً بن الله ومثيلهم النصارى حينما ادعوا أنَّ المسيح ابن الله وحتى المشركين من العرب أيضاً قالوا أنّ الملائكة بنات الله ، إذ جاءت الحجة الاقوى بعد هذه الادعاءات وهي إنَّ الملك كله لله ومنقاد إليه بعبودية طبعاً فهو ليس بحاجة إلى ولد ويجب أنْ يكون الولد من جنس والده ([3]) .و في تفسير آخر ((من أجل التقديس والتنزه كل الخلائق عبيد له سبحانه خاضعون له ، ويتصرف فيهم ، ما يشاء وتنزه عن الصاحبة والولد فهو لا يحتاج لخلقه)) ([4]) ، فمن لديه القدرة و الجبروت في الإنشاء و التكوين و الخلق بروح و عدمها ، لا يكون بحاجة إلى شريك أو ولد مهما كان جنسه فهو الواحد المتفرد الذي ليس كمثله شيء ، المنزه المكتمل .

([1]) ينظر : بحر العلوم : 2 / 502.

([2]) البقرة : 116 .

([3]) ينظر : الأصفى في تفسير القرآن : 1 / 63.

([4]) المختصر في تفسير القرآن : 18.

_ الرابط الحجاجي (لكنْ ، لكنَّ)

((حرف استدراك تواسطها بين كلاميين متغايرين ، نفياً وإيجاباً و لا تقع إلا بين متنافيين بوجه ما فهي مدرجة للحجج القوية)) ([1]) ويقول عنها الرماني ((تكون مخففة ومثقلة فالمخففة غير كاملة ، و المثقلة عامة ، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد))([2]) فهي تتوسط بين متنافيين وإعطاء الحجة الثانية القوة اللازمة وجعلها أقوى من الأولى التي تسبقها ولهذا تصبح وظيفة الرابط هو التوجيه نحو نتيجة مضادة ([3])

و يرد هذا الرابط في قوله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44) ﴾([4]) إذ استعمل الرابط (لكن) من أجل إقناعهم إذ انتقل من حجة التسبيح له كل ما في الكون إلى حجة عدم تفقههم بهذا التسبيح ،وهي الحجة الأقوى على الرغم من أن هذه الأشياء أمامهم لكنهم لا يؤمنون بالله لأن هذه الأشياء التي في الكون ومنها التراب يسبُح إذا لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وكذلك الورقة أيضاً تسبح طالما مازالت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح ، وأيضاً الطيور إذا صاحت سبحت وإذا صمتت تركت التسبيح حتى الجماد يسبح أيضاً كالثوب عندما يكون جديداً فاذا أصبح وسخاً ترك التسبيح وهذا يدل على أنَّ كل شيء يسبح لله إذا كان حياً وجماداً أو ميتاً يسبح لله وحده لا شريك له في ذلك وإنَّ الله سبحانه وتعالى عالم في الجمادات لا يعرفه سواه ، وإنْ تسبيح كما ذكر المفسر في الأرض والسموات وسائر الحيوانات وإنْ دلت سوى العقلاء ودلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها وهذا تسبيحها لله وأنَّ كل هذا التسبيح لا تعلمونه سوى ما كان بلغتكم وألسنتكم وهو الغفور

([1]) استراتيجيات الخطاب : 509.

([2]) معاني الحروف : 133.

([3]) ينظر : رسائل الأمام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية : 99.

([4]) الأسراء : 44 .

الرحيم ([1]) و ((ينزهه كما لا يليق بشأنه بلسان الحال الدال على التوحيد أيها الكفرة لترككم النظر المؤدي إلى فهمه قد يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة)) ([2]) عمل هذا الرابط على بيان أن الأشياء في هذا الكون جميعاً تسبح لله و لا يفقه تسبيحها سوى العقلاء منكم على الرغم من ذكره الأدلة إلا أن هناك من يكفر بالله .

وأيضاً ورد هذا الرابط في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61) ﴾([3]) هو الاستدراك للحجة الثانية من خلال الحجة الاولى ، حيث تكون الحجة الثانية هي الأقوى على الرغم من أن الحجة الأولى كانت بمثابة دليل لهم على إحدى النعم، ولكنهم على الرغم من ذلك لا يشكرونه وتكون هذه نتيجة الحجة الثانية إذ تكون الحجة الاولى عندما صيَّر الله سبحانه وتعالى الليل مظلماً لكم لتسكنوا فيه وتستريحوا وجعل النهار مضيئاً منيراً لتعملوا فيه وتكسبوا فيه رزقاً لكم وهذا يعود الفضل كله فيه إلى الله سبحانه وتعالى عندما أسبغ على الأنسان ظاهراً وباطناً هذه النعم ولكنَّ معظم الناس لا يشكرونه على ما أسبغ عليهم منها ([4]) و إنَّ نزول هذه الآية الكريمة متعلقة بوجهين الأول كأنه الله سبحانه وتعالى يقول إنَّي أنعمت عليكم هذه النعم قبل طلبكم لها، والوجه الثاني هو الدعاء وذلك لمّا أمر الله سبحانه وتعالى بدعائه فكان لابد من وجود المعرفة الدالة على ذاته ، ومن الأدلة على وجوده وقدرته وحكمته فهي أمَّا فلكية أو عنصرية ، فالفلكية تشمل الكثير من الظواهر ومن هذه الظواهر ظاهرة تعاقب الليل والنهار وقد ذكر هذه النعمة في هذا المقام ؛ لأنَّها مرتبطة في مصالح العالم وقد أوضح الغاية من خلق الليل وهي الراحة بسبب النوم والسكون، أمّا الحكمة من النهار هي إبصار الأشياء وأنّ الراحة في الليل فيها وجهان الأول منها بسبب الحركات التي بدورها تسبب الإعياء

([1]) ينظر : تفسير البغوي (معالم التنزيل) : 5 / 96.

([2]) الوجيز في تفسير القرآن العزيز : 2 / 204.

([3]) غافر : 61.

([4]) ينظر : المختصر في تفسير القرآن : 473 .

وتوجب معها السخونة والجفاف ، وأمّا الوجه الثاني وأنّ الاحساس بالأشياء عن طريق الأرواح الجسمانية التي تصل إلى ظاهرة الحس ، وهذه الأرواح تتحلل بسبب الحركات وتسبب ضعف الحواس والاحساسات ، وإذا نام الإنسان استعادت الأرواح الحساسة في باطن البدن، وتخلصت عما يصيبها من التعب، وأيضاً الليل يكون رطباً بارداً وبهذه الصفات يتدارك بما حصل في النهار من الحر والجفاف ، بسبب كثرة الحركة في النهار وهذا كله يرجع إلى نعمة الليل أمّا نعمة النهار فإنَّ الإنسان من صفاته يتصرف في مدنية بالطبع وهذه المدنية تعمل على تنظيم مأكله ومشربه ولا تحدث إلا بالضوء والنور ويميز بين ما يوافقه ومالا يوافقه وهذه الغاية من النهار ، والمراد من فضل الله على الخلق كثير على الرغم من هذا لا يشكرونه وأنّ ترك هذا لشكر للسببين الأول أن هناك من يعتقد هذه النظم ليس من الله ويعتقد أنّ هذه الأفلاك واجبة الوجود وواجبة الدوران اللذاتها ،والسبب الثاني يعتقد انّ هذا الخلق لله وتكوينه ما عدا نعمة تعاقب الليل والنهار ليست منه بسبب استمرارها في الوجود فنساها الأنسان ([1]) وظف هذا الرابط لاستدراك الحجة الثانية وهي التي تكون الأقوى وهي عدم شكر الله على هذه النعم ، لكنهم عملوا على الاشراك به وعدم الإيمان بقدرته ووحدانيته، وكان من المفروض شكر الله على نعمة الليل والنهار وهم يعيشونها لكن بعضهم كفر بها مع إنها أحد الأدلة العظيمة على قدرته في هذا الخلق.

_ الرابط الحجاجي (حتّى)

وهي من الروابط الحجاجية ((التي تربط حجتين تخدم نتيجة واحدة وتكون الحجة التي بعدها هي الأقوى))([2]) ويستعمل هذا الرابط أيضاً ((لانتهاء الغاية ،وكذلك يأتي بمعنى التعليل، وأيضاً يأتي لاستثناء وهذا قليل وكذلك العطف))([3]) وأنّ القول الذي يرد فيه (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي وأنّ حجج هذا الرابط تكون منتمية إلى فئة

([1]) ينظر : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : 27 / 82 _ 83.

([2]) اللغة و الحجاج : 71 _ 72.

([3]) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : 166.

حجاجية واحدة ([1]) وكما امتازت به (حتى) أنّها تكون سلمية تراتبية وذلك بسبب ما يورد معها من حجج حيث تكون الحجة الأولى ضعيفة والحجة بعد (حتى) تكون هي الأقوى كما ذكرنا سابقاً ،وتكون لها علاقات ومن هذه العلاقات التبرير والتفسير ،والسببية حيث تكون الحجة قبل (حتى) سبباً إلى الحجة التي بعدها أو ما بعدها يبرر ما قبلها ([2]) ذكر هذا الرابط في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ (61)** ﴾([3]) وتكون نتيجة هذا الربط ضمنية هي قدرة الله في الخلق حيث تكون الحجة الأولى إرسال الملائكة ، والحجة الثانية والتي تكون الأقوى من سابقتها وهي الموت بإرسال الملائكة أيضاً ، حيث يوضح من خلال هذا الرابط بأنّه القاهر المستعلي والمقتدر على عباده ، و لا يقصد بهذا انّه فوقهم أي المكان المرتفع به عنهم لا يجوز هذا؛ لأنه صفة جسمانية ، أمّا المقصود (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) الملائكة يرسلهم يسجلون أعمالكم ويكتبونها ويحفظونها حتى تعلموا بذلك ويكونوا شهداء عليكم يوم القيامة وقوله تعالى ((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ)) ويعني بهذا الوقت الموت تقبض روحه الملائكة والذي وصفهم الله (برسلنا) أو ملك الموت وأعوان وأنّهم لا يعرفون أجل الأنسان حتى يعلمهم الله به ثم يقوموا بقبض الروح و هؤلاء الملائكة لا يغفلون ولا يقصرون في أخذ الروح ([4])،عمل هذا الرابط على تقوية حجة الموت من أجل بيان قدرة الله في الموت وإحياء الموتى بعد موتهم ، وذلك بسبب نكران بعضهم هذه المقدرة وأن الله سبحانه وتعالى وضَّح هذا عن طريق إرسال الملائكة بأخذ روحهم ، وكذلك ليكونوا شهداء عليكم يوم القيامة من خلال تسجيلهم لإعمالكم في الحياة الدنيا وبهذا قد قهركم بالموت .

([1]) اللغة و الحجاج : 73.

([2]) ينظر : مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري الشيخ محمد بشير الإبراهيمي مقاربة توصيفيه لآليات الإقناع : 56.

([3]) الأنعام : 61.

([4]) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 4 / 158 _ 159.

ويرد الرابط (حتى) في آية أخرى من آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(24) ﴾([1]) إذ وردت الحجة الأقوى بعد (حتى)وهي بجعل الأرض حصيدًا بعد ما كانت خضراء وكل شيء فيها ، وأنَّ الله جعل الحياة الدنيا و زوالها مماثلة لحياة النبات الذي أخرجه الله من الأرض ، وذلك عندما أنزل من السماء ماء وبسبب هذا الماء قد برز مما يأكل منه البشر من زروع وثمار على الرغم من اختلاف أشكالها وأنواعها وكذلك تأكل منه الأنعام وغيرها وأخرجت ما أحسنه من رُباها وزهوراً جميلة مختلفة الأصناف والألوان وظنوا الذين غرسوها و زرعوها إنهم قادرون على حصادها لكن جاءتها الصاعقة أو رياح باردة فتسببت بإتلاف ثمارها وأيبست أوراقها فأصبحت يابسة بعد تلك الخضرة والنظارة كأنها لم تكن موجودة في الأمس وهكذا بين الحجج والأدلة لأناس يتفكرون([2]) عمل الرابط (حتّى) على تقوية الحجة الثانية والمراد منها هو زوال الدنيا ووجود البعث والجزاء بعدها وعن طريق تشبيهها بالأرض بعد ما كانت خضراء تصبح لا شيء كأنها رمادٌ أو حصيدٌ وعلى الناس أن يتفكروا بهذا وما أصبحت إليه الأرض وأن يؤمنوا بالله و بقدرته.

_ الرابط الحجاجي (لام التعليل)

هذه الأداة تدخل على الفعل المضارع ، يكون ما بعدها سبباً لما قبلها ، ولها تسميات أخرى مثل لام كي ، ولام السبب ، ولام العلة فهي تأتي لتبرير ،و تعليل الحجج ([3]) وجاءت في

([1]) يونس : 24.

([2]) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : 4 / 260.

([3]) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : 109 .

آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) ﴾ ([1])

جاء الرابط الحجاجي (اللام) يعلل أو يوضح السبب من خلق الشمس والقمر وهو معرفة الأيام والأشهر و ما مطلوب منكم فيها من عبادات ، من أجل إقناع المقابل بهذه السَّنة الكونية الدالة على وجود الله المتحكم المتقن في خلقه على وجه بديع و عجيب وأنَّ الغاية من خلق السموات وجعل فيها الشمس مضيئة ، والقمر منيراً ليلاً ودبر الأمور بتدبير رائع ، فهو الأجدر والأولى بأرسال الرسل ، والكتب والأيمان به وجعل القمر يسير في فلكه سبحانه وتعالى وينزل في كل ليلة في منزل و لا يذهب إلى منزل آخر إلا وقضى فيه ليلة وعدد هذه المنازل ثمانية و عشرون منزلاً ومن خلال هذه المنازل يرى القمر بالعين المجردة إلا في ليلتين يحتجب فيهما وأنَّ الفائدة من هذا معرفة الحساب والأوقات والأشهر والأيام لضبط عباداتكم و المعاملات المالية والمدنية المطلوبة منكم و لا يمكن هذا إلا بدراسةٍ و علمٍ وذلك لمعرفة وقت صيامكم و حجكم و الحكمة منهما الدوران في فصول السنة جميعها فيعبد المسلمون في جميع الأوقات سواء كانت باردة،أم حارة ،أم معتدلة ([2]) و المراد منهما زيادة في الاحتجاج لتوحيده سبحانه وتعالى أي تعلموا أول الشهر وآخره ، ومعرفة بداية السنة ونهايتها إذ جعل القمر والشمس آيتين من آيات الله فيهما أعظم دلالة على وحدانيته تعالى من خلال الوجوه الكثيرة فيهما ومن الوجوه خلقهما من ضياء ونور ،وقربهما، وبعدهما ودوارنهما ، و كسوفهما ، و مغاربهما ، و مشارقهما .

ومن خلال شعاع الشمس المبث إلى العالم ، وكما تأثيرها في الحر والبرد ، وأيضاً إخراج النبات ونضج الثمار ، وأمَّا القمر تمامه ووسطه وآخره في الشهر و نقصانه في الطرفين ليتميز أول الشهر وآخره من وسطه ، وهذا كله من نعمته الله و عظمته وهذا الخلق فيه منافع لهم في دينهم ودنياهم ودلائل على وحدانية الله و قدرته و في كونه عالما وتشرح هذه

([1]) يونس : 5 .

([2]) ينظر: تفسير المراغي :11 / 67 _ 68.

الآيات لمن يعطي كل آيةً التأمل والتدبر ([1]) ، انها دعوة للتدبر و التفكير في منشيء هذا النظام و هذا الابداع المتوافق مع احتياجات البشرية و مخلوقات الارض الحية فكل شيء وضع لغاية و كل أمر أُنشيء باتقان لا خرم فيه و لا نفور و لا عيب و كلها تكونت بقدرته و تدبيره أفلا يستحق العبادة على ذلك من قبل من هم قد تنعموا بهذا الخير المترع على البسيطة .

وجاء أيضاً في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) ﴾([2]) وقد تكرر هذا الرابط أكثر من مرة في ((وَلِتَبْتَغُوا)) و((لِتَجْرِيَ)) مِنْ أجل الاحتجاج المقابل و إقناعه بما لديه من شكوك من قدرة الله و كانت الفائدة من هذا الرابط هو تعليل من تسخير البحر له ، وكذلك الوصول إلى فضل الله ((وهذه الآية عبرةٌ في جريان السفن في البحر ، وكذلك أنَّ الله تعالى سخر هذا المخلوق العظيم لهذا المخلوق الحقير الضعيف ، و هذا كله بأمر الله الذي أناب القدرة والإذن مناب أنَّ يأمر البحر بذلك والابتغاء فضل الله وقصده التجارة على الأغلب وكذلك مقاصد البر كالحج والجهاد أيضاً ، والصيد فيه أيضاً هو ابتغاء من فضل الله))([3]) .

مما تقدم ذكره تتظافر السنن الكونية تباعاً في القرآن الكريم للتحقق في ورودها تذكيراً بما أنعم تبارك وتعالى على عبادة وما منحهم من هبات متمثلة بصورة مخلوقاته العظيمة بأشكالها كافة لخدمته و التسهيل و تيسير عيشه على هذه البسيطة مقابل شيء بسيط هو عبادته والايمان بوحدانيته وعدم الشرك به أو محاولة التقرب إليه زلفى بوساطة أحد مخلوقاته .

([1]) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : 5 / 120 _ 121 .

([2]) الجاثية : 12 .

([3]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 1699 .

المبحث الثالث

السلالم الحجاجية

تعد السلالم من ضروريات الدراسات الحجاجية اللغوية أو البلاغية ، أو الفلسفية والمنطقية ويفهم من مصطلح السلم الصعود أو الرقي أو التدرج بالحجج من الحجة الضعيفة للحجة القوية أو العكس ليقضي بالنتيجة النهائية تؤكد حجاجية الحجج المتدرجة، إذ يعرف السلم الحجاجي ((علاقة تراتبية للحجج حيث ن =النتيجة وب ، ج ، د حجج وأدلة تخدم النتيجة ن))([1])، وتكون الحجج المتراتبة تنتمي إلى سلم حجاجي واحد و يتسم السلم بالسمتين الآتيتين : 1((كل قول يرد في درجة ما من السلم ، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى من بالنسبةل(ن)

2 – إذا كان القول يرد في درجة ما من السلم يؤدي إلى النتيجة فهذا يستلزم ان ج أو د الذي يعلوه درجة يؤدي إليها ، والعكس صحيح))([2]) .

فالسلم الحجاجي يعتمد في بنائه الهيكلي على تفاوت الحجج من القوة والضعف إذ يكون اعتماده على الحجج القوية وهي بالأخير تكون الحجة النهائية وكلما كانت الحجة قوية كانت أقرب الى النتيجة ، وتكون أكثر وقعاً في نفس المتلقي ، ولقد إهتم المفسرون بالسلالم الحجاجية وعدُّوها من أهم الوسائل التي تبين المقاصد الخاصة للآيات القرآنية ([3]) فهي توجه المتلقي توجيهاً معينا من النتائج ، بعد ذلك تأتي الوجهة التي تمكن المخاطب من أن يسير فيها ([4]).

ويذهب شكري المبخوت إلى أن السلالم الحجاجية تنطلق من ((اقرار التلازم في عمل المحاجة بين الحجة والنتيجة ومعنى التلازم هنا هو أنّ الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى متكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الاشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى

([1]) اللغة و الحجاج : 20.

([2]) م . ن : 21.

([3]) ينظر : السلالم الحجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية : 101.

([4]) ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه : 23.

ضمنية))([1]) وإن((السلم الحجاجي عند ديكرو يتكون من حجة ونتيجة وهذه تعمل على تناسب القوة الحجاجية للقول بدءاً من العلاقة اللسانية بين فعلين حجاجيين)) ([2]) .

ومن المواضع التي ورد فيها السلم الحجاجي في آيات السنن الكونية قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ﴾([3])

الحجة الشك من البعث و النتيجة تكون ضمنية هي قدرة الله في خلق وتصويره الإنسان من خلال مراحل خلقه ونموه والسلم يكون بالشكل الآتي :

7 – لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهي أقوى الحجج

6– نخرجكم طفلاً

5 – ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى

4– مضغة

3– علقة

2 – نطفة

1 – من التراب

و هنالك من يجادل في قدرة الله من دون علم ، وكان جداله في البعث من جديد ، و أن الله سبحانه و تعالى ذكر له دليلين هما : في نفس الإنسان و ابتداء خلقه ، و تطوره حسب السلم الخلقي ، وهو التراب ، والنطفة ، والعلقة والمضغة ، والإخراج طفلاً ، وبلوغ الأشد ، والتوفي أو رد إلى الهرم ، والدليل الآخر فهو انتقال حال الارض من حال إلى حال .

([1]) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : 363.

([2]) عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : 85.

([3]) الحج : 5 .

فإذا عقله العاقل ثبت عنده جواز عقله ، و أما إذا اورده الشرع وجب تصديقه ؛ لأنه واقع لا محال له ، وإنْ اصابكم شكٍ في يوم البعث فيزيل شككم وأن تبصروا في بدء خلقكم من تراب ، أي اصلكم واحد و هو آدم (ع) ، والمني و دم الطمث اصلهما من الأغذية الحيوانية و النباتية ، والحيوان يعود إلى النبات ، و النبات من الأرض والماء ، وأما النطفة فهي المني (نطفة آدم) ، و العلقة فهي قطعة دم جامدة ، وغير مخلقة فهي ليست كاملة ولا ملساء ، فالمضغ يكون متفاوت في الطول و القصر ، والكمال و النقصان ، (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) ، أي أن من قدر أن يخلق بشراً من تراب أولاً و ثم من نطفة ثانياً و لا يوجد تناسب بين التراب و الماء ، ثم بعد ذلك قدر على أن يجعل النطفة علقة و بينهما تباين ظاهر ، و من يجعل العلقة مضغة ، والمضغة عظامًا قدر على إعادة ما أبداه ، بل هذا ادخل القدرة و أهون في القياس ([1]) ، و يذهب بعضهم إلى النطف هو القطر وسمي بهذا الاسم لقلته ، و العلقة فهي تشبه العلقة التي تظهر حول المياه و الأحواض ، و (ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) أي مقدار ما يمضغ من اللحم ، و (مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) فهي مستبينة الخلق مصورة و غير مصورة ، أي فيها الرأس ، والرجلان و اليدان ، و غير مخلقة فهي التي لم يخلق فيها شيء ، و (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) أي نوضح لكم هذا النموذج الرائع من بديع اسرار قدرتنا ، (وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ) و نثبت في ارحام الأمهات الحمل ؛ لمن أردنا نقره حتى يكتمل خلقه ، و (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أي إلى زمن محدد من وقت الوضع و (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) ،أي نخرجكم اطفالاً ضعفاء في القوة ، و السمع و البصر ، ومن ثم نعطيكم القوة شيئاً فشيئاً و (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) أي كمال قوتكم و عقلكم و (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى) أي منكم من يتوفى في ريعان شبابه و (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) و منكم من يصل إلى عمر الشيخوخة ، و الهرم و الخرف ، و (لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ) أي يرجع إلى ما كان عليه في الطفولة من ضعف في الجسم ، وقلة في الفهم ، وسفاهة في العقل فينسى ما عرفه و ينكر ما علمه ([2]) .

([1]) ينظر : التفسير البحر المحيط : 6 / 327 .

([2]) ينظر : صفوة التفاسير : 2 / 281 .

لتحقق الآيات المراد منها أنه بيان لعظمة الله وقدرته التامة التي لا جدال فيها و التي برزت بالشكل الأمثل في مخلوقاته وما خلقه لها وما انزله من آيات باهرات تتمظهر أمام كل ذي لب مهما تحرك أو نظر وليست معرفتها بتلك الصعوبة فهي بارزة تتكلم عن نفسها وتبين عظمة الله وجبروته وقدرته .

ومن المواضع التي ورد فيها السلم الحجاجي أيضاً في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (13) وَأَنْزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (18) وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (19) وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً (20) ﴾ ([1])

والنتيجة هي قدرة الله في إعادة الموتى يوم الحساب ، والحجة الأقرب للنتيجة هي وسيرت الجبال فكانت سراباً والحجج الباقية هي دليل على هذا اليوم و ما يحدث فيه، والحجج هي

15 وسيرت الجبال فكانت سراباً

14 وفتحت السماء فكانت أبوابا

13 يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً

12 ات يوم الفصل كان ميقاتا

11وجنات ألفافاً

10 لنخرج به حبا ونباتاً

9 وأنزلنا من المعصرات ماءً تجاجاً

8 وجعلنا سراجاً وهاجاً

7 وبنينا فوقكم سبعاً شداداً

([1]) النبأ : 6 _ 20.

6 وجعلنا النهار معاشاً

5 وجعلنا الليل لباساً

4 وجعلنا نومكم سباتاً

3 وخلقناكم أزواجاً

2 والجبال أوتادًا

1 ألم نجعل الأرض مهادًا

استعمل الحجج في إقناعهم بقدرة الله في إعادة الموتى من جديد في يوم القيامة وهي بجعل الأرض كالفراش وأيضاً تكون مذللة لهم حتى تسيروا عليها ، والحجة الثانية بجعل الجبال لها أوتاداً كي لا تضطرب و منعها من المَيَدَان حتى لا تميد بأهلها كأن أقطار الأرض قد شدت أليها ، ثم يصل بذكر الحجج الى الحجة الثالثة وهي بخلقكم أناثاً وذكوراً حتى تتم السعادة في المعيشة وحفظ النسل وتربيته ،ثم جعل لكم الراحة والقوة بعد التخلص من التعب ويكون ذلك عن طريق النوم والسبات هنا هو النوم اللازم (للاستراحة) ، وجعل لليل ثوباً هو الظلام وهو الستر أي يكون الظلام هو الذي يستر الإنسان من العيوب إذا أراد الهرب أو الخوف من عدوٍ له أو اخفاء ما لا يُحب الاطلاع عليه ، وبعد ذلك جعل النهار فيه مكسب المعيشة وقضاء الحوائج ،ثم يصل بتسلسل الحجج إلى السماوات بجعلها سبعاً محكمات قويات لا تؤثر فيها مرور الأيام والعصور ولا يوجد فيها فطور أو فروج ،وكما جعل لهذه السماء شمساً متلألئة وقادةً ،ثم جعل السحاب تعصر الماء ويكون منصباً متتابعاً والغاية من هذا هو اخراج الحنطة والشعير، أما النبات هو الحشيش الذي تأكله حيواناتهم ، ومن فائدة هذا الماء أيضاً جعل على الأرض الحدائق تكون ملتفة الشجر ، وبعد هذا كله ينتقل إلى يوم الفصل إذ يفصل هؤلاء الناس إلى سعداء واشقياء بحسب أعمالهم ويكون هذا اليوم نهاية الخلق إليه ثم تصبح السماء فيه ذات شقوق بعد ما كانت محكمة وخالية من الفطور والصدع ويصف حال الجبال بهذا اليوم إذ تكون كالهباء بعد ما كانت راسيات شامخات أي تكون متفتتة الأجزاء متصاعدة إذ تكون كالسراب عندما ترتفع

في الهواء وهذا غبار غليظ متراكم وليست الجبال وأن من يراه من بعيد يحسبها جبالا ([1]) في النص السابق حركية الخليقة منذ أن بدأت إلى يوم يبعثون و هي تتحرك ضمن أزمنة ثلاث الماضي أول الخلق و تسخير السماء والأرض لخدمة البشر و توفير أسباب الحياة لأعظم الكائنات وسيدها (الانسان) ، ثم الانتقال للوقت الحاضر ووصف خلق الإنسان وكيفيته وعيشته و بعدها الانتقالة الأخيرة العودة إلى تدريج الثواب والعقاب (الجنة و النار) إلى حقيقة الزمن البسيط الذي عاشه البشر وسيحاسب عليه لما أقترف من أفعال ومواقف .

ويرد السلم أيضاً في قوله تعالى ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)** ﴾([2])، و النتيجة هي ذكر علامات يوم القيامة ، والحجة الأقرب للنتيجة هي عملت نفس ما أحضرت

13 عملت النفس ما أحضرت

12 واذا الجنة أزلفت

11 واذا الجحيم سعرت

10 واذا السماء كشطت

9 واذا الصحف نشرت

8 واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت

7 واذا النفوس زوجت

6 واذا البحار سجرت

([1]) محاسن التأويل : 17 / 6032 _ 6035.

([2]) التكوير : 1 _ 14 .

5 واذا الوحوش حشرت

4 واذا العشار عطلت

3 واذا الجبال سيرت

2 واذا النجوم انكدرت

1 اذا الشمس كورت

وبينت هذه الآيات علامات يوم القيامة، و تنقل لنا هذه السورة ما يصبح عليه الكون يوم القيامة ، إذ يكون منقلباً عن المعهود بعد ما كان فيه النظام و التنسيق الجميل المضبوط والموزون في كل شيء وأن هذا كله سوف يذهب وتتناثر أجزاؤه وصفاته التي يقوم عليها إذا تصير الخلائق إلى شيء لم تعهده من قبل في هذا الكون المعهود ومن هذا الانقلاب هو تكوير الشمس أي تكون باردة وتصبح منكمشة بعد انطفاء شعلتها ، وتكون غازات ملتهبة بعد تحول موادها ، ثم بعد ذلك انكدار النجوم أي تتناثر في هذا النظام حيث يفقد ضوؤها وتصبح مظلمة وأيضاً يشير إلى الجبال وكيف تكون بيوم القيامة وهي تكون عبارة عن دقائق من ذرات متطايرة في الهواء ويحدث هذا كله لها بسبب الزلزال الذي يصيب الأرض الذي أخبر عنه الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى ((اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها....)) وهذا يحدث كله في يوم واحد ، وبعد ذلك أيضاً وصف حال الوحوش في هذا اليوم وما آلت عليه حيث تكون مجتمعة بعضها مع بعض دون الالتفات إلى فرائسها أو جحورها أو بيوتها كما تفعله في العادة هذا كله أيضاً بسبب الهول في هذا اليوم أما البحار تكون فمملؤة بالمياه وهذا يكون بسبب الفيضانات التي أحدثتها الزلازل والبراكين التي أزالت الحواجز بينها فيتدفق بعضها عن طريق انفصال الهدروجين عن الاوكسجين أو تفجير ذراتها وهي تشبه تفجير الذرة وهو أشد منها حيث تنطلق من البحار تيارات هائلة لا يعرف مداها ، ثم يصل إلى وأد البنات وهي عادة في المجتمع الجاهلي بسبب الخوف من الفقر والعار حيث كانوا يتفننون بقتلها ومنها قتل البنت وهي ما زالت على قيد الحياة وبذلك بجعلها أحد موضوعات القيامة كأنها حدث كوني ضمن الأحداث العظيمة ويصل إلى الأعمال ونشرها بعد ما كانت مخفية و مستورة وتكون أشد على النفوس وأنكى وثم يصل

إلى صورة السماء يوم القيامة تكون قد كشطت ويقصد بها عندما ينظر الإنسان إلى السماء تكون قد زالت ولا يرى قبة فوقها وبعد ذلك يختم هذا اليوم الهائل بالجحيم ويزداد لهيبها ووهجها وحرارتها لكن لا يعرف كيف يحدث هذا الا بقوله تعالى ((وقودها الناس والحجارة)) ويعني بعد القاء الكافرين فيها أما قبل ذلك لا علم لنا والله أعلم بها ، أما الجنة فتكون سهلة الدخول و ميسرة أي تكون مهيأة كأنما يزحلق الأقدام إليها بيسر وأن كل هذه الأحداث حيث لا يبق لدى النفوس ذرة شك ما فعلته وما جلبت معها يوم الحساب أي كل نفس تعلم ما معها وما عليها في هذا اليوم وحيث لا تستطيع ان تتغير أو تتبدل ما عملت ولا تنقص منها شيء وهي قد انفصلت عن كل ما هو مألوف لديها في حياتها وتصورها قد يتغير كل شيء و يتبدل كل شيء فلم يبقى الا وجهه الكريم ([1]) ، و إذ يكون هذا المقطع من نص قرآني يتحدث عن قيام الساعة و ما يصاحبها من حدوث تغيرات في الشمس والنجوم ، والبحار والجبال ، والسماء وما يليها من حشر الإنسان ((والحيوان أيضاً)) ، ثم يقضي إلى عملية أكثر عمقاً وهي الانتهاء إما بالجنة أو الجحيم ، أي يكون قيام الساعة من بدء تغير ظواهر الكون ، مروراً بالحشر ، والانتهاء بالجنة أو النار ، وبعد ذلك يطرح الموضوعات التي تكون بعيدة عن تغير الظواهر الكونية مثل قوله تعالى ((وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5))) ومثل قوله تعالى ((وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)) فهذه الموضوعات الثانوية أصبحت موضوعات عامة وثابتة مثل تصدع الظواهر ، و من أجل الانتباه إلى أهميتها فظاهرة ((وأد البنات)) لما لها من تأثير في التناسل البشري وهي من الأعراف والتقاليد أو العادات الاجتماعية التي كانوا في الجاهلية يزاولونها ، وطرحها ضمن موضوعات الحشر وذلك لمحاسبتهم عليها ، وأيضاً تكون محاسبة الحيوانات ، ويكشف العدوان على الآخرين لن يترك أحد بدون حساب حتى بالنسبة للمجتمع أو الحيوان ، ويختم هذا المقطع القرآني ((عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14))) وهذا الختام فيه دلالة فنية فضلاً عن نهاية الشخوص التي يكون مصيرها بالجنة أو الجحيم ، فالختام بهذا المقطع

(1) ينظر في ظلال القرآن : 6/ 3837 _ 3841 .

لجلب الانتباه إلى حصيلة السلوك الإنساني الذي يصدر عنه في مهمته العبودية المكلف بها في الحياة الدنيا ، أي تكون للنفس قيمة عن طريق ما قدمته من طاعات أو معاصي : وهذه القيمة تكون عند قيام ساعة الحشر والمحاسبة ، وعند النظر إلى الجحيم والجنة([1]) ، وظف السلم الحجاجي لتوضيح علامات يوم القيامة ويبين ما يحدث لهذا الكون من تغييرات كونية ، وبعد ذلك يذكر ظواهر اجتماعية وهذه العلامات من الأدلة على يوم القيامة لمن ينكر هذا اليوم و ينكر محاسبة الإنسان بعد موته ، ويكون مصيره أما الجنة أو النار وهي دليل على قدرة الله في الخلق .

نحن أمام متوالية متوافقة التدرج تبدأ من حجة إلى حجة اقوى ثم الأقوى حتى تصبح الجمل كمتوالية تصاعدية أو تنازلية ؛ لتحقق في النهاية ما هو مرجو منها (النتيجة) المتطلبة من قبل الباث الذي عمد إلى هذا التسلسل ؛ لجذب الاسماع ، والقلوب بالتدريج ومن ثم اقناعها بالحقيقة والفكرة ، التي يرغب بإيصالها للمتلقي .

([1]) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : 5 / 290 _ 292.

الفصل الثالث

الحجاج البياني في آيات السنن الكونية

- توطئة .
- المبحث الاول : التشبيه الحجاجي
- المبحث الثاني: المجاز الحجاجي
- المبحث الثالث : الاستعارة الحجاجية
- المبحث الرابع : الكناية الحجاجية

توطئة :

تعد الفنون البلاغة وسيلة من وسائل الحجاج ، لتوظيفها في التأثير على الصورة البيانية في إقناع المقابل عن طريق استمالة مشاعره وتفكيره معاً حتى يقنع بقضية ما ([1]).

وتكمن فائدة الوسائل البلاغية ((فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا أضيفت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه ، أمكن للمتكلم تحقيق غايات من الخطاب ؛ أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين ، ومن ثم توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها ؛ أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال ، فالجمال يرفد العملية الإقناعية ، وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية و الفعل فيها))([2]) ، وأيضاً ((أنّ الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لاجمالية إنشائية ، بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية ومن هنا يتبيّن أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية)) ([3]) ، فالبلاغة ((تدعم طاقة القول الحجاجي ، وتثبت قدرته الإقناعية فتعد عندها وسائل التأثير والاستمالة))([4]) ، وهناك فرق بين البلاغة الحجاجية ، والبلاغة الأدبية فالبلاغة الحجاجية تهتم بالأداء التواصلي الإقناعي الذي يحتوي عليه الخطاب التداولي ،أمّا البلاغة الأدبية فتهتم بالأداء الجمالي الذي يقوم عليه الخطاب التخييلي([5]).

والبلاغة العربية تعتمد على أساس إيصال المعاني والأفكار للمتلقين عن طريق ما تحتويه من الحجج والبراهين المتوفرة في الخطاب ، فعملها لا يقتصر على عرض المحسنات

([1]) ينظر : أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي(تنظير و تطبيق على السور المكية) : 47 ، نقلاً عن آليات تشكيل الخطاب الحجاجي : 173.

([2]) تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية – أنموذجاً : 184.

([3]) التداولية والحجاج ومداخل النصوص : 50.

([4]) الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه : 120.

([5]) ينظر : في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات : 15 .

البديعية والحلية اللغوية([1]) ، والقدامى كان الحِجاج عندهم مرتبطاً بالجمال وهذا ما آكدوا عليه عندما نظروا إلى الشعر إذ قالو([2]) أنه ((لا يحبّب إلى النفوس بالنظر و المحاجّة ، و لا يحلى في الصّدور بالجدال و المقايسة ، وإنما بعطفها عليه بالقبول والطّلاوة و يقربه منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشيء متقنًا محكمًا ولا يكون حلوًا مقبولاً ، ويكون جيدًا وثيقًا و إن لم يكن لطيفًا رشيقًا))([3]) ، و ((إن الفنون البلاغية كـ (....، والاستعارة ، ...)) تسهم في الامتاع وفي الوقت نفسه تعد حاملات للحجاج ؛ لأنها تركز على الفكرة وتطرحها طرحًا مؤثرًا و مقنعاً و انطلاقًا من هذا فإن البلاغة مسلك من مسالك الحجاج و الاستدلال ؛ لأن العلوم البلاغية تكسب قوتها التأثيرية الحجاجية ، لأنها لا تخاطب العقل و الذهن فحسب ، وإنما تخاطب الإحساس و الانفعال أيضًا))([4]).

ويستعمل في الاستمالة والحمل على الإقناع من خلال التأثير عليه جمالياً في خدمة الدرس الحجاجي وذلك عن طريق ما فيهما من قدرة إقناعية تخاطب العواطف والاحاسيس([5]) ((فالبلاغة الجديدة لا تأتي لمن يمتلك فقط سحر البلاغة، بل لمن يمتلك إلى جانب ذلك ،فن الجدال وقوة الإقناع والتأثير وسُلطة الحجاج))([6]) وإنّ البلاغة العربية ((قدمت مدونة تجمع أنواعاً من النصوص تستجيب لوظائف متعددة تعدد الحاجات الناجمة عن سياقات تاريخية وفكرية ، استدعت نصوصاً خاصة، وعلقت بتلك النصوص ما يسد الحاجة ، وقد انتبهت إلى نجاعة القول وبلوغه مقصده من المخاطب ، لا يتوقف على مجرد الحلية اللغوية ، وما يركبه صاحبه من وجوه بلاغية وأساليب بيانية))([7]) .

([1]) ينظر : الحجاج في القرآن الكريم (رؤية جديدة) : 11.

([2]) ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : 120

([3]) الوساطة بين المتنبي و خصومه : 100.

([4]) اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير و تطبيق على السور المكية) : 163.

([5]) ينظر : الحجاج في النص القرآني سور الحواميم نموذجاً : 87 .

([6]) الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة :1 / 11.

([7]) من تجليات الخطاب البلاغي : 89 .

وفي هذا الفصل نتناول الأساليب البيانية في القرآن الكريم في آيات السنن الكونية وكيف استعمل ((التشبيه والاستعارة ، والمجاز ، والكناية)) استعمالا حجاجياً

ومن أهم الاساليب البلاغية الحجاجية الواردة في آيات السنن الكونية ما يلي :-

المبحث الأول

التشبيه الحجاجي :

التشبيه هو ((علاقة مقاربة بين طرفين ،لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال .هذه العلاقة تستند إلى مشابهة حسية ،وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين ، من دون أنْ يكون ضرورياً أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية ، أوفي كثير من الصفات المحسوسة))([1]).

وتظهر قيمة التشبه عند عمل مفاجأة المقابل من خلال إحداث حركة المباغتة في أغلب المواقف التعبيرية ، وأنّ قيمة التشبيه تكتسب من الموقف التعبيري وكذلك تدور قيمته حول العلاقات بين طرفيه ([2]) ، فالتشبيه لا يكون بلفظ فقط من دون معنى بل هو يعبر عمَّا في النفس، ويصبح العقل من خلاله قادراً على تقبل العلاقات القائمة على صور المشابهة التي تحتوي على إبداع متطلب من قبل المخاطب.

والفرق بين التشبيه الأدبي ، والتشبيه الحجاجي ،أنّ التشبيه الحجاجي لا يستعمل من الناحية الجمالية وما فيها من زينة أو تحسين ، إنما يراد به إقناع المتلقي عن طريق إيضاح المعنى المراد. وذلك بتصويره للمعاني بصورة ذات قيمة تليق بالإمكانات النفسية والفكرية([3])،

([1]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : 172.

([2]) ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : 305.

([3]) ينظر : الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالاً : 90 .

فالتشبيه الحجاجي يحاول التأثير عن طريق تقريب المعنى من ذهن المقابل وذلك برسم شكل وتطوير اللفظ فضلاً عن التجسيد حي للمعنى ، وبذلك ينتقل اللفظ من صورة إلى أخرى وفق ما يريده المصور([1]) ،ويرد التشبيه الحجاجي في آيات السنن الكونية في جملة من المواضع منها قوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ(97) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ(99) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ(100) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ(102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ(103) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ(104) ﴾([2]) واستعمل التشبيه الحجاجي رداً على الذين يشكون في يوم القيامة وقد أوضح لهم كيف تكون السماء بهذا اليوم بواسطة التشبيه الحجاجي بتقريب صورة السماء لهم وهي تشبه طي الصحيفة على مكتوبها ،وهذا من أجل إقناعهم بحدوث هذا اليوم ، إذن السجل صحيفة فيها كتابة وتطوى وما فيها من كتابة وهكذا تطوى السماء يوم القيامة كطي الكتاب السجل ؛ أمّا السجل قيل هو ملك يكتب أعمال العباد ، وقيل كاتب لرسول الله (ﷺ) وقوله تعالى ((كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً)) أي نعيد الخلق كما بدأناه أو نهلك كل شيء كما كان أول مرة وهذا وعدٌ لازم فعله لا محال([3]) ، و ((الطي ضد النشر)) وما جاء في قوله تعالى ((كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً)) أي ((كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة))([4]) ومن ناحية الإعجاز العلمي لهذا القول أنّ الله سبحانه وتعالى سوف

([1]) ينظر : الصور الفنية في المثل القرآني :167 .

([2]) الأنبياء :97 – 104 .

([3]) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 7/ 283.

([4]) التفسير البغوي (معالم التنزيل) : 5/ 358 .

يطوي الكون وما فيه من مختلف صور المادة ،والطاقة ،والزمان، والمكان ، وعلى هيأة جرم ابتدائي ويسمى (الرتق الثاني) مماثل تماما للجرم الابتدائي (الرتق الأول) الذي هو أساس هذا الكون ،وكذلك هذا الجرم الثاني سوف ينفجر بأمر الله تعالى ، ويتحول إلى سحابة من دخان كما تحول الجرم الأول وسوف يخلق من هذا الدخان سماوات غير السماوات التي تظلنا ، وأيضاً غير أرضنا الحالية وهكذا تبدأ حياة الآخرة والتي يكون لها قوانين وسنن تختلف عن سنن الحياة الدنيا فهي خلود بلا موت ،والدنيا فيها موت بعد الحياة ، ومن الأمور المعجزة أنّ القرآن الكريم يشير إلى أهم نظريتين في خلق الكون وإفنائه وهما ((الانفجار الكبير))([1]) و ((الانسحاق الشديد))([2]) ، وأيضاً من المعجز حقاً تلك الاشارة القرآنية المذهلة وهي إعادة السماوات غير السماوات الحالية ، وإعادة خلق الأرض أيضاً غير الأرض الحالية ، هذه الأمور الغيبية التي لا يمكن لأنسان أن يصل إليها بغير هداية ربانية ،وأنّ الهداية هي التي تحسم الأمور المحيرة في أمور الغيب المطلق([3]).

وبين التشبيه الحجاجي في هذا الخطاب حقيقة ما تصبح عليه السماوات في يوم القيامة إذ تكون عبارة عن انفجارات كما خلقت لأول مرةٍ لإقناع المتلقي بهذا اليوم عن طريق الأمثلة

([1]) الانفجار الكبير : هو توسع في الكون مرتبط بالقوة الدافعة للمجرات بتباعد بعضها عن بعضها وهذه الحرارة الناتجة عن الانفجار بدأت درجات المطلقة لحظة الانفجار وقد هبطت إلى اليوم أقل من ثلاث درجات مطلقة فلابد من القوة الدافعة بالمادة إلى الخارج والمؤدية إلى توسع الكون / ينظر: من آيات الإعجاز الكوني في السماء في القرآن الكريم :189 .

([2]) الانسحاق الشديد : هو عكس انسحاق شديد هو تباطئ في سرعة توسيع الكون وهذا يؤدي المجرات بالاندفاع إلى مركز الكون بسرعة متزايدة ،جامعة ما بينها من صور الطاقة ،والمادة فيبدأ الكون بالانكماش والتكدس ، ويطوي كلا من الزمان والمكان حتى تتلاشى كل الابعاد ، وتكاد تتجمع كل صورة المادة ، والطاقة المنتشرة في الكون حتى تتكدس في نقطة متناهية في الصغر حتى تصل إلى الصفر أو العدم كذلك تتوقف عنده كل قوانين الفيزياء المعرفة ويعود إلى حالته الأولى / ينظر: من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم : 192 .

([3]) ينظر : من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم : 192 -194.

والمشاهد الحية الناطقة بلسان خطابي قرآني آخاذ ومنها انطواء السماء ؛ وبذلك تقريب صورة السماء له من خلال التشبيه الحجاجي.

استعمل التشبيه المجمل الحجاجي في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) ﴾([1]) وظف هذا التشبيه الحجاجي من أجل إقناع المتلقي بوحدانية الله وقدرته ، وذلك عن طريق التأثير في تفكيره ونفسيته من خلال تقريب صورة خلق الأنسان إذ جعله من الطين الذي أخذ منه لخلقه شبيهاً بالفخار ، والفخار موجود أمام المتلقي ويقصد بالإنسان هو آدم (عليه السلام)؛ لأنه أصل البشر جميعاً وقد خلق من (صلصال) والمقصود به الطين اليابس وكان قبل أنّ يصبح يابساً كان حمأ مسنوناً ثم بعد ذلك شبهه بالفخار أي بالأجر الزخرف وهو الطين المطبوخ([2]) ، وتحدث عن هذا القول في التحرير والتنوير ((أصبح الانسان كالفخار في صورة خاصة في الصلابة والمعنى أنّه صلصال يابس يشبه يبيس الطين المطبوخ والمشبه غير المشبه به ، وقد عبر عنه بالحمأ المسنون ، والطين اللازب ، والتراب))([3]) وعن طريق هذا التشبيه بيّن للمتلقي طريقة خلقه و ممن خلق وهذا لجعله يؤمن بالله وقدرته في الصنع من خلال تقريب الصورة له بتشبيه بصلابة الفخار .

ويرد التشبيه الحجاجي في قوله تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) ﴾([4]) من أجل إقناع الذي لا يؤمن بقدرة الله في إعادة البعث من جديد وذلك عن طريق توضيحه لهم إنّ مراحل الدنيا شبيهة بمراحل الماء منذ نزوله من السماء إلى الأرض إلى أنّ يصبح النبات هشيماً بفعله ((شبه الدنيا بنبات حسن ، فيبس فتكسر ، ففرقته الرياح))([5]) ، أي ذكر أهل مكة

([1]) الرحمن : 14.

([2]) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن :9 / 256 _ 257.

([3]) التحرير والتنوير : 27 / 245 .

([4]) الكهف : 45.

([5]) زاد المسير في علم التفسير : 298.

المعاندين الحق فذكرهم بمثال كمثال نزول الماء من السماء إلى الأرض و اختلاطه بالأرض وبعد ذلك اختلط النبات بعضه بعضاً وذلك لكثرته و كثافته أي اختلط بنبات الأرض، وبعد ذلك أصبح متكسرا بسبب اليبس متفتتاً وذلك لانقطاع الماء عنه وثم تفرقه الرياح وتذهب به وإنّ الله قادر على الإنشاء والفناء والاماتة ، أي لا يعجزه شيئا عن هذا الكون وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قد شبه الدنيا بالماء ؛ لأن الماء لا يستقر في مكان وأيضاً الدنيا غير مستقرة متغيرة لا تبقى على حالة واحدة ، وكما الماء لا يبقى ويذهب و لا يستقر على حال واحد ، وكذلك الدنيا تفنى مثلها مثل أي أحد يدخل الماء إلا ويبتل كذلك حال الذي يكون في هذه الدنيا لا يسلم من يدخلها من فتنتها ، ويكون الماء نافعا منبتا للنبات عند ما يكون بالقدر المطلوب وأنّ جاوز هذا القدر أصبح مضراً ومهلكا لها ، وتكون الدنيا أيضاً عندما يكف منها تنفع ، والفضول فيها يضر([1]).

إننا أمام مشهد متداول و لكنه مرسوم بفرشاة ربانية عكست واقعاً معاشاً و نمطاً معروفاً و لكنه ممتلئ بالصور وبالعبر و القناعات ، فالماء هذا العنصر العجيب الذي جاء من اتحاد العناصر وتكون كثر و نما واسهم في انقاد الحياة تراه سراعاً يتحرك إلى مهلك لها إذا ما اختفى واضمحل ، و كل هذا الوجود و العدم مرجعه لله القادر على تقدير كل شيء و بيسر من خلال مخلوقاته.

ويرد التشبيه في قوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) ﴾([2]) حيث شبه الله سبحانه وتعالى أعمال الكافرين بسنَّة كونية وهي ظاهرة السراب وهي ظاهرة مجسمة أمامهم وقد يشاهدونها في الصحراء وذلك لإقناعهم بخسارة أعمالهم التي لا جدوى منها في نجاتهم يوم القيامة وأنّ مثواهم جهنم ، والتشبيه يكون أعمالكم كسراب ، ونوع التشبيه الحجاجي تشبيه مرسل عندما يأتي الكافر بأعمال البر ويعتقد فيها الثواب عند الله يوم القيامة وجد حاله حال

([1]) ينظر : تفسير القرآن الكريم واعرابه وبيانه : 5 /4 48 .

([2]) النور : 39.

الضمآن في الصحراء الذي تعلق قلبه بالماء ، والسراب هو ((لمعان يشاهد في الصحاري والمنحدرات من بعيد وكأنه ماء وما هو إلا انعكاس لأشعة الشمس ،القيعة هي الأرض الواسعة التي لا ماء فيها ولا نبات ويطلق ذلك على الصحاري ، التي يظهر فيها السراب فقد شبهت الآية اعمال غير المؤمنين بنور كاذب كسراب يراه ضمآن في الصحراء الجافة لا يروي هذا السراب العطاش أبداً ،إنما يزيد في سعيهم للحصول على الماء فيرهقهم دون نتيجة تذكر))([1]) ، وأنّ حدوث ظاهرة السراب تعد من أهم الظواهر الانكسارية الجوية على سطح الأرض أنّ الهواء الساخن في وسط النهار في وسط الصحراء يسخن ويتمدد قرب سطح الأرض حتى يصبح أخف من الطبقات التي فوقه ويحدث عندما تلامس أشعة الشمس شجرة قائمة ثم يتحول إلى ماء في تلك الطبقات القريبة من الأرض ، ثم يتحول الانكسار إلى انعكاس كلي وتنحرف أشعة مصعدة وتنكسر مرة أخرى، فاذا أصابت هذه الأشعة عين المسافر في الصحراء لا ترى الأشعة من الانكسار وارتسم الشجر والماء اللذان تبعث منهما الأشعة عند ملتقى امتداد الأشعة بالأرض فيُخَيّل إلى الإنسان أنه يرى ماءً يترقرق على سطح الأرض ، وقد انعكس فيه ظل الشجر فيطلبه حتى إذا أخرج عن منطقة تلك الأشعة المنكسرة المنعكسة زال المنظر طبعاً لم يشاهد سوى الرمال، ويوجد نوع آخر من السراب وهو يحدث في البحر فيحدث نتيجة تغيرات في كثافة الهواء في البحر عكس تغيرات كثافته في الصحراء ، فأنّ الأشعة المنعكسة من السفينة يحدث فيها انكسار في الطبقات العليا فيُحدث انعكاساً كلياً إلى من يرى من بعيد فيشاهد سفينة مقلوبة في الجووهذا ليس فيه خطر ؛ لأن لا وجود للسفينة مقلوبة في الجو أمّا الشجر قد تعود عليه الإنسان يقرنه بانعكاسه عن سطح الماء([2]).

تعكس الصورة المنتقاة في النص إحدى آيات الرب حاور فيها المشركين و أبان لهم حقيقة أعمالهم ، عن طريق صورة مرسومة لهم معها حكايات و قصص ما انفكوا يتحدثون بها

([1]) الأمثل في تفسير الكتاب الله المنزل : 9 / 86 _88 .

([2]) ينظر : في سنن الله الكونية : 186 .

أنها الضياع بسبب خداع البصر سواء كان في البر أم البحر ، وهذا الضياع سوف يعيشوه على الرغم من ايمانهم التام بما يمتلكوه و لكنهم سيكتشفوا أن اعمالهم ، واموالهم التي طرحت في سبيل و قف عجلة الاسلام و قص اشعة انتشاره على ارجاء المعمورة كانت و ماتزال كسراب لا تقدم لهم شيئاً و لا تؤخر ؛ لأن العزة في اليوم و في الغد لله وحده .

وقد وظف العامل البلاغي التشبيه في آيات أخر ومنها قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (32) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33) ﴾([1]) في توضيح صورة طفو السفن على سطح ماء البحر التي تشبه قمم الجبال الشاهقة وذلك لإقناع الذين يشكون في قدرة الله وهذا النوع من التشبيه الحجاجي تشبيه مجمل ، ولولا هذه السنَّة لبقت السفن على سطح الماء ثابتة لا تتحرك ، حيث سبحانه وتعالى ((قدر السفن الجارية في البحر كالجبال الشاهقة في عظمتها وإنَّ يشأ الله يسكن الريح فتظل السفن ثوابت على ظهر الماء لا تجري بهم إلى مقاصدهم ،إنّ في سيرها ووقوفها بأمر الله دلائل واضحة على قدرته ، يعتبر المؤمنون الصابرون في الضراء ، الشاكرون في السراء))([2]) وهي السفن التي تجري على صفحة الماء وأيضاً توجد بواخر ذات أوزان عالية يحملها الماء بأذن الله وكما نجد سيارات النقل ذات الأوزان العالية تحمل في الهواء بواسطة العجلات وهذا كله بفعل الله أنّ يحمل الخفيف والثقيل ،والعلم المقصود به الجبل ويسمى بهذا الاسم لعلوه وظهوره ، وعندما تبحر في الماء تجري بفعل قوة الهواء أو بقوة الماء لها وإنْ كانت تسير مع التيار في نفس الاتجاه جرها التيار معه أما إذا كانت الجريان عكس اتجاه التيار استعمل الهواء في دفعها ، إذن هي تسكن وتجري بأمر الله ، والرواكد أو ثوابت ساكنة لا تتحرك قد يحركها الموج فهي تبقى في مكانها لا تسير فجريان السفن يحتاج الصبر وتستوجب شكر الله عليها([3]) ، و ((سنَّة الله في هذه الاجسام الطافية

([1]) الشورى : 32 _ 33 .

([2]) المنتخب في تفسير القرآن الكريم : 719 .

([3]) ينظر : تفسير الشعراوي : 22 / 13792 _ 13794 .

هي السر الأكبر في تسخير الله الفلك للناس في البحر ، فإنّ الفلك وما تحمل تطفو على سطح الماء ما دام الجزء الغاطس منها كافياً في حجمه لإزاحة قدر من الماء وزنه يساوي وزن الفلك وما عليها وهذا سهل تحقيقه في العادة يجعل الفلك أو السفينة مقوسة البدن إلى الخارج لكي يقتضي انغمار سنتيمتر مثلاً من ارتفاعها إزاحة جزء عظيم من الماء حجمه يتفاوت مساحة المقطع السطحي للسفينة عند ذلك الجزء المنغمر ، فإذا كان ذلك المقطع كبير المساحة أمكن السفينة أنّ يزداد في حملها زيادة كبيرة من غير أنّ تتعرض للانغماس في الماء إلا بقدر سنتيمتر أو شبهه من ارتفاعها))([1]).

وفي هذا النص القرآني قد كشف سنَّة كونيةً أخرى و هي طفو الأجسام على سطح الماء و هي من الظواهر الفيزيائية ، لتوضيح قدرته في تسخير السفن التي في البحار للناس وإقناعهم بهذه القدرة عن طريق هذه السنَّة .

مما تقدم يظهر جلياً أن التشبيه الحجاجي يعكس في وروده في اغلب المواضع محاولة بيان النعم الربانية للخلق و تسخير المخلوقات في خدمة البشرية ، وبيان أثر كل ذلك علّها ترعوي و تتقبل الامر المفروغ منه، فالملك لله و العبادة له ، والقدرة في تيسير كل شيء و أمر .

([1]) في سنن الله الكونية : 55 .

المبحث الثاني

المجاز الحجاجي :

تولع العرب قديمًا بالمجاز و استعملوه كثيرًا ؛ لأنهم يعدونه من مفاخر حديثهم ؛ ورأس البلاغة ؛ ودليل الفصاحة عندهم ؛ لأن المجاز قد اوضح لغتهم عن اللغات الأخرى([1]) وعرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه ((كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضع لملاحظة بين الثاني والأول فهو مجاز))([2]) ، وقسم إلى قسمين : مجاز لغوي ويعرف بأنه ما ((يفهم عن طريق اللغة و أهل اللسان بما يتبادر إليه الذهن عن طريق اطلاق اللفظ من معناه الأولي إلى معنى ثانوي جديد))([3]) ، والقسم الآخر هو المجاز العقلي وهو ((يفهم عن طريق العقل ، وسبيل الفطرة من خلال أحكام طارئة ، و قضايا يحكم بها العقل لدى إسناد الجملة))([4]) .

المتكلم يكون ذا طبيعة حجاجية في الكلام وعند العودة إلى الحجاج هو الحديث الذي يكون ذا حدين أيضاً حديث بالحقيقة ،وحديث بالمجاز وهذا كله بسبب أنّ((الأصل في الالتباس الذي يقوم بالحجاج ليس هو تعدد لمعاني اللفظ الواحد في الدليل بحيث يحمل هذا اللفظ قضية منه على معنى وفي قضية أخرى على معنى ثان))([5]) ، وبهذا يكون المجاز ذا ازدواج ((بين واقع الدعوى وقيمتها وما واقع الدعوى إلا ظاهرها أو أقل عبارتها ، وما قيمتها إلا باطنها وإشارتها بحيث يكون المجاز هو الاستدلال بعبارة الدعوى على إشارتها))([6]) ، وقد جاء تعريف المجاز الحجاجي على أنه ((كل منطوق موجه إلى الآخر لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها))([1]) في هذا

([1]) ينظر : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده : 160 .

([2]) أسرار البلاغة في علم البيان : 249.

([3]) مجاز القرآن و خصائصه الفنية وبلاغته العربية : 79.

([4]) م. ن : 79.

([5]) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 230 .

([6]) م. ن : 231 .

المجال يتحدث بعضهم ويقول هو أصل كل حجاج ([2]) ويكون الحجاج مؤثراً عندما يكون مقترناً بالمجاز والجمال([3]) ، و((لا حجاج بدون المجاز))([4]) . فالمجاز لا يستعمل من أجل التزيين والتجميل بل يأتي من أجل الاثبات والنفي وبذلك يؤدي إلى وظيفة حجاجية([5]) ((لأنه يقع تارة في الإثبات وتارةً في المثبت ،وأنّه إذا وقع في الإثبات فهو من العقل ، وإذا عرض في المثبت فهو متلقى من اللغة))([6]) .

ويوجد فرق بين المجاز البلاغي والمجاز الحجاجي ، فالمجاز البلاغي يكون من أجل الزينة أمَّا المجاز الحجاجي فيلعب دوراً كبيراً في العملية الإقناعية، وفي العملية الحجاجية فهو يؤدي وظيفة استدلالية عن طريق توجيه عقل المخاطب إلى الجهة التي يريدها المتكلم منه وكذلك يؤدي وظيفة نفسية عن طريق التأثير في نفس السامع([7]) ، ويكون المجاز الحجاجي أكثر تأثيراً ووضوحاً في الجملة التي يكون فيها الإثبات أي عندما يكون المجاز عقلياً ([8]).

وتحدث السكاكي عن المجاز العقلي ويقول فيه ((إن المجاز العقلي يسمى مجازاً في الإثبات لتعلقه بالإثبات ويسمى مجازاً حكمياً لتعلقه بالحكم))([9]).

وقد ورد المجاز الحجاجي بنوعيه المجاز العقلي والمرسل في آيات السنن الكونية كقوله تعالى ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ

([1]) اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي : 231 .

([2]) ينظر : م. ن : 229 _ 235.

([3]) ينظر : أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ((تنظير و تطبيق) : 187 .

([4]) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 213 .

([5]) ينظر : الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة : 3/ 156 .

([6]) أسرار البلاغة في علم البيان : 263.

([7]) ينظر : الحجاج والاستدلال الحجاجي : 43 .

([8]) ينظر : تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف (ع)_ أنموذجا : 133 .

([9]) مفتاح العلوم : 506 .

﴿ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6) ﴾([1]) قد وظف التعبير القرآني المجاز الحجاجي لإقناع المتلقي ويكون عن طريق التأثير بتفكيره وبنفسيته ؛ويكون المجاز المرسل الحجاجي في مفردة ((السماء)) ويريد بها الغيوم ، لأن السماء محل الأمطار ومكانتها واستعمل هذا المجاز بمثابة تحذير إلى الذين لم يومنوا بالله والمصير ، الذي اوى إليه الذين من قبلهم ، كذلك لم يؤمنوا بقدرة الله وهي أمام أعينهم ؛ أمّا نوع العلاقة فهي محلية ، وهذه الآية كما ذكرنا انذار إلى الذين لم يؤمنوا برسالة النبي محمد (ﷺ) وهم عرب الجاهلية على الرغم من معرفتهم بالأقوام التي قد سبقتهم مثل عاد وثمود وغيرهم ، و ما حصل لهم من عذاب ، وقد يعلمون أن الله قد اهلكهم بسبب كذبهم برسلهم ، ويجب أن يعتبروا من هلاكهم على الرغم من قوتهم وسلطانهم

في قوله تعالى ((وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً)) وقد ذكرهم بسنّة من سننه وهي المطر الغزير لإقناعهم بوجود الله وقدرته ؛ ونزول المطر كان من أجل أرزاقهم وتخصيب أرضهم فضلاً عن الرخاء الذي كانوا يتمتعون فيه ، وكذلك كثرة انتاجهم وكل هذا لم يغن عنهم شيئاً من العذاب وعلى العاقل أن يتعظ من غيره وهذا هو المراد من المجاز الحجاجي : الإقناع من أجل الاتعاظ قبل فوات الاوان([2]). وأظهرت في هذه الآية سنَّة كونية وهي نزول المطر، وأفصح هذا المجاز متى يكون هذا المطر نعمةً، و متى يكون عقابا ،إذ يكون عقابا إذا نزل بكثرةً فيؤدي إلى أضرار جسيمة ، و يعد من أنواع العقاب الذي أنزل على الأمم السابقة .

واستعمل الخطاب القرآني المجاز الحجاجي بنوعه الآخر وهو المجاز العقلي وذلك ليظهر اهوال يوم القيامة في قوله تعالى ﴿ وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) ﴾([3]) ، والمجاز الحجاجي لم لم يكن يقصد به اخراج ما في الأرض إلا الله سبحانه وتعالى بإخراج الموتى يوم القيامة

([1]) الأنعام : 6 .

([2]) ينظر : تفسير الكاشف : 3/ 162 .

([3]) الزلزلة : 2 .

وقد وظف هذه السنُّة من أجل استمالة تفكير ومشاعر السامع عن طريق الجمال والعقل وذلك لتغيير رأيه في هذا اليوم خاصةً وهو إعادة الحياة للموتى ،إن هذه الآية فيها ثلاثة آراء : الرأي الأول يقول هو جعل ما في بطونها اثقالاً ، الرأي الثاني بخصوص ((أَثْقَالَهَا)) الكنوز والأموات ، وبخصوص الكنوز تظهر عند خروج الدجال لا يوم البعث ، والرأي الثالث الزلزال يوم القيامة كقوله تعالى ((يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7)))([1]) وصاحب هذا الرأي اتَّخذَ الزلزال عاما بوصفه وقتياً وذلك يكون اخراج الكنوز اولاً ، ثم اخراج الموتى ثانياً ، والرأي الأخير يقول فيه اخراج الموتى هو علامة إلى يوم البعث ويحدث عند النفخة الثانية ، فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذي هو الأشراط([2]) وهو ظهور الكنوز والأموات من جوفها على سطحها([3]).

و((جعل الأرض هنا فاعلة وهي جماد ، مُضيا في تقرير مطاوعتها ، وكونها مسخرة لمثل هذا. والسياق ملائم مع الآية قبلها ، من حيث تركيز الاهتمام على حدث ، دون شغل لسامع بمصدره أو محدثه ، لترسيخ اليقين والإقناع النفسي))([4]) .

إنه تصور كامل لا نقض فيه ،حديث رباني مؤكد الوقوع ،اتى الخطاب فيه و كأن الباث، غير ملزم بإقناع المخاطب ؛ لأنه سيقتنع لا محالة من حدوثه عندما يعيد التفكير بعض الشيء بما حوله من احداث و محن و كوارث تحفل بها الأرض في بعض اوقاتها يُعيد الباري من تشرب الشرك والشك في قلبه إلى جادة الصواب .

وقد وظف التعبير القرآني الصورة المجازية العقلية لإقناع المتلقي عن طريق الاحتواء على حالته النفسية والفكرية ؛ ويكون إقناعه بقدرة الله في الكون ، ومثال على هذه القدرة على خلق الماء في الأرض ، وجاء هذا في قوله تعالى ﴿ **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ**

([1]) النازعات : 6 _ 7.

([2]) ينظر : تفسير البحر المحيط : 8 / 496 _ 497 .

([3]) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن :4 / 519.

([4]) التفسير البياني للقرآن الكريم : 1 / 84.

قُدِرَ (12) ﴾([1]) والمجاز العقلي يرد في لفظة ((وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ)) ويقصد به الينابيع الماء التي تظهر على سطح الأرض على شكل عيون ، ولم يظهر المعنى الحقيقي لوجود قرينة مانعة من إيراده المعنى الاصلي ، أنْ الله قد خلقها بهذا الشكل دون مشارك أو مساعد على خلقها؛ أمّا المقام في قوله تعالى ((فَالْتَقَى الْمَاءُ)) ويريد به التقاء ماء السماء بماء الأرض ويكون عن طريق الاختلاط والاتحاد ، ولم يكن عن طريق المجاورة([2]) ، ولقد وظف المجاز العقلي من أجل تجاوز المرأى الحسي المرعب إلى المرأى الذي يكثر فيه الجمال مع لفت النظر إلى السماء وهي تنفتح مع تفجر الأرض ((عُيُوناً)) ويكون دور المتلقي أن يتحسس جمالية المرأى المرعب و يفكر فيه وهذا يحدث عن طريق مشاهدة تفجير الأرض بالينابيع والأنهار، والجو بالماء فهنا يحدث التلاقي بين ماء السماء وماء الأرض (ماء الينابيع) وهذا لا يكون التلاقي إلا في ذهن السامع ، إذ يكون التلاقي بين ماء صاعد من الأرض ، وماء نازل من السماء إلى الأرض فيحدث أثاره في المرأى . ويكون متضمنا الجمال والرعب معاً أي نكون أمام مقطعٍ يتكون من عنصرين ، عنصر من الجمال وعنصر من الرعب في آن واحد، وهذا يفصح عن ظاهرة الإعجاز التي تكلمت عنها الآية الكريمة ، ويكون هذا خليطاً متجانساً أمامنا في أثار فنية بين لغة العرض ، والعرض نفسه أي يكون بين واقعة الطوفان وبين صعود الماء ونزوله من خلال فتح (السماء) وتفجير (الأرض) ولا يمكن نقل هذا إلى السامع بأمانة إلا إذا سمح هو بنفسه بإحكام عملياته الذهنية بدقة في تصوير العرض المذكور([3]).

فنكون أمام مشهد تراجيدي تفجير الينابيع ، ورسمها الرائع و انعكاس الشمس و طيفها من خلال مروره اثناء فورانها ، وهطول الماء و تجمعه وتلاقيه مع الماء الصاعد ليتلاقيا ، فنكون أمام لوحة فنية مرسومة بشكل مثالي لا خرم فيه ، ولا نفور ، مشهد رباني يبين رب

([1]) القمر : 12 .

([2]) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 8/ 169.

([3]) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : 4/ 409 _ 410 .

العزة من خلاله عن القدرة المبدعة ، والآيات المبهرة التي ملأت الافاق، و كانت أمام الخلق عليهم بعد أن يتنعموا بها ان ترعوي قلوبهم إلى الحق ، وتوجل و تفكر بأن هنالك رباً عظيماً هو المسير الاوحد ؛ لهذا الكون و عناصره جميعها .

ووجد المجاز العقلي أيضاً في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67) ﴾ ([1]) ، المجاز ورد في لفظة (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا)) بنفس الغاية التي يريدها الباث من المتلقي ،تتكلم هذه الآية عن تعاقب الليل والنهار، والفائدة منهما وهذا الشاهد مثالاُ على معرفة الله والتمعن بآياته، وقد أوضح من استعمال المجاز الحجاجي لهذه اللفظة فائدتين هما: الانطلاق في كسب المعيشة والعمل مستفيدين من العطايا الإلهية ، والفائدة الثانية لكي لا تبقى شبهة لأحد ، ويقصد بها تمزيق ظلمة الليل بواسطة نور النهار، وهو بدوره يكشف ما كان مستوراً في ظلمة الليل. ويمكن تنظيم الحياة البشرية وحسابها على أساس النهار والليل وهذا لا يتنافى مع أساس الشمس والقمر في حساب السنين([2]) ، و جعل الله سبحانه وتعالى من الليل والنهار دليلاً على بديع قدرته وصنعه ،وفي تفاوتهما فائدة لأنسان وتكون الفائدة من، الليل الراحة ، ومن النهار الحركة وشغل القلب والمكسب ، وجعلهما مناسبين للهدف المنشود إذ يكون في الليل راحة للعين والسمع، ويتلاءم مع راحة النفس وفي النهار ضوء يناسب حركة العمل وإبصار الأشياء ، وبهذا التفاوت جعل لكم أن تتصرفوا في إعمالكم وتطلبون الرزق من الله الذي يمدكم من فضله وإحسانه شيئا فشيئا أمّا من الناحية الزمانية يدور عليكم الشتاء والصيف ، وكذلك معرفتكم عدد الأيام ، والشهور والأعوام، وذلك لتعلموا أوقات مصالحكم من الزراعة والمعاملات ، ودفع الديون ، وكذلك أزمان العبادة كالصيام والحج والزكاة([3]) ، ومن آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم ، فأن التبادل الذي يحدث بين الليل والنهار يتم التحكم من

([1]) يونس : 67.

([2]) ينظر : الأمثل في تفسير الكتاب الله المنزل : 7 / 215 _ 216 .

([3]) ينظر : تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 8 / 35_36 .

خلاهما في درجة الحرارة والرطوبة على سطح الأرض وكذلك الغلاف الغازي القريب من سطح الأرض ، وأيضاً يتم التحكم في كمية الضوء اللازمة للحياة في مختلف بيئات الأرض ، ويتم أيضاً التحكم في التنفس وكذلك العمليات الحياتية مثل النتح والأيض والتمثيل الضوئي ، وضبط التركيب الكيميائي للغلاف الغازي المحيط بالأرض ، وضبط خواصه الطبيعية ، وضبط دورة المياه بين السماء والأرض وتنظيم حركات الأمواج والتيارات المختلفة في البحار، و ظاهرة المد والجزر، وتنظيم توزيع السحاب وتصريف الرياح، وإنزال المطر ، وتفتيت الصخور لتصبح التربة صالحة للزراعة وترسب الصخور لحفظ المياه ،والنفط ، والغاز وغيرها من العمليات والظواهر التي بدونها تصبح الأرض غير صالحة للعمران([1]).

سيطر المجاز العقلي في هذا النص القرآني على مشاعره وعقل المتلقي عن طريق جعل النهار مضيئًا، و قد وجه المتلقي نحو معرفة الله من خلاله ، و هي صورة من الصور التي تتوفر لديهم و التي عن طريقها يعدون الأيام والشهور ، والسنين والحساب.

فكل امر قد قدر بقدر لا يزيد و لا ينقص ، وكلها انتجت لخدمة مخلوقاته ، والإثبات قدرته و إحكامه الجميل على كل المقدورات الحياتية ، بما يخدم البشرية اساساً في اثبات وجوده تبارك و تعالى ، لكي يعبد حق عبادته جل و علا .

([1]) ينظر : من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم : 422 .

المبحث الثالث

الاستعارة الحجاجية :

عنيت الاستعارة باهتمام خاص من قبل البلاغيين والفلاسفة ، والمناطقة وأيضاً النقاد وقديماً حديثاً ؛ وذلك لإدراجها ضمن مفهوم المجاز وليس هذا فقط ، بل أنها وصفت ناقلة للمعنى من مكان إلى مكان آخر ، وهذا النقل ضمن مشروطية الاشتراك ويوجد أيضاً بينها آلية استدلالية تكون جزءاً حياً للثاني([1]). وقد عرفها عبد القاهر الجرجاني (471هـ)بقوله : ((اعلم أن الاستعارة في جملة أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروف تدلُّ على شواهد على انه أخْتُص به حين وُضع ، ثم يستعمله الشاعر أوغير الشاعر في غير ذلك الأصل ،وينقله إليه نقلاً غير لازمٍ فيكون هناك كالعارية))([2]) ، وتقوم الاستعارة على حذف أداة التشبيه ، وكذلك حذف وجه الشبه مع أحد طرفي التشبيه وهذ الحذف يؤدي إلى إثارة خيال السامع ((فالاستعارة تفرق عن التشبيه في كيفية إثبات معنى من المعاني أو حكم من الاحكام))([3]) ومن هذا الحكم يمكن جعله الاساس في وضع أحكام الإثبات بجعل التشبيه أسفل الحكم ، والاستعارة أعلى مرتبة من الحكم ، وذلك لوجود قوة الإثبات وهذا مكن الشاعر أو الكاتب من القدرة على تحقيقه ([4]) .

أمَّا تعريفها من الناحية الحجاجية فهي ((تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي))([5])، وتعد الاستعارة من الآليات اللغوية التي يمكن أن يستعملها المتكلم من أجل الوصول إلى أهدافه الحجاجية ، و نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة، وكذلك ما دمنا نعد الاستعارة إحدى الخصائص الاساسية للسان البشري([6]) ، ولقد قسمها عبد القاهر

([1]) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي (التنظير و التطبيق على السور المكية) : 177 .

([2]) أسرار البلاغة في علم البيان : 31.

([3]) أساليب البيان في القرآن : 518 .

([4]) ينظر : م. ن : 518 .

([5]) استراتيجيات الخطاب : 495 .

([6]) ينظر : اللغة والحجاج :105 .

الجرجاني على قسمين : استعارة مقيدة ، واستعارة غير مقيدة ، فالاستعارة المقيدة والمقصود بها هي الاستعارة الحجاجية وذلك عن طريقها يمكن الوصول إلى الأهداف الحجاجية ، أمّا النوع الآخر من الاستعارة فهي التي تكون في حديثنا اليومي([1]) .

وتكون الاستعارة في الدراسات اللسانية الحديثة ((أداة من أدوات الإقناع والتأثير وذلك لما تملكه من تأثير في العقل واللغة على حد سواء))([2]) ، وهذا يعني أن الاستعارة ليست مجازًا فقط؛ أنما تحيل إلى التخييل في اللغة ، بل هي عملية استبدالية داخل وعي الفكر نفسه([3]) وعن طريق هذا يتم الحجاج من خلال هذا الوعي الفكري بواسطة الاستعارة ، وذلك من خلال تحويل المعنى المتخيل إلى صورة محسوسة ، وهذ يؤدي إلى التخييل في ذهن المقابل بالنتيجة ويعطي للخطاب قوة دلالية و تأثيرية ، ويكون هذا من تغيير مسار ذهن المقابل بصورة أكثر عمقاً ، ولهذا عدت أكثر تأثيرا من التشبيه([4]) ، وهناك فرق بين الاستعارة الحجاجية ، والاستعارة البيانية ، فالاستعارة الحجاجية ((تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه ، ويقصد تحقيق أهدافه الحجاجية ، وهي الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقتهم التخاطبية و التواصلية))([5]) ، أمّا الاستعارة غير الحجاجية الاستعارة البيانية فإنها ((تكون مقصودة لذاتها ، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية . ويوجد هذا النوع عند بعض الأدباء والفنانين وذلك من أجل اظهار قدرتهم في اللغة ، فالسياق هنا سياق لفظي و زخرفي وليس سياق تواصل وتخاطب))([6]) ، وهناك من لم يفرق بينهما على الرغم من وجود الفروق بينهما أمثال ((ميشال لوقرن عبر عنها بقوله: و هكذا نجد في المقابل الغاية الجمالية للاستعارة الشعرية

([1]) ينظر : اللغة والحجاج : 108 .

([2]) الاستعارات التي نحيا بها : 159 .

([3]) ينظر : الفلسفة و البلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي : 160 .

([4]) ينظر : أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي : 117 .

([5]) اللغة والحجاج : 108.

([6]) م . ن : 109 .

مطمحاً إقناعياً للاستعارة الحجاجية))([1]) ، وهذا يعني أنه عد الاستعارة البيانية استعارةً حجاجيةً ويمكن أن نعدها استعارة حجاجية إذا كان قصدها من الجمال هو الإقناع والتأثير في المتلقي ([2]) ، وكما ذكر سابقا في مبحث المجاز لا حجاج من دون المجاز ، ويكون عمل الاستعارة الحجاجية بالاستناد على عملية الاستبدال ، وبجعلها حركة يتم من خلالها اظهار الشيء ، ومن بعد ذلك نزول الحالة التي يكون فيها المرسل قاصراً عن إداء مقصده واضعا علامة على المكان الذي فيه مقاصده إلى وقت تحقيقها ، وبهذا يكون قد أفهم وأقنع([3]) والذي يكشف ماهية الحجاج يكمن عن طريق كشف بواعث الحوارية والحجاجية باستعمال الوصف الصريح للعلاقة الاستعارية([4]) ؛ لأن التأثير يتحقق عن طريق التخييل واستتار ((المستعار منه)) (الأول) وابراز المستعار له (الثاني) مجدداً للمستعار منه بشكل الوظيفة والمعنى ولأن الاستعارة تجعل الجمادات ناطقة وذات معنويات حسية لتكون ذات تأثير في الخطاب حتى تدفع السامع إلى الاقتناع بما يطرحه المتكلم([5]) .

وقد وظف الخطاب القرآني الاستعارة الحجاجية لإحداث تغيير في رأي السامع المعاند لرأي الباث .

وهذا قد ورد في قوله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (37) ﴾([6]) ؛ وعن طريق هذه الاستعارة يقنع السامع في تغيير موقفه أو رأيه حتى يكون مطابقاً إلى رأي الباث واقتناعه بدقة نظام الخالق الذي لا يشاركه أحدٌ فيها ؛ وجاءت الاستعارة هنا تصريحية تبعية في لفظ ((اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ)) ، إذ السلخ هو ((كشط الجلد عن الشاة و نحوها لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلاً قليلاً بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خفياً ،

([1]) الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه : 121 .

([2]) ينظر : أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي : 178.

([3]) ينظر : الفلسفة و البلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي : 157 .

([4]) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 313.

([5]) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي : 181 .

([6]) يس : 37 .

فيكشط الجلد فيظهر لحم الشاة ، وبغروب الشمس تظهر الظلمة))([1]) ، ويوجد أيضاً تقارب بين سلخ النهار وسلخ الجلد ((لما كانت هوادي الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها أسم السلخ وكان ذلك أولى))([2]) ، وبهذا يكون الليل آية لهم عند نزول نور النهار عنه، وبذلك شبه النهار بجلد الحيوان الذي يغطي ما تحته مثلما يغطي النهار ظلام الليل في الصباح ، وقد شبه كشف النهار وذهابه بكشط الجلد عن الشاة فأصبح الليل بمثابة جسم الشاة المسلوخ منه جلده ، وهنا ليس الليل هو المقصود أنَّما المقصود بالتشبيه هو زوال النهار عنه وبهذا يبقى الليل شبه الجسم المسلوخ .

ولم يقدرها استعارة تمثيلية ؛ لأن المقصود في التشبيه زوال ضوء النهار وبقاء ظلمة الليل([3]).

آية كونية تعاود التكرار في كل يوم مرة فما أن يباشر النهار ظهوره ، حتى يولي الليل هارباً ثم يحدث العكس في آية ربانية باهرة تحدث ضمن حركة متوافقة لا لبس فيها ، و لا نفور خدمة للبشرية و المخلوقات البسيطة ، و لتدل على عظمة الله و جبروته ورحمته في الوقت نفسه .

وقد استعمل الأسلوب القرآني الاستعارة التصريحية الحجاجية في قوله تعالى ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (20) ﴾([4]) وجاءت الاستعارة في لفظة ((وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ)) عن طريق هذه اللفظة ((شبه الادم نوع من المائعات بالصبغ ثم حذف منه المشبه وأبقى المشبه به بجامع التلون بلونه إذا غمس فيه))([5]) ومن خلال هذه الاستعارة استطاع تغيير وجهة المتلقي إلى الوجهة التي يريدها المرسل ؛ وهي الإيمان بوجود الله ، ويكون هذا

([1]) من روائع الاستعارة في القرآن الكريم : https://forums.graaam.com/9878.htm .

([2]) إعراب القرآن الكريم وبيانه : 6 / 329 .

([3]) ينظر : التحرير والتنوير : 23 / 18 .

([4]) المؤمنون :20 .

([5]) إعراب القرآن الكريم وبيانه : 6 / 504.

الوجود عن طريق قدرته في الخلق ، بعد ما كانت وجهته الاشراك به ،وتوضيح هذه الآية ولقد انبتنا لكم شجرة الزيتون التي تنبت في جبل الطور و يستخرج منها الزيت وهو الذي يتخذ إداما ينتفع به الآكلون بالزيت والاصطباغ ([1]) ، وأيضاً قيل في الطور أنه جبل منسوب إلى سيناء وهو حسن في ذلك ، لأن الله قد بارك فيه بكثرة الزراعة فيه وخاصةً زراعة الزيتون التي يتخذ منها الزيت المعروف ، ثم يغمسونه الخبز فيه ويأكلونه ، وتكون هذه الأكلة من أشهر المأكولات عند الذين يزرعون الزيتون خاصةً في سيناء وبلاد الشام([2]) . ووظفت الاستعارة في هذه الآية في تغيير وجهة المتلقي من جهة الإشراك إلى جهة الإيمان بالله وحده لا شريك له من خلالها سيطرتها على تفكيره ونفسيته المتلقي عن طريق ما طرحته الآية من مثال وهو شجرة الزيتون .

وقد عمل المرسل على توظيف الاستعارة الحجاجية للإقناع والتأثير في الذين يشكون في قدرة الله يوم البعث فجاءت الاستعارة في قوله تعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46)** ﴾([3]) وقد وظف الاستعارة في لفظة ((وَلِيُذِيقَكُمْ)) وهي استعارة تبعية ، والاذاقة ويقصد بها نزول المطر ، أي قدم لكم الأدلة والبراهين أمامكم الدالة على عدله وألوهيته في خلقه ورحمته حيث أرسل الرياح مبشرات لعباده وهي دليل على سقوط المطر في البلاد الذي يحيي به كل شيء ، ويكون هذا عن طريق إرسال الرياح التي لا يقدر عليها إلا هو ((وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)) أي بسبب سقوط المطر الذي يتسبب في الخصب والرخاء ، وأيضاً من فوائد ارسال الرياح هو تسخير السفن في البحار وهذا قبل اكتشاف البخار ، وهذا يكون بإرادة الله وحده لا شريك له وحكمه وتدبيره، لهذا تطلبون الرزق بالتجارة يكون عن طريق البحار من بلد إلى بلد آخر تحملون له البضائع لبيعها أو لشرائها وكان عليكم شكره على فعله في التسخير والإيمان به

([1]) ينظر : تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 9 / 348 .

([2]) ينظر : تفسير الشعراوي : 16 / 9992 .

([3]) الروم : 46 .

واطاعته وتوحيده في عبادته([1]) ، والإذاقة قال عنها الزمخشري: الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس فكأن في الاذاقة إشعار بشدّة الاصابة ، فإلاذاقة ما يدرك من طعم بالفم فاستعيرت للاصابة و أثرت الدلالة على شدة التأثير التي تفوق لو استعملت الاصابة ،ووجه الشبه بينهما شدة الاحساس بالأثر([2]).

إنها النعم الممنوحة، فمن قد حصل عليها وجب أن يشكر ربه ، و أن يقتنع بالقدرة و القوة، التي يتملكها جل و علا ؛ لتحقيق الهدف من الخلق و النماء الذي منح له ؛ لتحقيق سبل العبادة.

وقد عملت الاستعارة الحجاجية وظيفتها وهي تحقيق الأهداف الحجاجية : الإقناع والتأثير في المقابل وذلك لتغيير موقفه ؛ من ناحية الإيمان بقدرة الله سبحانه وتعالى ووجوده في الخلق، وترد الاستعارة في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17) ﴾([3]) إذ كان سابقا هناك من يشرك بالله ثم بعد ذلك غير موقفه عندما جاءت الاستعارة في لفظة ((سَبْعَ طَرَائِقَ)) وهي استعارة عن السماوات ، والطرائق هي ((طرق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل ،وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها ،أراد بالخلق السماوات كأنه خلقناهم فوقهم و ماكنا غافلين عن حفظهما إمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا ،وخلقها لتفتتح عليهم الارزاق والبركات منها))([4]) .

الاستعارة اللطيفة ((سَبْعَ طَرَائِقَ)) ((شبهت السموات السبع بالطرائق النعل التي يجعل بعضها فوق بعض بطريق الاستعارة))([5]) ، وقد جاء في أسرار الكون في القرآن الكريم في

([1]) ينظر : تفسير أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : 4/ 8 18 .

([2]) ينظر : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 586 .

([3]) المؤمنون : 17 .

([4]) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : 705 .

([5]) صفوة التفاسير : 2 / 306.

وصف السبع السموات بالطباق ((جعل بعضها فوق بعض ، تكون على نسق واحد وتكون ذات مسارات على شكل طبقات ، يوازي بعضها البعض ، وتقع على مستوى واحد وتنطبق عليه وهي لا تفاوت فيها أي لا يوجد بينها تقارب ، ولا تقاطع ولا اختلاف ، ولا تباعد))([1]). و أفصحت الاستعارة الحجاجية عن قدرة الله في الخلق ،وهي قدرة خلق السموات بتقريب الصورة للمتلقي بجعل السماء سبع طبقات و هذا لتغيير موقفه إزاء هذه القدرة ، وجب الإيمان بها بعد ما كان يشك فيها لإعطائه الأدلة والبراهين عليها.

وقد وردت الاستعارة التمثيلية باستعمال التأثير والإقناع في المتلقي من أجل الإقناع في قدرة الله في الخلائق التي تكون دليلاً على وجوده في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) ﴾([2]) والاستعارة الحجاجية في ((فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)) إذ شبه إخراج الحب والنوى بإخراج الموتى من قبورهم ؛ أي ((هو إخراج الحب المتراكم على هيئة السنابل من الخضر الذي يخلقه الله تعالى))([3]) والفلق هو ((شق الشيء و إبانة بعضه البعض))([4]) .الحب أو الحبة ترجع لأنواع الحبوب كالحنطة والشعير وكلّ ما يحصد وكذلك الرياحين ، أمَّا النوى هي النواة ويقال يقصد بها نواة التمر لكون المنطقة العربية مشهورة بالتمر عندما تذكر لفظة نواة يتخيل للسامع نواة التمر وإن الفلق هو أهم لحظة في حياة الحب والنوى ، وهي مشابهة لولادة الطفل وانتقاله من عالم إلى عالم آخر وهي أهم لحظة في تحول الحياة وقد استعملت الاستعارة ((فَالِقُ)) ؛ لأن نوى التمر أو الخوخ وغيرهما تكون صلبة كأن تكون محصنة بقلعة محكمة من كل جانب لكن رحمة الله قد أعطت لهذه النوى القدرة على الاختراق القلعة ،والليونة والاستسلام أمام اختراق نطفة النبات ، أعطت أيضاً للنطفة القوة لتمكنها من شق جدران القلعة فتطلع النبتة

([1]) أسرار الكون في القرآن الكريم : 61 .

([2]) الأنعام : 95.

([3]) من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم : 528 .

([4]) الأمثل في تفسير الكتاب الله المنزل : 4 / 132 .

بطولها المديد وهذه من دلائل التوحيد وفي قوله تعالى ((يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنْ الْحَيِّ)) وقد تكرر هذا التعبير القرآني أكثر من مرة وذلك ليكون دالاً على نظام الحياة والموت وتبديل هذا بذاك ، و بذلك يكون الحياة تنبعث من مواد لا روح فيها كأن تكون في أعماق المحيطات، و الغابات والصحاري وتتحول إلى سم قاتل ومواد حيوية وعلى هذا يخلق من تركيب المواد كل واحدة منها أو العكس ، ويجري تغيير بسيطاً على الكائنات الحية التي تكون مفعمة بالحياة وبعد ذلك تتحول إلى كائنات لا حياة فيها ، وهذا تغيير قد وظف لإثبات وجود الله إذ أن الفعل (يخرج)فعل مضارع وهو يدل على الاستمرار وعدم الانقطاع وذلك يعني أن نظام ظهور الحي من الميت أو العكس نظام دائم وعام في عالم الخلق وفي نهاية الآية قد أكد هذا الموضوع أن الله له القدرة والعلم غير المتناهي، فكيف تنحرفون عن الحق وتميلون للباطل. ([1]).

عملت الاستعارة الحجاجية على تقريب الصورة الكونية الكبيرة ، من ذهن المخلوق فعمل تبارك و تعالى عندما خط هذا الفن على رسم المشاهد ، و بيان نوعها و تقبل العقل البشري وينخر عباب الصورة عله يتوصل إلى ما جاءت به القدرة الربانية من نعم عليه ، و على ما يحيط به من كائنات ، و كيف احكم قدرته في الجمادات أيضاً ؛ لتحقيق هذا الغرض ، و كل هذا لكي يتجه العبد إلى توحيده و عبادته حق عبادة .

([1]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :4 / 132 _ 134 .

المبحث الرابع

الكناية الحجاجية :

تعد الكناية عاملاً مهما في عملية الإقناع شأنها شأن المجاز والاستعارة فتكون الدليل الذي يقدمه الباث لإثبات ما يقوله ؛ و يحدها الجرجاني في قوله ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء إليه ويجعله دليلاً عليه ومثال على ذلك قولهم ((طويل النجاد)) يريدون طويل القامة ،((وكثير الرماد)) يعنون كثرة القرى))([1]) ، وأمَّا ((الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية ، لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم – إذا رجع إلى نفسه_ أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها هكذا ساذجا غُفلاً))([2]) ، وعندما يلجأ صاحب الخطاب إلى الكناية ، فإنه لا يريد بها زيادة في حجم المعنى ، بل يريد منها الزيادة في إثبات المعنى و طريقة توكيده لهذا تكون الكناية أبلغ من الحقيقة([3]) ، فهي إحدى وسائل الأقناع التأثيرية المهمة التي يتأثر بها المتلقي في حالة المرسل ، و ((الكناية في القرآن الكريم لها دور بلاغي فعال لا تؤديه الحقيقة في المعنى ، ويكون هذا الدور في إداء المعاني ، فهي تكون مصورة حية وراسمة أيضاً، ولها دور آخر وهو التأديب والتهذيب ، وأحيانا يكون دورها موجزاً في المعنى بواسطة تقليل اللفظ وهذا ما لا تقدر عليه الحقيقة مثلما تقدر عليه الكناية ، في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية))([4]) ، ووظيفتها من الناحية الحجاجية هي التأثير في نفس الباث والمتذوق، وهذا التأثير لا يكون بالمعنى الصريح أنما يكون بالمعنى المشار به ولها أدوار أُخر مثل الدور الرمزي ، الإيحائي وهذه الأدوار اساسية في تقديم المعنى، وهذا لا

([1]) دلائل الإعجاز : 66.

([2]) م. ن :72 .

([3]) ينظر : الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً:85 .

([4]) البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري : 335.

يذهب بعيدًا عن خاصية طبيعتها من امتلاكها طريقة خاصة في الخطاب عن طريقها تكسب المعاني بياناً أو إيضاحاً ؛ وذلك لوجود فرق كبير بين الخطاب الصريح والمكنى عنه([1])، وهي بذلك ((تمثل للذهن المعنى المجرد بصورة جزيئاته المحسوسة ، فيدرك من ثم المعنى المقصود على أخصر طريق من غير استكراه و لا عسر))([2]) كما أنها تبرز المعاني في صورة المحسوسات وتجعلها واضحة وبينة أيضاً وهي بذلك تسبب الانفعال الاعجابي لكونه انفعالاً تعجز اللغة العادية عن تصويره لوضعها بإزاء الأفكار التي تكون معبرة عنها بواسطة العقل الذي يتسم بالهدوء والروية؛ ولا يتم هذا الانفعال البليغ إلا عن طريق لغة خاصة تستطيع الاحاطة به بواسطة صور خيالية تكون الكناية من أجزائها([3])، وتقتضي الكناية الحجاجية من المرسل تخير الكلمات والعبارات التي يرى فيها القوة و الوضوح فعن طريقها يعبر عن أفكاره ومعانيه المراد نقلها إلى المتلقي ليحقق التأثير والإقناع بالفكرته وصدق احساسه ، وبهذا يحدث تفاعل بينه وبين المتلقي بعد إقناعه والتأثير به من خلال فحوى الكلام الموجه([4]).

وقد وظفت الكناية الحجاجية في القرآن الكريم لإقناع المتلقي بالإيمان بوساطة ذكر الأشياء الموجودة في الجنة ليغير موقفه و ينجح إلى الإيمان ، ومن هذه الأشياء حور العين ، في قوله تعالى ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) ﴾([5]) ، وهي كناية عن النساء الموصوفات بالعفة والطهارة وقد اقتصرت عفتهن على أطراف ازواجهن ، والضمير ((فِيهِنَّ)) عائد إلى الفرش وذلك لتأخير النعم عن أهل الجنة ومن هذه النعم يكون التلذذ والتأنس بالنساء ما وفي الجنات من الفرش والفواكه ، والعيون ،واستعمل الفراش لانتقال الأوانس في تلك الفرش ليجيء هذا الضمير معبراً عن القليل والكثير وهذا من خصائص

([1]) ينظر : أساليب البيان في القرآن: 714 .

([2]) فلسفة البلاغة (جبر ضومط): 101 ، نقلاً عن أساليب البيان القرآن : 714 .

([3]) ينظر : أساليب البيان في القرآن : 715.

([4]) ينظر : الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج دراسة تداولية : 309.

([5]) الرحمن : 56.

الترتيب و((قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)) هي كائنات في الجنة وكأنهن على الفرش مع بعولتهن والمقصود بهذه الكائنات النساء وهو مديح لهن ولم يطمثهن أحد من قبل وقوله ((وَلا جَانٌّ)) تتميم هو احتراس وهو إطناب دعا إليه أن الجنة دار الثواب لصالحي الأنس والجان وعندما ذكر ((إِنْسٌ)) بهذا أنشأ توهم أن يمسهن جن فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس([1])، التي توافرت لتكون مقابلاً و نعماً لمن تتبع الصالحات في هذه الدنيا ، و لتكون بديلاً و اغراءً لمن يبحث عن ملاذ الدنيا و زينتها فكل ما فيها زائل ، و لكن ما في الجنة من نعيم سرمدي غير منتهي ، وضع لخدمة داخليها من المؤمنين بوحدانية الله ، و المتتبعين لأوامره .

وقد وردت أيضاً الصورة الكنائية في قوله تعالى ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)** ﴾ ([2]) ((ومن مميزات الكناية في هذه الآية الكريمة أنّها ترشد المتلقي إلى التأمل في صفحة الكون ليفطن إلى الصلة الوثيقة بين السماء والأرض ، فالقلوب العاقلة ، والآذان السامعة كنايتان عن استجابة الإنسان لمظاهر قدرة الله عن طريق السير في الأرض ، والكناية لا تشير إلى إبرازهذه الدلالة في وعي المتلقي فقط بل تدعوه إلى تمسك بهالأنها من وسائل النجاة))([3])؛ أي أنهم لا يدركون ولكنهم يرون ، يسمعون ولكن لا يعتبرون ، جاءت لفظة ((الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) زيادة في التوكيد من أجل إثبات العمى لتلك القلوب على وجه التحديد! فلو كانت هذه القلوب مبصرة لكانت فيه و قد جاشت بذكرى ،وجنحت للعبرة وخشت العاقبة المائلة، وأيضاً لكانت جنحت للإيمان ، ولكنهم لم يستعملوها في استعمالها الصحيح في التأمل في تلك المصارع ، أو الجنوح إلى الإيمان ، والتقوى من العذاب بل أنهم ذهبوا إلى

([1]) ينظر : التحرير والتنوير : 27 / 269 _ 270.

([2]) الحج : 46.

([3]) صورة السماء والأرض في القرآن الكريم ((دراسة بلاغية)) : 199 .

العذاب بعجلة الذي آخره الله عنهم إلى أجل معلوم([1]) واشارت هذه الكناية إلى صحة استعمال حواس الإنسان استعمالاً صحيحاً و من الأجل الذي خلقت له وهو الاستجابة لقدرة الله والتمسك بها أيضاً لأنها من وسائل النجاة .

وكذلك وردت في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18) ﴾([2]) ، قد عبر الأسلوب القرآني عن ضبط و إتقان الكون وذلك عن طريق استعمال الكناية الحجاجية من أجل إقناع المتلقي بوجود الله وقدرته في الخلق ، بعد التأثير على فكره ومشاعره ؛ والكناية جاءت في لفظة ((أَسْكَنَّاهُ)) كناية عن جعله محفوظاً في باطن الأرض ، ويقصد أنزلنا ماء من السحاب يكون كافيا لمخلوقات الأرض ويسد حاجاتها ومصالحها بحيث يكون لا كثير حتى يفسد الأرض والعمران ولا قليل حتى لا يكفي الإنسان والحيوان ،والنبات وثمارها ، واستقر في الأرض حتى قررناه فيها ، هذا الاقرار يكون عند جريانه في الأنهار، وجعلنا الأرض تمتص بعضه ليسكن في جوفها ، ويكون مخزوناً تحت طبقات الأرض ، وهذا من أجل الانتفاع به وعند الحاجة إليه تحفر الآبار فيها ونبع العيون منها ، ونحن قادرون على ذهابه مثلما قادرون على إنزاله ، وذلك بجعل الأرض تمتصه فيغور فيها إلى مواضع لا تستطيعون الوصول إليه ، وكذلك نحن قادرون أيضاً على عدم انتفاعكم منه وبذلك حبس المطر في السماء أو تحول ماء الفرات إلى ملح أجاج ، أو يكون عن طريق تجفيف الأنهار والآبار لكنا لطفنا بكم ورحمناكم بمدنا لكم الماء العذب وحفظه لكم ([3]).

إن المنعم المتفضل في الانشاء ، و في الاغداق على الخلق بالنعم له الحق المطلق في طلب العبادة و تتبع الاوامر ، فما يعطي للعبد من نعم لها حق مقابل يتمثل بالعبادة و الاقرار بوحدانية الله الواحد ، انعم بأحد سننه الكونية (الماء) و جعله حياة لكل ما على

([1]) ينظر : في ظلال القرآن : 4 / 2430 .

([2]) المؤمنون : 18 .

([3]) ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم : 4 / 1279 .

البسيطة من خلق حي و نمّاه ، و حفظه ليكون لهم شراباً سلساً ، ولكي يحققوا عن طريقه منافعهم و ما يحتاجوه من الغذاء ، و لكن (الرب) قادر على ان يزيل هذه النعمة ، إذا ما تفاخر العباد بالكفر و الالحاد و حادوا عن الصراط و تتبعوا الشهوات .

ووظفت الكناية الحجاجية في قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) ﴾ ([1]) ، وجد في هذه الآية الكريمة عاملاً بلاغياً لاستمالة الخلق على التفكير والإحساس المتلقي وإقناعه بما يقدم الباث في خطابه ؛ وهذا لأهمية يوم القيامة وأن أكثر الكافرين قد يئسوا منه كيئسهم ممن في القبور لهذا قد وظف العامل الحجاجي الكناية الحجاجية في قوله ((قَبْضَتُهُ)) تعبر عن القدرة والتمكن فالأرض سيطرة الله في الخلق وأحاطته بكل شيء وكيف تكون الأرض يوم القيامة، والكناية الحجاجية وهي تعبر عن قدرة الله في السماء يوم القيامة بلفظة ((بِيَمِينِهِ)) وهذا لإقناعه وإيمانه لمن يشك بهذا اليوم ، و سبب كفرهم بالله هو جهلهم وعدم معرفتهم بالله حق معرفة وبذلك جعلوا له شركاء لا يليق بعظمته حيث وضح لهم كيف تكون الأرض والسماء يوم القيامة ، إذ تكون الأرض أجزائها الباطنة والظاهرة جميعها ، الصغيرة والكبيرة في يد قدرته وتحت تصرفه ، وهو يقلبها كيفما يرد على الرغم من عظمتها ، كما يقلب الإنسان حصاة أو خاتما في كفه ، أمَّا ((وَالسَّموَاتُ)) السبع مع وسعها وفخامتها تكون ملفوفات كلف الثياب ((بِيَمِينِهِ)) تكون بقدرته ويتحدث عنه الإمام الصادق (ع) قال ((اليمين : اليد ، واليد : القدرة والقوة ((مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)) يعني بقدرته وقوته)) ، بعد توضيح قدرته وعظمته وسلطانه ، و ونزه ذاته المقدسة عن التشريك وتّرفع عن الاصنام من الشركاء([2])، و ((قَبْضَتُهُ)) ((ملك له خالص – له _ قد ارتفعت عنه أيدي المالكين من بريته ، والمتصرفين فيه من خليقته ويحتمل أيضاً أن يكون : أنّ الأرض في مقدوره ، كالذي

([1]) الزمر : 67 .

([2]) ينظر : نفحات الرحمن في تفسير القرآن : 5 / 393 _ 394 .

يقبض عليه القابض ، فتستولي عليه كفه ، ويجوزه ملكه ، ولا يشاركه فيه غيره))([1]) .
وضحت هذه الكناية يوم القيامة وكيف يكون حال السماء والأرض فيه وآكد على هذا اليوم .

([1]) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : 422 .

مسرد النتائج

الخاتمة :

بعد أن وصل البحث إلى خاتمة المطاف تبين للباحثة جملة من النتائج كان أهما :

- السنن الكونية و ما ذكر منها في آيات القرآن الكريم كانت ذات مداليل على الطبيعة الكونية التي وفَّرها تبارك و تعالى ؛ لخدمة مخلوقاته عامة والإنسان بصورة خاصة ، طابعها العام هو خدمته و المساعدة في تسيير اموره ، أما الخاص فهي آيات باهرات ، تجتلب الحاجة منه إلى الفهم لطبيعة الأشياء ، ومنها الاقتناع بوجود مُسيَّر لما كان أول الخلق و لما سوف يكون في النهاية و العودة إلى المنشىء و المقدر و المصور.
- يعد الحجاج الميدان الرحب الذي سار في فلكه اغلب المفكرين ، و بمختلف الثقافات فكل فكر اساس عمله هو الإقناع ، أيَّاً كان نوعه أو طريقة بلوغه في ثقافة العرب ،و الكلام هو مداره و الحوار هو المحقق لهذا المدار .
- كشفت آيات السنن الكونية في مضانها عن عناصر إيقاعية خلابة توشحت فيها الموسيقى مع الإقناع مستغلة في ذلك النفحات المتولدة من الصوت الواحد ، و الكلمة و العبارة ؛ لتحقيق المراد من القول فمنحته الإعجاز و زادت من قيمته الدلالية ، ومن ثم قيمته الحجاجية الإقناعية .
- حققت الفاصلة القرآنية عند ورودها تنوعًا صوتيًا خلابًا يتوافق مع الغرض الذي تنشده الآية فمرة تتسم بالهدوء و اللين ؛ من أجل جعل المتلقي متشربًا فيها متعقلا مفكراً ، بالصورة الكونية الكبيرة التي رسمت أمامه فيكون متعجبًا مؤمنًا ؛ بالقدرة الربانية العظيمة التي كونت كل شيء ، و أخرى ذات إيقاع سريع مزلزل متوافق مع الموقف متحدياً المعاند و المجانيين للصواب ؛ فتظهر جبروت الله و قدرته التامة في التكوين و الإنشاء و العقاب .

- اسهم التكرار في آيات السنن الكونية في تحقيق مشهدٍ إبداعي، لما سوف تؤول إليه العناصر الكونية يوم البعث وكيف رسم الحساب ، في مشهدٍ مخيف مزلزل لهول الموقف ، و لعظمة من حضره ، ليشهد الحساب فضلاً عن الاحداث المتسارعة ، التي سوف تحدث على البسيطة و على الكون .
- عمل الجناس في آيات السنن الكونية ، بأنواعه كافة على استجلاب المتلقي و التأثير فيه عن طريق تكرار نغمة الصوت كلها أو بعضها ؛ لإقناعه بحقيقة ما سيحدث ، و ما حدث في أول الخلق و في نهايته ، فضلاً عن استمالة المتلقي بوساطة الصوت و اقناعه ، ومحاججته للوصول إلى سبيل الحق بعد التفكير العميق بقدرة الله تبارك و تعالى و شدة بأسه .
- بإجتماع الأضداد و تقابلها تولَّد تكثيف دلالي و أخّاذ و مناحي اقناعية جميلة ظهرت فيها القدرة الربانية على خلق الأشياء و جعلها مستمرة ؛ لخدمة مخلوقاته أولاً و لخدمتهم في التذكير أيضاً بالقدرة الربانية إذا ما حاد بهم السبيل و ذهبوا إلى الشرك بمن أنعم و خلق .
- لقد استغلت العناصر الإيقاعية جميعاً في بناء منظومة حجاجية اقناعية اسهمت في بناء موسيقية النص ؛ فجذبت الاسماع و من ثم انساب إلى القلوب ، فحدثت التأثير الأول الانصات و الأصغاء ، لما يقال و ما ينساب على المشاعر و الاحاسيس من أنغام ربانية ، و من ثم جاء دور العقل فاستقبل ما تقدم ؛ فاقتنع أو تجبَّر و زاد كفراً على الرغم من معرفته بحقيقة الأشياء و وجود رب مقدر لكل شيء.
- عمل التوازي على اتساق النص و استمراره عن طريق المتوالية التركيبية مما تولد من أنغام ايقاعية ، لإقناع المتلقي بقدرة الله الانشائية ، كما عمل على استمرارية

النص ، و انسجامه عن طريق تكرار البنى الإيقاعية النحوية و الصرفية لإفهام الخلق بقدرة الله العظيمة ، عن طريق سُننه الكونية .

- اسهمت العوامل الحجاجية في آيات السنن الكونية في تحديد التوجه الحجاجي في الجملة ، عن طريق انتقاء صيغٍ محورية ملائمة ؛ للسلسلة الحجاجية فأسهمت في تحقيق الإذعان عند المتلقي ، عن طريق توجيهه بالملفوظ و ايصاله إلى النتيجة .
- حققت الروابط الحجاجية التواشح المتطلب بين الجمل المكونة ، للنصوص القرآنية و كانت تتوشح بالسبب و النتيجة حتى نصل في خاتمة المطاف إلى بيان لطف الرب بعباده و كمية النعم ، التي يقدمها لهم ، فضلاً عن دورها الحجاجي في التسليم لمن أنعم بالعبادة والتقديس ؛ لأن من كانت لديه القدرة على الإنشاء و الكرم و الإنعام ، له القدرة على الهدم و الازالة و العذاب .
- عمل السلَّم الحجاجي متوالية متوافقة التدرج تبدأ من حجة إلى حجة أقوى ، ثم الأقوى حتى تصبح الجمل كمتوالية تصاعدية أو تنازلية ؛ لتحقق في النهاية ما هو مرجو منها (النتيجة) المتطلبة من قبل الباث الذي عمد إلى هذا التسلسل ؛ لجذب الأسماع ، و القلوب بالتدريج و من اقناعها ؛ بالحقيقة و الفكرة التي يرغب بإصالها للمتلقي ، و هي القدرة الربانية في إعادة البشر إليه في يوم البعث .
- وظفت المشاهد الحية الناطقة بلسان خطابي أخَّاذ التي وجدت في التشبيه ، لإقناع المتلقي ؛ بالقدرة الربانية عن طريق ما يطرحه من سنن كونية .
- وظف التشبيه الحجاجي بما يعكسه في وروده في بيان النعم الربانية للخلق ، و تسخير المخلوقات في خدمة البشرية ، و بيان أثر كل ذلك لعلّها ترعوي و تستقبل الأمر المفروغ منه ؛ فالملك لله و العبادة له ، و القدرة في تسيير كل شيء و أمر.

- وظف المجاز الحجاجي في إيضاح كل أمر قد قدر بقدر لا يزيد و لا ينقص ، وكلها انتجت لخدمة مخلوقات الله ، و لاثبات قدرته ، و إحكامه الجميل على مقدراته الحياتية ، بما يخدم البشرية اساسًا في اثبات وجوده تبارك و تعالى ، لكي يعبد حق عبادته جلا وعلا.
- عملت الاستعارة الحجاجية في آيات السنن الكونية على تقريب الصورة الكونية الكبيرة في ذهن الإنسان فعمل تبارك و تعالى عند رسم المشاهد وبيان نوعها، و جعل العقل البشري يمخر عباب الصورة لعله يتوصل إلى ما جاءت به القدرة الربانية من نعم عليه و على ما يحيط به من كائنات و كيف احكم قدرته في الجمادات أيضاً ؛ لتحقيق هذا الغرض كل هذا لكي يتجه العبد إلى توحيده و عبادته حق عبادة .
- و اختصت الكناية الحجاجية في بيان القدرة الإلهية في إزالة الإنشاء ، و محاسبة البشر على اعمالهم الدنيوية ، و إعطاء النعيم السرمدي غير المنتهي ؛ لمن تتبع الصالحات .
- و دور الكناية الحجاجية في بيان أثر القدرة الربانية في الكون ، بما ترجعه من فائدة على المصلحة البشرية وليس هذا فقط ، بل بما تعود به من منفعة على الكائنات الحية الأخرى المنتشرة على البسيطة ، و مقابل هذه القدرة الإقرار بوحدانية الله ، و عبادته عز وعلا حق عبادته .
- واخيراً فان الله سبحانه وتعالى بعد ان بين آياته في السنن الكونية وحاججهم في قدرته التي هم يعلمونها كما قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ، فالله سبحانه وتعالى حاول ان يحاججهم بالقدرة ويقنعهم بطلب منهم التسليم لربوبيته ومن ثم التسليم بكل ماجاء به ، فمن انشأ هذه

الآيات ونظم الحياة ودقت قوانينه أولى بتنظيم حياتنا ولو خالفت تنظيمه سيقع المحذور.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين .

مسرد المصادر والمراجع

مسرد المصادر والمراجع

أولا :**القرآن الكريم** .

ثانيا: **الكتب المطبوعة**:

(ألف)

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، قاضي القضاة أبو السعود محمد بن محمد العماد (ت 951 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .
- الأساس في تفسير القرآن ، سعيد حوّى ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 1405 هـ _ 1980 م .
- أساليب البديع في القرآن الكريم ، تأليف : جعفر الحسيني ، مؤسسة الطباعة و النشر ، وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي ، طهران ، ط1 .
- أساليب البيان في القرآن ، تأليف : جعفر الحسيني ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي ، طهران ، ذو القعدة 1413 هـ .
- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ط1 ، 2004 م .
- الاستعارات التي نحيا بها ، جورج لايكوف و مارك جونسن ، ترجمة : عبد المجيد جحفه ، دار توبقال للنشر ، ط1 ، 1996 م ، ط 2 ، 2009 .
- أسرار البلاغة في علم البيان ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط1 ، 1422 هـ _ 2001م .

- أسرار الكون في القرآن الكريم ، د. داود سلمان السعدي ، دار الحرف العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، مكتبة المهتدين، بيروت – لبنان ، ط1 ،1417هـ-1997م.
- الاسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1 ،1955م .
- أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي تنظير و تطبيق على السور المكية ، د. مثنى كاظم صادق ، منشورات ضفاف – لبنان ، ط1 ، 1436 هـ _ 2015 م .
- الأصفى في تفسير القرآن ، محمد حسن الكاشاني (426 _ 489 هـ) ، تح :أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط 1 ، 1418هـ – 1997 م
- الإعجاز البياني في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات) عمار ساسي ، عالم الكتب الحديثة ، إربد ، الأردن ، ط1 2007 م .
- الإعجاز في نظم القرآن ، محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ، ط1 ، 1398 هـ _ 1978 م .
- إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي دار عمان ،عمان ، ط 1، 2000 م .
- إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ، مكتبة عمان ، 1412 هـ _ 1991 م
- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، المكتبة الكبرى مصر ، ط7 ، 1381 هـ _ 1961 م .

- إعراب القرآن الكريم و بيانه ، محي الدين درويش ، دار بن كثير للنشر و التوزيع _ بيروت ، ط 3 ، 1412 هـ _ 1992 م .
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب و تجريد، ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1434 هـ – 2013 م .
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة و الحجاج ، إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية ، كلية الآداب منوبة ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،تونس، د.ط ، د. ت.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، راسم للدعاية و الإعلان ، ط 3 ، 1410 هـ _ 1990 م .

(باء)

- بحر العلوم ، أبو الليث السمر القندي (ت 375 هـ) ، تح : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ود. زكريا عبد المجيد التوني دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1413 هـ – 1993 م .
- البداية و النهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- بديع القرآن ، ابن أبي الأصبع المصري (ت 654 هـ) ، تح : د . أحمد مطلوب د. خديجة الحديثي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1 ، 2010 م .
- البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، د. محمد العميري ، دار البيضاء أفريقيا ، د. ط ، 2005 م .
- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رابح دوب ، دار فجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 1999 م .

📖 البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر ، تبرماسين عبدالرحمن ، دار الفجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2003 م .

📖 البيان في وجوه البرهان، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سيلمان بن وهب الكاتب ت(335هـ) ،تح: محمد العزازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – البنان.

📖 البيان و التبيين، الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط7 ، 1418 هـ – 1984 م .

(تاء)

📖 تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، تح : مصطفى حجازي ، مراجعة :د. أحمد عمر مختار ، طبعة التراث العربي ، الكويت ، ط1 1412 هـ _ 2001 م .

📖 تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر ، مجدي كيلاني ، دار التنوير ط1 ،2008 .

📖 التبيان في تفسير القرآن ، تأليف : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي دار إحياء التراث العربي – بيروت .

📖 التحرير و التنوير ، محمد الطاهر عاشور ، الدار التونسية للنشر و التوزيع 1984 م

📖 تحليل النص الشعري في بنية القصيدة الغربية ، تأليف : ي . م . لوتمان ترجمة ، محمد فتوح ، جدة – المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1999م

📖 التداولية و الحجاج مداخل و نصوص ، صابر الحباشة ، صفحات الدراسات دمشق – سوريا .

📖 التداولية اليوم في علم جديد في التواصل ، آن روبول و جاك موشلار ترجمة : د. سيف دغفوس ، و د. لطيف زيتوني ، و د . محمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2003 م .

📖 التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة – مصر ط17 ، 1425 هـ – 2004 م .

📖 التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ آمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ط7، 2004 م .

📖 تفسير البحر المحيط ، ابي حيان الأندلسي (ت 745 هـ) ، تح ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، د. زكريا عبد المجيد النوتي ، د. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 1413 هـ _ 1993 م .

📖 تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، أبو الحسين بن مسعود البغوي (ت 516 هـ) ، تح : محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1423 هـ – 2002 م .

📖 التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د. محمود البستاني، مركز تحقيقات كامبيوتري علوم إسلامي ، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة– مشهد ، ط1 د. ت .

📖 تفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، أستاذة الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب ، مكتبة الدراسات الأدبية دار المعارف ، ط 7 ، د. ت .

📖 تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، أخبار اليوم – قطاع الثقافة .

📖 تفسير العلي القدير ، محمد نسيب الرفاعي ، مكتبة المعارف ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، طبعة جديدة ، 1410 هـ – 1989 م .

📖 تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (426 – 489 هـ) ، تح ، أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، دار الوطن للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1418 هـ – 1997م .

📖 تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي (700 – 774 هـ) ، تح ، سامي محمد السلامة ، دار طيبة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1418 هـ – 1998 م ، ط2، 1420هـ – 1999 م .

📖 تفسير القرآن العظيم ، الأمام الحافظ بن أبي حاتم (ت 327 هـ) ، تح أسعد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة – الرياض ، ط1 ، 1417 هـ – 1997 م .

📖 تفسير القرآن الكريم إعرابه و بيانه ، الشيخ محمد علي طه الدرة ، دار بن كثير، دمشق – بيروت ، ط1، 1430 هـ – 2009 م .

📖 تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، دار الأنوار ، بيروت _ لبنان ، ط 4 .

📖 التفسير الكبير ، و مفاتيح الغيب ، الإمام محمد فخر الدين الرازي(544 – 604 هـ) دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، ط1 ، 1401 هـ ، 1981 م .

📖 تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبي القاسم جار الله الزمخشري (467 هـ– 538 هـ) ، تح ، خليل مأمون شيحا دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1430 هـ – 2009 م .

📖 التفسير المبين ، محمد جواد مغنية ، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر،بيروت– لبنان ، ط 2، 1403 هـ – 1983 م .

📖 تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، شركة و مكتبة و مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، ط1 ، 1427 هـ – 2006 م .

📖 التفسير المعين للواعظين و المتعظين ، محمد هويدي ، دار البلاغة للطباعة و النشر و التوزيع .

📖 تفسير مقاتل بن سليمان ، تح ، عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، ط1 ، 1423 هـ – 2002 م .

📖 تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر افاق معرفية جديدة .

📖 تفسير من وحي القرآن ، السيد محمد حسن فضل الله ، دار الملاك ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1420 هـ – 2000 م ، ط 2 ، 1419 هـ – 1998 م .

📖 تفسير نور الثقلين ، شيخ الحويزي ، مجموعة التفسير عن الشيعة ، تحقيق تصحيح و تعليق : السيد هاشم الرسول المحلاتي ، ط4 ، 1412 هـ .

📖 التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، تأليف لجنة من العلماء ، بإشراف : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، مطبعة المصحف الشريف ، ط3 ، 1413 هـ – 1992 م .

📖 التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية و أسلوبية) ، حسين جمعة ، دار النمير للطباعة و النشر ، دمشق ، 2005 م .

📖 التكرارات الصوتية في لغة الشعر ، محمد عبدالله القاسمي ، تقديم زياد الزغبي عالم الكتب الحديثة ، إربد – الأردن ، 2010 م .

📖 التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح عبد الرحمن البرقوقي دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، (د. ت) .

📖 التلقي و التأويل (مقاربة نسقية) ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ط1 ، 1994 م .

📖 التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي و الصوتي) ، أحمد أبو زيد ، كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، دار البيضاء ، 1992 م

📖 تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد أحمد الأزهري (ت 282 هـ – 370 هـ) تح ، الأستاذ أحمد العليم البردوي ، مراجعة الأستاذ علي محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة .

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني ، و الخطابي ، عبد القاهر الجرجاني ، تح : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول ، دار المعارف ، مصر ط3 ، د.ت .

(**جيم**)

- جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، تح ، د. بشار عواد معروف عصام فارس الحرشاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1415 هـ – 199 م.
- جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد عبد الرحمن الأيجي الشيرازي الشافعي (ت 905) ، تح ، د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان . ط1 ، 1424هـ – 2004 م .
- جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980 م .
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، د. كاصد ياسر حسين ، مركز تحقيقات كامبيوتري علوم إسلامي ، د. ط ، د.ت .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، صنعة الحسين بن قاسم المرادي ، تح :فخر الدين قباوة ، و الاستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1413 هـ – 1992 م .
- الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، العلامة السيد عبد الله شبَّر ، تح : أسامة الساعدي ، ذوي القربى ، مطبعة سليماتزاده ، ط1 – 1213هـ .

(**حاء**)

- الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم الأمين ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2008 م .
- الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ط2، 1432هـ –2011م.

- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2001 م .
- الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية ، عادل بن علي الغامدي دار كنوز المعرفة – عمان ، ط1 ، 2016 م .
- الحجاج مفهومه و مجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة حافظ إسماعيلي العلوي ، عالم الكتب الحديثة إربد – الأردن ، ط1 ، 2011 م.
- الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، إسماعيلي علوي حافظ ، دار ورد الأردنية ط1.
- حركة التاريخ في القرآن الكريم ، عامر الكفيشي ، دار الهادي ، بيروت– لبنان ، ط1 ، 1424 هـ – 2003 م .
- حقيقة البدعة و أحكامها ، سعيد بن ناصر الغامدي ، مكتبة الرشيد للنشر و التوزيع ، الرياض _ المملكة العربية السعودية ، ط3 ، 1419 هـ – 1999م .

(**خاء**)

- الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج (دراسة التداولية) ، عبد الحسن علي حبيب شبيب الناصر ، مركز العين للدراسات و البحوث المعاصرة ، ط1 ، 1439 هـ – 2018 م .
- الخطاب و الحجاج ، أبو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر و التوزيع بيروت – لبنان ، ط ، 2010 م.

(**دال**)

- دراسة الصوت اللغوي ، أحمد عمر مختار ، عالم الكتب ، القاهرة ، د. ط 1418 هـ – 1997 م .
- الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج و التناظر الفكري ، محمد بن سعد الدكان ، مركز نماء للبحوث و الدراسات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2014 م.

📖 دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، قراءة و علق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د. ط ، د. ت .

📖 الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم و إعجازه) د. جمال محمود أبو حسان ، دار الفتح للدراسات و النشر، الأردن ، ط1 1431 هـ، 2010 م .

(**زاي**)

📖 زاد المسير في علم تفسير ، الإمام أبي الفرج جمال الدين البغدادي (508 – 597 هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت _ دمشق ، ط3 ، 1404 هـ – 1984 م .

(**سين**)

📖 السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي ، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1402 هـ – 1982 م .

📖 السنن الإلهية في الأمم و الجماعات و الأفراد و الشريعة ، عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ .

📖 السنن الإلهية في الحياة الإنسانية و أثر الإيمان بها في العقيدة و السلوك الشريف الخطيب ، الدار العثمانية ، الأردن ، ط1 ، 2004 م .

📖 السنن الإلهية في السيرة النبوية ، رشيد كهوس ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2010 م .

(**شين**)

📖 شرح عقود الجمان في المعاني و البيان ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب بيروت – لبنان ، ط1 ، 2011 م.

(**صاد**)

📖 صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار بن كثير ، ط1 .

📖 صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار طيبة ، الرياض ، ط1 .

📖 صفوة التفاسير ، محمد علي صابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط4 1402هـ _ 1981 م .

📖 الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور مركز الثقافي العربي ، ط 3 ، 1992 م .

📖 الصورة الفنية في المثل القرآني ، د. محمد علي الصغير ، دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة و الأعلام ، جمهورية العراقية ، 1981 م .

(طاء)

📖 طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، محمد الصادق قمحاوي ، دار العقيدة ،ط 1 ، 1427 هـ – 2006 م .

(عين)

📖 العمدة في محاسن الشعراء و آدابه و نقده ، ابن رشيق القيرواني، طبع مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 1225 هـ – 1907 م .

📖 عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، د. عبد السلام عشير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2، 2012م.

📖 العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، د. عزّ الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين دار النهى ، صفاقس _ تونس ، ط1 ، 2011 م .

(فاء)

- فتح الرحمن في تفسير القرآن الكريم ، الإمام القاضي مجير الدين الحنبلي (860 – 927 هـ) ، تح ، نور الدين طالب ، اصدارات وزارة الاوقاف و الشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية ، دولة قطر ، ط1 ، 1430 هـ _ 2009 م .
- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن و السنة ، محمد صادقي ، مطبعة أمير ، قم دار التراث الإسلامي للنشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ،ط2 .
- الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري ، تح ، محمد إبراهيم سليم ، طبعة دار العلم و الثقافة ، القاهرة .
- فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ، د. رجاء عيد ، منشأ المعارف الاسكندرية ، ط2 ، د.ت .
- فلسفة التاريخ ، محمد الحسيني الشيرازي ، مؤسسة الوعي للطباعة و الترجمة و النشر ، ط2 ، 2006 م.
- الفلسفة و البلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، د. عماد ناصر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 1430 هـ – 2003 م .
- فنون البلاغة بين القرآن و كلام العرب ، فريد فتحي عبد القادر ، دار الولاء للنشر و التوزيع ، الرياض، ط1 ، 1400 هـ ، 1980 م .
- في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات ، مشبال محمد ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط1 ، 2016 م .
- في سنن الله الكونية ، محمد أحمد الغمراوي ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط1 ، جامعة الفاروق الأولى،المكتبة العامة ،مصر ، 1936
- في صنعة الأعراب ، الزمخشري ، تح ، علي أبو محلم ، مكتبة الهلال بيروت ، ط1 ، 1993 م .
- في ضلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1972 م ط2 ، 1423 هـ – 2003 م.

📖 في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، خليفة أبو جادي ، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2012 م .

📖 في النحو العربي نقده و توجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي بيروت ، ط2 ، 1986 م .

📖 الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان ، شمس الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي (ت 715 هـ) ، صححه : محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 1327 هـ .

(قاف)

📖 القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته ، فضل عباس ، دار الفرقان ، عمان ط1 ، 1987 م.

📖 قضايا الشعرية ، رومان جاكسبون ، ترجمة : محمد الولي ، و أحمد العمري دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء – المغرب ، 1981 م .

(**كاف**)

📖 كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، أبو هلال العسكري ، تح ، علي محمد البجاوي ، و محمد أبو فضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ، ط1 ، 1371 هـ – 1952 .

📖 كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج ، أبو وليد الباجي ، تح عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي .

(**لام**)

📖 لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت 725 هـ) ، ضبطه و صححه : عبد السلام محمد ، علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1425 هـ – 2004 م .

- اللباب في علوم الكتاب ، أبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت 880 هـ) ، تح ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ محمد معوض ، د. محمد سعد رمضان ، د. محمد المتولي الدسوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1419 هـ – 1998 م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ،ط3 ، 1414هـ – 1986 م.
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، مركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1998 م
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 1991م .
- لطائف الإشارات ، الإمام أبي قاسم عبد الكريم هوزان القشيري النيسابوري الشافعي (ت 465 هـ) ، وضع حواشيه : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1428 هـ – 2007 م .
- اللغة و الحجاج ، أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط1 1426 هـ – 2006 م .

(ميم)

- مباحث في علوم القرآن ، منّاع القطان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط7 ، د.ت .
- مجاز القرآن و خصائصه الفنية و بلاغته العربية ، محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1420 ، 1999م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ، دار العلوم ، بيروت – لبنان دار المرتضى ، بيروت ، ط1، 1427هـ – 2006 م .
- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، إخراج محمد فؤاد عبد الباقي عيسى البابي الحلبي و شركاه ، ط1 ، 1376 هـ – 1957 م .

📖 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (481 – 541 هـ) ، دار بن حزم ، طبعة جديدة منقحه

📖 مختصر اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الانصاري ، فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض _ المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1427 هـ – 2006 م .

📖 مختصر من تفسير الإمام الطبري ، أبو يحيى بن صمادح التجيبي ، تح محمد حسن أبو العزم وجوده عبد الرحمن هلال ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة ، ط1 .

📖 المختصر في تفسير القرآن ، تصنيف جماعة من العلماء ، أشراف : مركز تفسير للدراسات القرآنية ، ط3 .

📖 مدارك التنزيل و حقائق التأويل ، أبي البركات النسفي (ت 701 هـ) ، تح سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفى الباز .

📖 المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، عامر أحمد فتحي ، منشأ المعارف، الاسكندرية ، 1986 م

📖 معاني الحروف ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 384 هـ) ، تح عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د. ط ، د. ت .

📖 معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 1420 هـ – 2000م .

📖 معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تح : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، 1985 م .

📖 معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، د. ط ، 1303 هـ – 1983 م .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- معجم مقايس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت 395 هـ) ، تح ، عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ،(ب. ط) ، 1399 هـ – 1979 م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن هشام الانصاري (ت 761 هـ) ، تح ، د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ط1 ، 1964 م .
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، تح د. عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1420 هـ – 2000م .
- مقومات الحجاج في الخطاب الأصلاحي الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مقاربة توصيفية لآليات الإقناع ، مكناسي صفية ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 .
- من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم ، زغلول راغب محمد النجار ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط4 ، 1428 هـ – 2007 م .
- من البلاغة أسلوب المقابلة في القرآن الكريم ، د. فتحية محمود فرج العقدة الأماته ، ط1 ، 1422 هـ – 2002 م .
- من تجليات الخطاب البلاغي ، حمادي صمود ، دار قرطاج للنشر و التوزيع تونس ، ط1 ، 1999 م .
- المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ألفه لجنة من علماء جامعة الأزهر الشريف طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مؤسسة الأهرام ، مصر.
- منة المنان في الدفاع عن القرآن الكريم ، الشهيد السيد محمد الصدر ، دار الأضواء ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1423 هـ – 2002 م.

- المنهاج الواضح للبلاغة ، حامد عوني ، المكتبة الأزهرية للتراث ، د. ط .
- المنهاج في ترتيب الحجاج ، أبو وليد الباجي ، تح : عبد المجيد تركي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط3 .
- منهج االأشاعرة في العقيدة في تعقيب على مقالات علي الصابوني ، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الدار السلفية ، ط1 ، 1407 هـ – 1986 م.
- من هدى القرآن ، السيد محمد تقي المدرسي ، دار الكتاب العربي ، دار القارئ ، ط2 ، 1429 هـ – 2008 م .
- موافقات في أصول الشريعة ، أبو اسحاق الشاطبي (ت 790 هـ) ، دار الفكر العربي ، مراجعة : الأستاذ محمد عبد الله دراز المدرس بقسم التخصص بالأزهر الشريف .
- الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1417 هـ – 1997 م .

(نون)

- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط7 ، د.ت .
- النص و الخطاب و الأتصال ، محمد العيد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط ، 2005 م .
- النص و السياق و استقصاء البحث في الخطاب الدولي و التداولي ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، أفريقيا الشرق ، بيروت – لبنان ، د. ط ، د. ت .
- النظرة القرآنية للمجتمع ، محمد تقي مصباح اليزدي ، تقريب: محمد عبد المنعم الخاقاني ، دار الروضة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1416 هـ .
- نظريا ت الحجاج ، د. جميل حمداوي، الناظور ، شبكة الألوكة، د. ط _

📖 النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ، د. محمد طروس ، النجاح الجديدة ، دار الثقافة ، دار البيضاء ،ط1 ،1426 هـ – 2005 م.

📖 نفحات الرحمن في تفسير القرآن ، الشيخ محمد بن عبد الرحيم النهاوندي ، تح قم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ط1 ، 1229 هـ .

(**واو**)

📖 الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، الشيخ علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي (1070 – 1135 هـ) ، تح : الشيخ مالك المحمودي ، دار القرآن الكريم ، مطبعة تكين ، قم المقدسة ، ط1 ، 1417 هـ .

📖 الوساطة بين المتنبي و خصومه ، عبد القاهر الجرجاني ، تح : محمد أبو فضل إبراهيم ، علي محمود البجاوي ، مكتبة لسان العرب ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاؤه ، د. ط ، د. ت .

📖 الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468 هـ) ، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، د. أحمد محمد ، د. أحمد عبد الغني الجمل ، د. عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1415 هـ – 1994 م .

ثالثاً :الرسائل والأطاريح الجامعية:

📖 أساليب البديع في نهج البلاغة (دراسة في و الوظائف الدلالية و الجمالية) (أطروحة) ، خالد كاظم حميدي الحميداوي ، جامعة الكوفة – كلية الآداب 1422 هـ – 2011 م .

📖 أساليب التعبير الإيقاعي في القرآن المكي دراسة تحليلية أدبية (رسالة ماجستير) ، بن شيخ عباس ، جامعة وهران – الجزائر ، 2008 م .

📖 أسلوبية التوازي في القرآن الكريم سورة هود – الحجر – الشعراء نموذجاً (اطروحة) ، نسيمة بغدادي ، جامعة محمد بو ضياف – كلية الآداب و اللغات – المسيلة ، 2017 م .

📖 الأداء الاسلوبي في المستوى الصوتي في أغاني مهيار الدمشقي (رسالة ماجستير) ، عادل نذير ، جامعة القادسية – كلية الآداب ، 2001 م

📖 البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) (رسالة ماجستير) ، محمد عرابي جامعة السانية و هران _ كلية الآداب ، اللغات و الفنون ، 2008 – 2009 م .

📖 البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام دراسة تداولية (أطروحة)، مرزوق نادية ، جامعة محمدح بوضياف – كلية الآداب و اللغات ، 1438 هـ – 2017 م .

📖 التقابل الدلالي في اللغة (رسالة ماجستير) ، عبد الكريم محمد حافظ العبيدي آداب المستنصرية ، 1989 م .

📖 تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية – أنوذجاً ، (رسالة ماجستير) ، هشام فروم ، جامعة الحاج لخضر – باتنة 2008 – 2009 م .

📖 تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف – أنموذجاً (رسالة ماجستير) حياة دحمان ، جامعة الحاج لخضر – باتنة – كلية الآداب و اللغات ، 1434 هـ – 2013 م .

📖 التوازي في القرآن الكريم دراسة في النظم الصوتي و التركيبي– الربع الأخير أنموذجاً (رسالة ماستر) ، سهيلة زتون ، جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي – كلية الآداب و اللغات ، 1436 هـ – 2015 م .

📖 الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي (رسالة ماجستير) حسين بوبلوطة ، جامعة الحاج لخضر – باتنة – كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الجزائر ، 2009 – 2010 م.

📖 الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالاً (رسالة ماجستير) ، مروة خضير عباس الغزالي ، جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلامية ، 1441 هـ – 2019 م .

📖 الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً(رسالة ماجستير) ، إيمان درنوني ، جامعة الحاج لخضر– باتنة – كلية الآداب و اللغات ، الجزائر 2012 – 2013 م .

📖 الحجاج في كتاب المثل السائر (رسالة ماجستير)، نعيمة يعمرانن ، جامعة مولود معمري – تيزي – كلية الآداب و اللغات ، الجزائر ، 2012 م .

📖 الحجاج في الخطابة و الرسائل في مصر من الحروب الصليبية (رسالة ماجستير) ، أيمن خميس عبد اللطيف إبراهيم أبو مصطفى ، جامعة دمنهور – كلية الآداب ، 1932هـ – 2011م .

📖 الحجاج في النص القرآني "سور الحواميم أنموذجاً" (رسالة ماجستير) ، هاني يوسف أبو غليون ، جامعة مؤته – كلية الدراسات العليا ،2018 م .

📖 الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية (اطروحة)، فطيمة بورحله ، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس – كلية الآداب و اللغات و الفنون ، 1438 هـ – 2017م.

📖 رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية ، د. رائد مجيد جبار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية ، سلسلة الرسائل الجامعية ، العراق (15) وحدة علوم اللغة العربية.

📖 الروابط الحجاجية في شعر المتنبي مقاربة تداولية (رسالة ماجستير ، خديجة بوخشرة ، جامعة وهران – كلية الآداب و اللغات و الفنون و الجزائر ، 2009 – 2010 م.

📖 السلالم الحجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية (اطروحة) ، فايزة بوسلاح جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، 2014 – 2015 م .

📖 السور القصار في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) (رسالة ماجستير) ، مهند عبد الرزاق عبد القادر العصفور ، جامعة الصرة – كلية التربية ، 1423 هـ – 2003 م.

📖 صورة السماء و الأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) (رسالة ماجستير) نوال علي عبد الرحمن خضر ، جامعة الوطنية نابلس – كلية الدراسات العليا فلسطين ، 2011 م .

📖 الطباق في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) (رسالة ماجستير) ، نِغَم هاشم خالد سليمان الجماس ، جامعة الموصل – كلية التربية ، 1423 هـ – 2002 م .

📖 الفاصلة في الجزء الأخير من القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية (رسالة) ، عبد الكريم حاقة ، جامعة محمد خيضر – بسكرة – كلية الآداب و اللغات ،1429هـ – 2009 م.

📖 الوظيفة الحجاجية في القصص القرآني (أطروحة) ، بأن أمين عمر الربيعي ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، العراق ، 1439 هـ – 2018 م .

رابعاً : المجلات والدوريات والحوليات :

📖 الاضطرابات النطقية في صوتي الشين و الجيم في العربية ، جهاد أحمد العريفي ، إبراهيم محمود خليل دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، مجلد 42 ، ملحق 1 ، 2015 م .

- التوازي في قصيدة محمود درويش (عاشق من فلسطين) ، غانم صالح سليمان ، مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية ، مجلد 10 ، عدد 2 .
- الجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني ، د. نصيب دار محمد ، محمد محمود أحمد المفتي ، مجلة قسم العربي جامعة بنجاب ، لاهور – باكستان ، عدد 23 ، 2016 م .
- الحجاج اللغوي عند ديكرو و أنسكومبر ، أ. يعمرانن نعيمة ، جامعة مولود معمري تيزي وزو .
- الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو ، د. راضي رشيد ، مجلة عالم الفكر الكويت ، مجلد 34 ، والعدد 1 ،مصر ، 2005 م.
- الحجاج في القرآن الكريم (رؤية جديدة) ، أيمن خميس عبد اللطيف، مجلة كلية الآداب – جامعة بنها، مجلد1،العدد 40 ،2015م .
- دور الاساليب الروابط اللغوية في العملية الحجاجية من خلال ((البيان و التبيين)) الجاحظ ، ابن اعراب زهرة ، المركز الجامعي البويره – الخطاب ، المغرب ، العدد 6 ، 2010 م
- الروابط الحجاجية في توقيع أبي الحسن العسكري (ع) إلى أسحق بن إسماعيل النيسابوري ، د. عبدالإله عبد الوهاب العرداوي ، مجلة دواة فصلية محكمة تعتني بالبحوث و الدراسات اللغوية و التربوية ، جامعة الكوفة ، العدد 3

- سلطة الكلام و قوة الكلمات ، أبوبكر العزاوي ، مجلة المناهل ، عدد 26-63
- الظواهر الصوتية و أثرها في قوانين النحو (السجع و الفواصل القرآنية) ، د. عمار ربيح ، كلية الآداب و اللغات ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خضير بسكرة – كلية الآداب و اللغات ، العدد 25 ، 2012 م.

📖 العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي نموذجاً) ، ألطاف إسماعيل أحمد الشامي ، مجلة كلية الإسلامية ، جامعة بغداد ، مجلد1 ، ع43 1436هـ -2015 م.

📖 العوامل الحجاجية في آيات الأحكام ، عايد جدوع حنون ، جامعة المثنى _كلية التربية للعلوم الإنسانية ، مجلة أورك ، المجلد 9 ، عدد4 ، 2016 م .

📖 الفاصلة في السياق القرآني سورة مريم نموذجاً ((بحث منشور)) ، محمد حسين النقيب ، اليمن .

📖 ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية ، عبد العزيز برغوث ، بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة ، العدد 49 ، 1428 هـ - 2007 م .

📖 نشأة الحجاج ، د. حامد ناصر الظالمي ، أ . عايدة جدوع حنون ، كلية التربية للعلوم الإنسانية مجلة آداب البصرة ، جامعة البصرة ، عدد 72 ، 2015 م.

📖 نظرية الحجاج اللغوي عند "أوزفالد ديكروو أنسكومبير"، جايلي عمر ، مجلة العمدة في اللسانيات و تحليل الخطاب ، جامعة بالأغواط ، العدد 3 ، 2018 م .

خامسا : المواقع و الكتب الالكترونية

📖 سنن الله في الكون ، ليلى أحمد ، https://mawdoo3.com/

📖 موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، مجموعة من الباحثين ، بأشراف : علوي بن عبد القادر السقاف ، نشر موقع الدرر السنية على الانترنت https://www.dorar.net /

من روائع الاستعارة في القرآن الكريم
https://forums.graaam.com/9878.htm

Summary:

Praise be to God, Lord of the worlds, and may blessings and peace be upon the most honorable creation of all, Muhammad, .may God bless him and his family and grant them peace

The Noble Book of God was and is still manhal for researchers who walked with it and drew from its miracles and revelations, and its dazzling beauty because it contained words, structures and rhythms that pleased the hearing and healed hearts and souls in addition to its containment of a set of cosmic norms that showed the cosmic environment in an optimal and harmonious manner Who made it as a living tool to persuade those who violate the Islamic religion that the Prophet Muhammad (PBUH) brought to .pay off a revelation from him, the Blessed and Almighty

These norms and natural phenomena have been used to demonstrate God's ability to create and form

This is what led the researcher to turn to the study of these cosmic Sunnahs by tracking the positions of the pilgrims in them and demonstrating their argumentative persuasive power through the research marked ((The verses of the cosmic Sunnahs in the Noble Qur'an an Hajjajiah study)) and the linguistic elements that were used in these verses to achieve persuasion For the recipient, .by showing the power of God Almighty in creation and creativity

The study followed the al-Hajjaji approach to Decro, with a slight change in line with the Arab system, According to the requirements of the topic, the study was divided into an introduction, three chapters, and a conclusion

:The preamble came to two requiremen s

The concept of Sunan in language and idiom, and the sit s mentioned in the Holy Qur’an, with their different meanings

In the second requirement, the researcher traced the concept of pilgrims in language and convention briefly. And the first chapter .(' was concerned with the study of (Rhythmic Al-Hajjaj

The second chapter is concerned with the study of ((Al-Hajjaj .((linguistically in the verses of the cosmic Sunnah

And the third chapter is interested in exploring the depths of .((((Al-Hajjaj in the Cosmic Sunnah Verses

The researcher concluded this blog post with her most important results and then a list of sources and references

University of Karbala , College of Islamic Sciences

Arabic Language department

The Verses of Cosmic Sunnahs In The Holy Qur'an An Argumentative Study

The thesis prepared by :

Suha Ali Awad Abbas Al - Abbasi

To the college of Islamic sciences board, university of Karbala as a part of gaining the master degree in the language and literature of the holy Quran .

Supervised by :

Pro. Dr. Muslim Malik Baeer Al - Asady

2021AD 1442 AH